مختصر

لوامع الانوار البهية ، وسواطع الاسرار الاثرية ، لشرح الدرة المُضية ، في عَقد الفرقة المرضية ،

تأليف الامام الكبير والمحقق الشهير
الشيخ محمد السفاريني · النابلسي الحنبلي

اختصار

العلامة المتفنن الورع الشيخ حسن الشطي
الحنبلي الدمشقي رحمهما الله تعالى

(هذا كتاب في العقائد قد ظهر فيه تجلّى الحق من اهل الاثر)
(استاذ سفارينَ جاد بوضعه والقدوة الشطي رعاه واختصر)
(فجزاهما مولاهما خير الجزا ولسعي كل منهما ربي شكر)
(يا من طرحتم في العلوم مطولاً قد جاء كم ارخت اهدى مختصر)
٢٠ ١٣٣٠

طبع في مطبعة الترقي بدمشق
١٣٥٠ — ١٩٣١

مختصر لوامع الانوار البهية، لشرح الدرة المضية، في عقد الفرقة المرضية، اختصار الامام العلامة المحقق الشيخ حسن الشطي الحنبلي

عليه رحمة ربه العلي

آمين

طبع في مطبعة الترقي بدمشق

١٣٥٠ — ١٩٣١



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد فان الكتب المصنفة في العقائد السلفية لعلمائنا الحنابلة كثيرة . بين كبير كشرح العقيدة للعلامة السفاريني — وصغير كعقيدة شيخ المذهب الموفق بن قدامة . وكلاهما مطبوع معروف . ولم نطلع على كتاب متوسط يجمع المسائل الاعتقادية خاليا من ذكر الخلاف الكثير والمناقشات الطويلة . وهذا ما دعا سيدنا الجد العلامة الكبير الشيخ حسن الشطي رحمه الله تعالى الى اختصار شرح السفاريني المنوه به فانه جرد منه المسائل التوحيدية . والمباحث العلمية . وترك الخلاف والمناقشات والأطناب . قاصداً بذلك افادة الطلاب . وقد انتشر هذا المختصر وانتفعت به الحنابلة في بلاد الشام ونابلس ومصر من حياة المؤلف حتى الآن . ولم يغن عنه طبع اصله المذكور للفائدة المذكورة فانه طبع في مصر سنة ١٣٢٣ طبعاً حسناً في جزئين وعليه ترجمة المؤلف وفهرس مفصل . اما هذا المختصر فانه في نحو الربع من الاصل وهو اختصار بدون زيادة خلافا للمختصر الذي وضعه الفاضل الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع النجدي وطبعه في الهند سنة ١٣٣٦ فانه بالغ في الاختصار واتى بزيادات لم تسلم له حتى عند ذويه النجديين سامحه الله . ولما قلت نسخ مختصرنا المذكور وكثرت طلابه من الحنابلة وغيرهم احببت ان ابادر الى طبعه وتعميم نفعه والله الهادي وعليه اعتمادي

كتبه الفقير محمد جميل الشطي

مفتي الحنابلة بدمشق

عفي عنه

ترجمة المختصر

من مختصرنا في طبقات الحنابلة

وتاريخنا روض البشر

هو الشيخ الامام العلامة المحقق الفقيه النحوي الفرضي الحيسوبي الثقة الورع شيخ الحنابلة وامام الفرضيين - حسن بن عمر بن معروف الشطي الدمشقي مولداً ووفاة البغدادي اصلاً · ولد في صفر سنة ١٢٠٥ ونشأ في حجر والده المتوفى سنة ١٢١٨ فشرع في طلب العلم وادرك الشمس الكزبري والشهاب العطار فاخذ عنهما وتفقه على الشيخ مصطفى السيوطي والشيخ غنام النجدي وحضر في الفرائض والنحو على الشيخ عبد الله الكردي الحيدري وقرأ على ملا علي افندي السويدي والشيخ خليل الخشة والشيخ عبد الرحمن الطيبي وغيرهم · ورحل الى بغداد سنة ١٢٢٦ فاستجاز من الشيخ محمد البكيري وحج سنة ١٢٣٢ فاستجاز من الشيخ محمد طاهر الكوراني · وقد كان رحمه الله متبحراً في العلوم ، متحلياً بالمنطوق منها والمفهوم ، خدم مذهب الامام احمد الخدمة التامة فكان حامل لوائه وانتهى اليه علم الفرائض فكان محيي رمته · انفرد بالفقه الحنبلي في عصره حتي رحل اليه الطالبون من الديار النابلسية والبلاد النجدية ودوما والرحيبة وضمير فاخذوا عنه الفقه اصولاً وفروعاً خلفاً بعد سلف · كما انفرد بعلم الفرائض دون ان يتعاطى اعمال الفرضيين حتى ندب لذلك جماعة فاخذوا عنه الفرائض والحساب والمساحة وانتشرت هذه الفنون بدمشق وغيرها · وكانت دروسه في داره قرب باب السلام وفي محراب الحنابلة من الجامع الاموي · وتولى المدرسة البادرائية والتدريس بها · وكان شأنه العلم والعبادة وكسبه كاسلافه من التجارة الخالصة على طريقة السلف · وله في الدين والورع امور كثيرة شهيرة · وقد الف المؤلفات النافعة فمنها

في الفقه (منحة مولي الفتح في تجريد زوائد الغاية والشرح) مجلد وفي النحو شرح على الاظهار مجلد وفي التوحيد مختصر شرح عقيدة السفاريني (هذا) . وكتاب في المساحة مجلد . وشرح على رسالة في ان المصدرية . وشرح على الكافي في العروض والقوافي . وشرح مختصر على حزب النواوي . ومنسك . ومعراج . ومولد . وثبت . وعقيدة . ورسالة في البسملة . ورسالة في فسخ النكاح وقد طبعتهما مع مبحث له في التلفيق بدمشق سنة ١٣٢٨ .
واخذ عن صاحب الترجمة من لا يحصى من دمشق وغيرها ومن اشهر تلامذته مفتي دمشق محمود افندي حمزه واخوه اسعد افندي والشيخ بكري والشيخ عمر والشيخ ابراهيم احفاد الشهاب العطار والمفتي الشافعي محمد افندي الغزي والمفتي الحنبلي سعيد افندي السيوطي والشيخ محمد الطيبي مفتي حوران والشيخ عبد الله القدومي عالم نابلس والشيخ محمد خطيب دوما وغيرهم . ولم يزل المترجم على طريقته المثلى الى ان توفي ليلة السبت في ١٤ جمادي الثانيه سنة ١٢٧٤ ودفن بمحفل عظيم في مقبرة بني الشطي من تربة البغادة في السفح القاسيوني وارخ وفاته العلامة الحمزاوي المشار اليه بابيات منها قوله :

يافاضلاً في كل فن من بعده الفضل عقيم
ومن له فينا منن مازت لنا الفهم السقيم
حررت لما ان سكن في ظل مولاه الرحيم
تاريخه الشطي حسن يقر في دار النعيم

وقد ذكره تلامذته المومأ اليهم في اثباتهم واجازاتهم وترجمه العلامة البيطار والاستاذ القاسمي والسيد تقي الدين في تواريخهم واثنوا عليه قدس الله روحه آمين

***



الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ، اما بعد فان شرح العقيدة المسمى لوامع الانوار البهية ، لشرح الدرة المضية ، في عقد الفرقة المرضية ، قد ضمنه مؤلفه ما يبهر العقول ، من صحيح المنقول وصريح المعقول فصار بحراً زاخرا لاساحل له ، وتيها واسعالا اول له ، وذكر فيه المذاهب والاقوال في هذا الباب ، و بين الصحيح وما يرد بما تتحير فيه اولو الالباب ، توقف عن السلوك فيه المبتدي ، واستصعبه الفاضل المنتهي ، مع اشتماله على ما يحتاج اليه ، وجمع متفرق كلام الاصحاب المعول عليه ، فقلت مالا يدرك كله لا يترك جله ، وعزمت على اختصاره مستعينا بالقوي المتين ، فانه خير ولي ومعين

قال رحمه الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي تقدست عن الاشباه ذاته ، وتنزهت عن سمات الحدوث صفاته ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ندولا ضد فالكل خلقه واليه غاياته ، واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله من بهرت العقول معجزاته ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه ما دامت آلاء الله وارضه وسمواته ، اما بعد فيقول الفقير الى مولاه العلي ، محمد بن الحاج احمد السفار يني الاثري الحنبلي ، قد كان في سنة ثلاث وسبعين بعد المائة والالف طلب مني بعض اصحابنا ان انظم امهات مسائل اعتقادات اهل الاثر فتعللت باشتغال البال ، فالح في السؤال ، فلما لم يندفع نظمت امهات مسائل عقائد السلف وسميتها (الدرة المضية في عقد اهل الفرقة المرضية) وعدتها مائتا بيت و بضعة عشر ثم بعد تمام نظمها الح المذكور على تصنيف شرح لهذا العقد فأجبتهم انجاحا لمطلوبهم وعولت فيما قصدت على المولى الجواد الجليل ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وسميته : (لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية) .

ولاقدم امام المطلوب مقدمة تشتمل على عشر تعريفات مهمة (الاولـــ) اعلم ان الملة المحمدية تنقسم الى اعتقاديات وعمليات فالاعتقاديات هي الـتي لم تتعلق بكيفية عمل وتسمى اصلية والعمليات هي ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية فالمتعلق بالعملية علم الشرائع والاحكام لانها لا تستفاد الا من جهة الشرع والمتعلق بالاعتقاديات هو علم التوحيد والصفات وعلم الكلام واصول الدين ولما كان هذا العلم اهم لابتناء العمليات عليه اوردوا البراهين والحجج عليه واكتفوا في العمليات بالظن المستفاد من الادلة السمعية · وعلم الكلام هو علم يقتدر به على اثبات العقائد الدينية · وموضوعه هو المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقـائد الدينية اذ موضوع كل علم ما يبحث في ذلك العلم عن عوارضه الذاتية ولا شك انه يبحث في هذا العلم عن احوال الصانع من القدم والوحدة والقدرة والارادة وغيرها ليعتقد ثبوتها له تعالى وكذلك ما يبحث فيه عن الجواهر والاعراض والاجسام والحدوث والافتقار والتركيب من الاجزاء وقبول الفناء ونحوذ لك مما لا يجوز عليه تعالى وهذا اولى من زعم أن موضوعه ذات الله تعالى وتقدس للبحث عن صفـاته وافعاله · واستمـداد هذا الفن من الكتاب والتفسير والحديث والفقه والاجمـاع والنظر · ومسائله القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية · وغايته ان يصير الايمان والتصديق بالاحكام الشرعيـة متقنا محكما لا تزلزله شبهة من شبه المبطلين · ومنفعته في الدنيا انتظام امر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التي يحتاج اليها في ابقاء النوع الانساني على وجه لا يؤدي الى الفساد وفي الآخرة النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد وسيأتي حد كل بحث من هذا عند ذكره في النظم ان شاء الله تعالى (الثاني) اعلم ان الصحابة الكرام قد تنازعوا في كثير من مسائل الاحكام وهم سادات المؤمنين واكمل الامة ايمانا بلا انفصام، ولكن بحمده تعالى لم يتنازعوا في مسئلة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والافعال بل كلهم على اثبات ما نطق به الكتاب والسنة على كل حال فكلمتهم واحدة من اولهم الى آخرهم لم يسوموها تأويلا ولم يبدوا لشيء منها

ابطالا ولم يقل احد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها . بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالايمان والتعظيم ، (الثالث) الرأي مصدر وهو التفكر في مبادئ الامور ونظر عواقبها وعلم ما يؤول اليه من الخطأ والصواب . وقد نهى الصديق ثم الفاروق ومن بعدهما من الصحابة عن القول بالرأي . واضل كل رأي وابطله الرأي المتضمن لتعطيل اسماء الرب وصفاته وافعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها اهل البدع فردوا لأجلها الفاظ النصوص وحرفوا المعاني ثم ان الرأي المذموم هو المجرد الذي لادليل عليه من كتاب ولاسنة واما الرأي المستند الى الاستدلال من النص فهذا من الطف فهم النصوص (الرابع) الخبر . ان طابق ما في الخارج فهو صدق وان لم يطابق الواقع في الخارج فهو كذب ولا فرق في ذلك بين اعتقاد المطابقة مع الصدق او عدمها مع الكذب و بين ان لا يعتقد شيأ او يعتقد عدم المطابقة مع وجودها او يعتقد وجودها مع عدمها فاذا علم هذا علم انه لا واسطة بين الصدق والكذب وهذا مذهب اهل الحق (الخامس) تعريف المتواتر والآحاد . التواتر اصطلاحا خبر عدد يمتنع معه لكثرته تواطؤ على كذب عن محسوس او عن عدد كذلك الى ان ينتهي الى محسوس من مشاهدة او سماع . والحاصل بخبر التواتر ضروري عنداصحابناوالاكثر . فالعلم الضروري ما اضطر العقل الى التصديق به وهذا كذلك ثم اعلم ان خبر التواتر لا يولد العلم بل يقع العلم عنده بفعل الله تعالى عند الفقهاء وغيرهم من اهل الحق خلافا لمن قال بالتولد . واما الآحاد فهو ما عدا التواتر فدخل مستفيض مشهور وعزيز [1] وخبر الآحاد ان كان مستفيضا مشهورا افاد علما نظرياوقيل يفيد القطع وغير المستفيض يفيد الظن فقط ولو مع قرينه عند الاكثر ، وقال الموفق وابن حمدان والطوفي وجمع انه يفيد العلم بالقرائن قال المرداوي في شرح التحريروهذا اظهر واصح (السادس) يعمل بخبر الاحاد في اصول الدين وحكى الامام ابن عبد البر الاجماع على ذلك (السابع) المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم واعيان التابعين لهم باحسان واتباعهم

---

(١) المستفيض المشهور هو ما زاد نقلته على ثلاثة عدول والعزيز هو ما لا تنقص نقلته عن عدلين اهـ من الاصل

وائمة الدين ، لكن لما كان فشو البدع وظهورها بعد المائتين واظهر المأمون القول بخلق القرآن وظهر مذهب الاعتزال وكان الذي قام في نحورهم ورد مقالتهم وابطال مذهبهم وتزييفه سيدنا الامام احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه نسب مذهب السلف اليه وعول اهل عصره من اهل الحق فمن بعدهم عليه ، والا فهو المذهب المأثور ، والحق الثابت المشهور ، لسائر ائمة الدين فالأئمة الاربعة والبخاري ومسلم وغير هؤلاء كلهم عقيدة واحدة سلفية اثرية وان كان الاشتهار للامام احمد للعلة التي ذكرناها حتى ان الشيخ ابا حسن الاشعري رضى الله تعالى عنه قال في كتابه اصول الديانة ما نصه بحروفه فان قال قائل قد انكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما روى عن الصحابة والتابعين وائمة الحديث فنحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه الامام احمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون ولمن خالف قوله مجانبون ؛ لانه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي ابان الله تعالى به الحق عند ظهور الضلال واوضح به المنهاج وقمع به المبتدعين فرحمة الله تعالى عليه من امام مقدم ، وكبير مفهم ، وعلى جميع ائمة المسلمين انتهى (الثامن) قال الجلال السيوطي في الاوائل اول من تفوه بكلمة خبيثة في الاعتقاد الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بني امية فقال بان الله تعالى لا يتكلم قال شيخ الاسلام اصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبع اصلها في اواخر عصر التابعين . ولما كان بعد المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التى كان السلف يسمونها مقالة الجهمية وكلام الائمة في هؤلاء في ذمهم وتضليلهم معروف (التاسع) مذهب في السلف هو المذهب المنصور ، والحق الثابت المأثور ، قال الحافظ ابن رجب وفي زماننا تتعين كتابة كلام ائمة السلف المقتدى بهم الى زمن الشافعي واحمد واسحق وابي عبيد وليكن الانسان على حذر مما حدث بعدهم . وفي الآداب للعلامة ابن مفلح رحمه الله تعالى عن الطبراني قال حدثنا عبد الله ابن الامام احمد قال حدثني ابي قال قبور

اهل السنة من اهل الكبائر روضة وقبور اهل البدعة من الزنادقة حفرة . فساق اهل السنة اولياء الله تعالى وزهاد اهل البدعةاعداء الله تعالى (العاشر)اعلم رحمك الله تعالى ان اصطلاحي في هـذا الشرح الاستدلال بالكتاب القديم ، و بقول النبي الكريم ، عليـه افضل الصلاة واتم التسليم ، واقتفاء الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم . وما درج عليه الرعيل[1] الاول من القرون المفضلة مما تلقاه ائمة الدين بالقبول . وان زعم متخذلق[2] انه يباين العقول فهو كلام باطل فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها . ومرادي بالشيخ او شيخ الاسلام حيث اطلق شيخ الاسلام ابن تيمية . ومرادي بالمحقق تلميذه ابن القيم . و بالعلامة ابن مفلح وهذا اوان الشروع في المقصود (بسم الله) اي باسم مسمى هـذا اللفظ الاعظم الموصوف باوصاف الكمال فالباء متعلقة بمحذوف وتقديره فعلا خاصا مؤخرا اولى من تقديره اسما عاما مقدما فتقدير اؤلف عند التأليف اولى من ابتدئ وكذا عند القراءة ونحو ذلك وحذفت همزة الوصل من الاسم خطا كما حذفت لفظاً وكتبت الباء متصلة بالسين لكثرة الاستعمال وطولت البـاء للتعظيم ولتكون كالعوض عن الهمزة وهي للاستعانة او المصاحبة او التعدية اي اقدم اسم الله تعالى واجعله ابتداء نظمي وتأليفي والاسم لغة ما دل على مسمى وعرفا مادل مفردا على معنى في نفسه ولم يقترن بزمان والتسمية جعل اللفظ دالا على المعنى وهو مشتق عند البصريين من السمو وهو العلو لانه يدل على مسماه فيعليه و يظهره وعند الكوفيين من السمة وهي العلامـة لانه علامة على مسماه — فائدة — الاسم فى حق المخلوق غير المسمى وفي الخالق تعالى لا غير ولا عين قال الامام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى في كتـابه بدائع الفوائد اسماء الله تعالى الحسنى التي في القرآن من كلامه تعالى وكلامه غير مخلوق ولا يقال هي غيره ولا هي هو وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون اسماؤه غيره وهى مخلوقة انتهى والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وهو عربي عنـد الاكثر . واكثر محققي النظار على عدم اشتقاقه بل هو اسم

---

(١) الرعيل الجماعة الفرس (٢) التخذلق اظهار الحذق وادعاء المرء اكثر مما عنده



مفرد مرتجل للحق جل شأنه (الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من رحم بجعله لازما بنقله الى باب فعُل بضم العين او بتنزيله منزلة اللازم اذ هما صفتان مشبهتان وهي لا تشتق من متعد والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالبا فالرحمن صفة في الاصل بمعنى كثير الرحمة جدا ثم غلب على البالغ في الرحمة غايتها وهو الله تعالى والرحيم ذو الرحمة الكثيرة واتى به بعد الرحمن الدال على جلائل النعم اشارة الى ان مادل عليه من دقائق الرحمة وان ذكر بعد مادل على جلائلها الذي هو المقصود الاعظم مقصود ايضاً لئلا يتوهم انه غير ملتفت اليه ٠ ورحمة الله جل شأنه صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي التفضل والانعام واما تفسيرها برقة في القلب تقتضي التفضل فالتفضل غايتها فيراد منها غايتها كما يقوله من يقوله من المتكلمة كالزمخشري وغيره من النظار فهذا انما يليق برحمة المخلوق لا برحمة الخالق تعالى وتقدس و بينهما بون ونظير ذلك العلم فان حقيقة علمه تعالى القائمة به ليست مثل الحقيقة القائمة بالمخلوق بل نفس الارادة التي يرد بعضهم الرحمة اليها هي في حقه تعالى مخالفة لارادة المخلوق اذ هي في المخلوق ميل قلبه الى الفعل او الترك والله تعالى منزه عن ذلك و كذلك رد الزمخشري لها في حقه تعالى الى الفعل بمعنى الانعام والتفضل فان فعل العبد الاختياري انما يكون لجلب نفع للفاعل او دفع ضرر عنه ولا كذلك فعله تعالى فما فر منه اهل التأويل موجود فيما فروا اليه من المحذور و بهذا ظهر انه لا حاجة الى دعوى المجاز في رحمته تعالى فانه خلاف الاصل وهو انما يصار اليه عند تعذر حمل الكلام على حقيقته ولا تعذر هنا كما لا يخفى وايضا معيار المجاز صحة نفيه كما اذا قيل زيد اسد او بحر لشجاعته او كرمه فانه يصح ان تقول ليس باسد او ليس بحر وهذا مما لا خلاف فيه ولا يصح ان يقال الله تعالى ليس برحيم فلو كانت الرحمة مجازا في حقه تعالى لصح ذلك ولا ريب ان الرحمة صفة كمال والحاصل ان الصفة تارة تعتبر من حيث هي هي وتارة تعتبر من حيث قيامها به تعالى وتارة من حيث قيامها بغيره وليست الاعتبارات متماثلة اذ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله والكلام على الصفات فرع عن

الكلام في الذات كما انا نثبت ذاتا ليست كالذوات فلنثبت رحمة ليست كرحمة المخلوق

(الحمـد لله القديم الباقي   مسبب الاسباب والارزاق)

(الحمد) لغة الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل وعرفا فعل ينبيء عن تعظيم المنعم على الحامد وغيره وال في الحمد للجنس او الاستغراق او العهد اى كل الحمد مستحق او جنسه مختص ومملوك (لله) وان كانت ال للعهد فالمعهود ثناء الله تعالى على نفسه وثناء ملائكته ورسله وانبيائه وخواص خلقه واللام في لله للملك او الاستحقاق او الاختصاص ولما ابتدأ بالبسملة ابتداء حقيقيا اعقبها بالحمدلة ابتداء اضافيا (القديم) نعت لله تعالى وهو اسم من اسمائه والقديم هو الذي لم يسبق وجوده عدم فانه سبحـانه وتعالى متصف بالقدم وهي صفة سلبية في اصطلاحهم والصفات السلبية مامدلولها عدم امر لا يليق به تعالى فقدمه تعالى ذاتي واجب له تعالى غير مسبوق بعـدم اذ هو تعالى لا ابتداء لوجوده (الباقي) مشتق من البقاء وهو امتناع لحوق العدم والبقاء صفة واجبة له تعالى كما وجب له القدم لان ما ثبت قدمه استحال عدمه —تنبيه— نقل بعض المحققين ان البقاء صفة نفسية وعن الاشعري انها صفة معنى والمشهور عند المتكلمين المحققين انها صفة سلبية كالقدم ومنهم من ذهب الى ان القدم سلبي والبقاء وجودي ومعنى ماذكرنا انه تعالى لا يشاب بالعدم وهذا من نعوت الجلال والجلال عبارة عن الصفات السلبية ففي القدم سلب الحدوث وفي البقاء سلب الفناء ولحوق العدم فنعوت الجلال كالقوام للكمال (مسبب الاسباب) المتوصل بها الى مسبباتهـا اى خالق الاسباب المتوصل بها الى المطلوب فان قلت هل من اسمـائه تعالى المسبب حتى اطلقته عليه مع ان اسمائه توقيفية ام كيف الحكم قلت ذكر غير واحد من المحققين منهم الامام المحقق في بدائع الفوائد ان ما يطلق عليه سبحانه وتعالى في باب الاسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه في باب الاخبار لا يجب ان يكون توقيفيا كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه (و) مقدر (الارزاق) بالفتح جمع رزق بالكسر ماينتفع به من حلال وحرام

(حي عليم قادر موجود   قامت به الاشياء والوجود)

(حي) اي لم يزل موجودا و بالحياة موصوفا وسائر الاحياء يعترضهم الموت والعدم في احد الطرفين (١) او فيهما معا — كل شيء هالك الا وجهه — والحياة صفة ذاتية حقيقية قائمة بذاته تعالى (عليم) بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم خلقه (قادر) اي ذو القدرة التامة والقدرة عبارة عن صفة يوجد بها المقدور على طبق العلم والارادة (موجود) سبحانه وتعالى بالوجود القديم لان العالم وكل جزء من اجزائه حادث ومفتقر من حيث وجوده وعدمه اليه تعالى من حيث صانعيته وايجاده اياه وصانع العالم المحتاج اليه في وجوده لا يكون الا واجبا بخلاف وجود غيره فانه جائز (قامت) اي وجدت واستمرت (به) سبحانه وتعالى (الاشياء) كلها من الجواهر والاعراض العلوية والسفلية (و) قام به (الوجود) لكل موجود سواه ، فهو الذي خلقه وسواه ، واحدثه وانشاه ، فوجود الباري صفة له واجب قديم، ووجود غيره جائز محدث باحداث الخالق الحكيم . وعطفه على الاشياء من عطف الخاص على العام للتنصيص عليه رداً على القائلين بكلية الوجود ووحدته وانه قديم وانه موجود في الخارج وهذا ضرب من الهذيان فانه من المعلوم بصريح العقل وصحيح النقل ان الخالق المبدع ليس هو المخلوق ولا جزأ من اجزائه ولا صفة من صفاته تعالى وتقدس عما يقولون علواً كبيرا

(دلت على وجوده الحوادث سبحانه فهو الحكيم الوارث)

(دلت) دلالة عقلية قطعية (على وجوده) سبحانه وتعالى (الحوادث) جمع حادث وهو خلاف القديم (سبحانه) وتعالى وهو اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وانتصابه بفعل متروك اظهاره (فهو الحكيم) اي المتقن لخلق الاشياء بحسن التدبير

---

(١) وجد هنا على هامش نسخة المختصر بخط ولده سيدي الشيخ احمد الشطي مفتي الحنابلة الاسبق ما نصه :

الطرفان هما الوجود والحيوة فلو فرضنا شيئاً موجوداً حياً وانعدم ومات فباعتبار كونه كان موجوداً ثم اتصف بالعدم اعترضه العدم من بعد الوجود و باعتبار موته من بعد اتصافه بالحيوة اعترضه الموت من بعد الحيوة وباعتبار الوصفين معا اعترضه الوصفان المضادان لهما ام

و بديع التقدير، بحيث يخضع العقل لرفعته، و يشهد باتقان صنعته، والحكيم من اسماءه تعالى وهو ذو الحكمة وهي اصابة الحق بالعلم فالحكمة منه تعالى علم الاشياء وايجادها على غاية الاحكام (الوارث) اي الباقي بعد فناء الخلق والمسترد لاملاكهم ومواريثهم بعد موتهم قال تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون

(ثم الصلاة والسلام سرمدا   على النبي المصطفى كنز الهدى)

(ثم الصلاة) وهي من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن غيرهم التضرع والدعاء بخير (والسلام) بمعنى التحية والسلامة من النقائص والرذائل (سرمدا) اي دائماً متصلاً والسرمد الدائم (على النبي) وهو انسان اوحى اليه بشرع وان لم يؤمر بتبليغه فان امر بتبليغه فهو رسول ايضاً على المشهور (المصطفى) اي المختار والمستخلص مأخوذ من الصفوة (كنز) اي معدن ومقر (الهدى) وموضعه الذي نشأ عنه والكنز في الاصل المال المدفون تحت الارض والهدى مصدر ومعناه الرشاد والدلالة ولو غير موصلة

(وآله وصحبه الابرار   معادن التقوى مع الاسرار)

(و) الصلاة والسلام الدائمان على (آله) صلى الله عليه وسلم وهم اتباعه على دينه (و) الصلاة والسلام الدائمان على (صحبه) اسم جمع لصاحب والمراد بالصاحب هنا الصحابي والصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمناً ولو لحظة ومات على ذلك ولو تخلله ردة (الابرار) جمع البر او البار وهو الصادق (معادن) جمع معدن وهي المواضع التي يستخرج منها جواهر الارض والعدن الاقامة والمعدن مركز كل شيء (التقوى) ومواضعها والتقوى لغة الحجز بين شيئين وشرعاً التحرز بطاعة الله تعالى عن مخالفته وامتثال امره واجتناب نهيه (مع الاسرار) البديعة والاحوال الرفيعه والسر ما استودعته لاخيك وكرهت ان يطلع عليه احد • تنبيه • ذكر الحافظ ابو زرعة ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يزيدون على مائة الف وروى انهم مائة الف واربعة وعشرون الفا ممن روى عنه وسمع منه صلى الله تعالى عليه وسلم قلت جزم بهذا العدد الجلال السيوطي

(وبعد فاعلم ان كل العلم   كالفرع للتوحيد فاسمع نظمي)

(وبعد) الواو بدل عن اما النائبة عن مهما ولتضمنها معنى الشرط لزمت الفاء في جوابها وبعد من الظروف ويؤتى بها للانتقال من اسلوب الى غيره اي بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه ويستحب الاتيان بها في الخطب والمكاتبات (فاعلم) الفاء في جواب الواو النائبة عن اما والعلم صفة يميز المتصف بها بين الجواهر والاجسام والاعراض والواجب والممكن والممتنع تمييزاً جازماً مطابقاً (ان كل العلم) اي سائر العلوم الشرعية وكذا العقلية (كالفرع لـ) علم ا (لتوحيد) المتفرع عليه والناشئ عنه (فاسمع) سماع فهم وعرفان (نظمي) لامهات مسائله والتوحيد تفعيل للنسبة كالتصديق والتكذيب لا للجعل فمعنى وحدت الله تعالى نسبته للوحدانية لا جعلته واحداً فان وحدانية الله تعالى ذاتية له ليست بجعل جاعل والتوحيد التصديق بما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الخبر الدال على انه تعالى واحد في الوهيته لا شريك له والتصديق بذلك الخبر ان ينسب الى الصدق ومطابقة الواقع بالقلب واللسان معاً لأنا نعني بالتوحيد هنا الشرعي وهو افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتٍ وافعالاً فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه ولا تشبه صفاته الصفات ولا تنفك عن الذات ولا يدخل افعاله الاشتراك . وانما كانت العلوم كالفرع لعلم التوحيد لانه اشرف العبادات وشرط في صحة كل عبادة وشرط لقبول الاعمال وانما سمي هذا العلم بالتوحيد لانه اشهر مسائله

(لأنه العلم الذي لا ينبغي   لعاقل لفهمه لم يبتغ)

(لأنه) اي علم التوحيد (العلم) العظيم القدر (الذي لا ينبغي) اي لا يطلب ولا يحسن (لعاقل) من ذكر وانثى (لفهمه) اي لادراك صور معرفته في ذهنه واقتداره على الانصاف بالعلم به (لم يبتغ) اي لم يطلبه ويدأب في تحصيله ليكون في ايمانه على بصيرة ، ويباين اهل الشك والريب والحيرة ،

(فيعلم الواجب والمحالا   كجائز في حقه تعالى)

(فيعلم الواجب) اي يجب على كل مكلف شرعاً ان يعرف مايجب لله تعالى وهو مالا يتصور في العقل عدمه كوجوده تعالى ووجوب قدمه (و) يعلم (المحالا) وهومالا يتصور في العقل وجوده كالشريك له تعالى والفه للاطلاق (كجائز) وهوما يصح في نظر العقل وجوده وعدمه على السوآء كارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرائع ونسخ بعضها ببعض الى سائر ما يجوز (في حقه تعالى) وتقدس ومثل ذلك لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

(وصار من عادة اهل العلم   ان يعتنوا في سبر ذا بالنظم)

(وصار) في هذه الازمنة ومن قبلها (من عادة اهل العلم) بالسنة (ان يعتنوا) اي يقصدوا ويهتموا (في سبر) اي تتبع مهمات مسائل (ذا) اي هذا العلم (بالنظم) لسهولة حفظه

(لانه يسهل للحفظ كما   يروق للسمع ويشفي من ظما)

(لأنه) اي المنظوم (يسهل) سهل لان ويسر (للحفظ كما يروق) اي يحسن ويلذ (للسمع ويشفي) اي يبرئ (من ظما) اي من شدة عطش واشتياق الى معرفة اصول علم التوحيد

(فمن هنا نظمت لي عقيده   ارجوزة وجيزة مفيده)

(فمن هنا) اي من اجل ماذكرنا (نظمت) النظم التأليف (لي) ولمن كان مثلي (عقيدة ارجوزة) اي مرجزة النظم من بحر الرجز (وجيزة) اى قليلة (مفيدة) اي مربحة لمن قرأها

(نظمتها في سلكها مقدمه   وستُ ابواب كذاك خاتمه)

(نظمتها في سلكها) اي خيطها (مقدمة) بكسر الدال على الافصح من قدم بمعنى تقدم ومقدمة العلم ما يتوقف الشروع فيه عليها (وست ابواب) جمع باب وهوفرجة في ساتر يتوصل بها من خارج الى داخل ومن داخل الى خارج وفي العرف اسم طائفة من العلم يشتمل على فصول وفروع ومسائل غالبا (كذاك) يشتمل على (خاتمة) وهي في اللغة عاقبة الشيء وآخرته وهنا من هذا القبيل ما يأتي به المصنف او الناظم

في آخر كتابه او في آخر بحث او مسئلة لتعلقها بما تقدمها في الجملة * وهذه فهرسة ما ذكرنا (المقدمة) في ترجيح مذهب السلف على غيره (الباب الاول) في معرفة الله تعالى وما يتعلق بذلك (الثاني) في الافعال (الثالث) في الاحكام والكلام على الايمان ومتعلقات ذلك (الرابع) في بعض السمعيات من الحشر والنشر واشراط الساعة ونحو ذلك (الخامس) في النبوات ومتعلقاتها وفضل الصحابة (السادس) في ذكر الامامة ومتعلقاتها (والخاتمة) في فوائد جليلة

(سميتهـا بالدرة المضيه في عقد اهل الفرقة المرضية)

ولما نظمت هذه العقيدة (سميتها) من السمة وهي العلامة (بالدرة) بضم الدال المهملة وفتح الرآء المشددة اللؤلؤة العظيمة (المضيه) اي المنورة (في عَقْدِ) اي اعتقاد (اهل الفرقة) اي الطائفة (المرضية) في اعتقادها

(على اعتقاد ذي السداد الحنبلي امام اهل الحق ذي القدر العلي)

(على اعتقاد) متعلق بنظمت والاعتقاد هو حكم الذهن الجازم فان كان موافقاً للواقع فهو صحيح والا فهو فاسد (ذي) اي صاحب (السداد) بفتح السين القصد في الدين والسبيل والمراد بذي السداد هو الامام الامجد امامنا ابو عبد الله احمد بن بن محمد بن حنبل المَرْوَزي ثم البغدادي (الحنبلي) نسبة الى جده (امام اهل الحق ذي القدر) اي المقدار (العلي) اي المرتفع لكثرة فضائله وتوفر محامده ومناقبه وآثاره في الاسلام المشهورة ومقاماته في الدين المذكورة فقد انتشر ذكره في البلاد وعم نفعه العباد فان الامام اسحق بن راهوية الامام احمد حجة بين الله تعالى و بين عبيده في ارضه

(حبر الملا فرد العلا الرباني رب الحجى ماحي الدجى الشيباني

(حبر الملا) بفتح الحآء وكسرها وسكون البآء العالم والصالح والملا بفتح الميم واللام مهموز اشراف الناس (فرد) اى واحد صاحب الخصال (العلا) اي المرتفعة (الرباني) اي العالم العامل المعلم للعلم غيره وهو منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون للدلالة على كمال الصفة وهو الشديد التمسك بدين الله تعالى وطاعته

(رب) اي صاحب (الحجى) كالى العقل والفطنة كان سيدنا الامام احمد رضي الله تعالى عنه ربعة من الرجال حسن الوجه والهيئة لا يخوض في شيء من امور الناس ذا وقار وسكينة من احيا الناس واكرمهم نفسا واحسنهم عشرة لا يسمع منه الا المذاكرة بالحديث وذكر الصالحين (ماحي) بنور السنة اي مذهب اثر (الدجى) اى ظلمة البدعة يقال دجي الليل اي اظلم (الشيباني) نسبة الى احد اجداده شيبان المذكور في نسبه ·

❋ فإنه امام اهـل الاثر فمن نحا منحاه فهو الأثريـ ❋

❋ سقي ضريحا حله صوب الرضى والعفو والغفران ما نجم اضا ❋

❋ وحله وسائر الائمـه منازل الرضوان اعلى الجنة ❋

(فانه) اي الامام احمد (امام اهل) اي اصحاب (الاثر) يعني الذين يأخذون عقيدتهم من المأثور (فمن) اي اي انسان (نحا) اي قصد (منحاه) اي مقصده (فهو) اى ذلك الذاهب (الأثري) اي المنسوب الى العقيدة الأثرية والفرقة السلفية ولد رضي الله تعالى عنه في شهر ربيع الاول سنة اربع وستين ومائة ببغداد وتوفي نهار الجمعة من ربيع الاول لاثنتى عشرة ليلة خلت منه سنة احدى واربعين ومائتين وغسله المروزي وحزر من صلى عليه بمائة الف الف وعلى السور نحو ستين الف سوى من كان في السفن وكان رضي الله تعالى عنه يقول قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز واسلم من اليهود والنصارى والمجوس يوم موته عشرون الفا وناحت الجن عليه وهتفت بموته الهواتف (سقى ضريحا) اي قبرا (حله) اي سكنه ونزل به (صوب) فاعل سقي وهو بفتح الصاد وسكون الواو انصباب الغيث اي غيث (الرضى) واراقته على قبره وانصبابه على ضريحـه اي رضوان الله ورحمته (و) سقي ضريحا حله صوب (العفو) من الله تعالى (والغفران) من الغفر وهو الستر ولا يزالـ على ضريحه متواصلاً ومستمراً (ما نجم) اي كوكب (اضا) اي استنار (وحله) اي احله (وسائر) اي بقية (الائمة) من علماء الامة (منازل الرضوان) من الرحيم الرحمن (اعلى الجنة) اي الدرجات العاليه من الجنان ·

المقدمة في ترجيح مذهب السلف

* اعلم هديت انه جاء الخبر * عن النبي المقتفى خير البشر
* بان ذي الأمة سوف تفترق * بضعا وسبعين اعتقادا والمحق
* ما كان في نهج النبي المصطفى * وصحبه من غير زيغ وجفا

(اعلم) فعل امر اي كن متهيئاً ومتفهماً لادراك ما يلقى اليك (هديت) جملة معترضة دعائية (انه) اي الشأن (جاء الخبر) يعني الحديث (عن النبي المقتفى) اي المختص المتبع (خير البشر بأن ذي) اي هذه (الأمة) المحمدية (سوف تفترق) فيما بعد (بضعاً) أي الى بضع (وسبعين) فرقة والبضع ما بين الثلاث الى التسع (اعتقادا) أي افتراقهم لاجل الاعتقاد (والمحق) من جميعها طائفة واحدة وهي (ما كان) سيرها واعتقادها (في نهج) أي منهج (النبي المصطفى) أي صفوة خلق الله (وصحبه من غير زيغ) أي من غير ميل (و) من غير (جفا) بالجيم أي من غير تجافٍ عن هديهم والجفاء نقيض الصلة و يقصر والمشار اليه في البيتين هو ما رواه سيدنا الامام احمد من حديث معاوية رضي الله تعالى عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة ورواه ابو داود وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال ستفترق امتي ثلاثا وسبعين فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة فقيل من هم يا رسول الله يعني الفرقة الناجية فقال هو من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي قال بعض العلماء هم يعني الفرقة الناجية اهل الحديث يعني الاثرية والاشعرية والماتريدية

* وليس هذا النص جزما يعتبر * في فرقة الا على اهل الاثر

(وليس هذا النص) المذكور (جزما) يحتمل المصدر أي ايجزم به جزما اوانه

مفعول لاجله أي من جهة الجزم واليقين (يعتبر) أي يستدل به و يوافق (في فرقة) أي لا ينطبق و يصدق على فرقة من الثلاث والسبعين فرقة (الا على) فرقة (اهل الاثر) وما عداهم من سائر الفرق قد حكموا المعقول وخالفوا المنقول .

﴿ فائدة ﴾ اهل السنة والجماعة ثلاث فرق [الاثرية] وامامهم الامام احمد رضي الله تعالى عنه [والاشعرية] وامامهم ابو حسن الاشعري رحمه الله تعالى [والماتريدية] وامامهم ابو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى [واما] فرق الضلال فكثيرة جداً قال بعض اهل العلم اهل البدع خمسة يعني من جهة اصولها ثم كل واحدة تتشعب وتفترق فرقاً شتى [احدها] المعتزلة القائلون بان العباد خالقوا اعمالهم و ينفون روية الله تعالى في الآخرة وهم عشرون فرقة يضلل بعضهم بعضاً ، الواصلية ، العمرية ، الهذلية ، النظامية ، الاسوارية ، الاسكافية ، الجعفرية ، البشرية ، المردارية ، الهشامية ، الصالحية ، الخائطية ، الحدبية ، المعمرية ، الثمامية ، الخياطية ، الجاحظية ، الكعبية ، الجبائية ، الهاشمية

[الفرقة الثانية] الشيعة الشنيعة ، وافترقت الى اثنتين وعشرين فرقة واصول ذلك كله ثلاث فرق [غلاة وامامية وزيدية] اما الغلاة فافترقت ثمانية عشر فرقة يكفر بعضها بعضا السبائية ، الكاملية ، البنانية ، المغيرية ، الجناحية ، المنصورية ، الخطابية ، الذمية ، الغرابية ، الهاشمية[1] ، الزرارية ، اليونسية ، النعمانية ، الزرامية ، المفوضة ، البدائية ، النصيرية ، الاسماعيلية — واما الزيدية فانقسموا الى ثلاث فرق ، الجارودية ، السليمانية ، البترية — واما الامامية فقالوا باتباع الاثني عشر اماما — وتشعب متأخروا الامامية الى معتزلة ومشبهة ومفضلة

[الفرقة الثالثة] الخوارج تشعبوا الى سبعة فرق ، المحكمة ، البيهسية ، الازارقة النجدية ، الاصفرية ، الاباضية ، وافترقوا اربع فرق الحفصية ، اليزيدية ، الحارثية الرابعة القائلون بطاعة لا يراد بها الله تعالى — السابعة العجاردة ويتشعب من مذهبهم احدى عشر فرقة ، الميمونية ، الحمزية ، الشعيبية ، الحازمية ، المعلومية ، المجهولية ، الصلتية ، الثعالبة ، وافترقوا اربع فرق الاخنسية ، والمعبدية ، والشيبانية ، والمكرمية ،

[1] كذا في الاصل والمختصر والملل الهشامية لانهم اتباع هشام بن الحكم



[الفرقة الرابعة] المرجئة (وهم خمس)[١] فرق، اليونسية، العبيدية، الغسانية، الثوبانية، التومنية، النجارية .

[الفرقة الخامسة] الجبرية السادسة المشبهة . ولايخفى مافي عد هذه الفرق من التداخل — والمشهور ان اصول الفرق الضالة سبعة اولها المعتزلة (٢٢) ثم الشيعة (٢٢) فالخوارج (١٦) فالمرجئة (٥) فالنجارية (٣) فالجبرية (١) فالمشبهة (٣) ثم اخذ يذكر بعض ماعليه اهل الفرقة الناجية فقال

﴿ فاثبتوا النصوص بالتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه ﴾

(فاثبتوا النصوص) القرآنية، والاحاديث النبوية، متمسكين (بالتنزيه) لله سبحانه وتعالى (من غير تعطيل) للصفات الواردة في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وهو نفيها عنه تعالى فان المعطلين لم يفهموا من اسماء الله تعالى وصفاته الا ماهو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فجمعوا بين التمثيل والتعطيل فمثلوا اولاً وعطلوا آخراً فهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من اسمائه وصفاته تعالى بالمفهوم من اسماء خلقه وصفاتهم فعطلوا ما يستحقه سبحانه وتعالى من الاسماء والصفات اللائقة به عز وجل بخلاف سلف الامة واجلاء الائمة فانهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف (ولا تشبيه) تعالى الله عن ذلك فانه تعالى قال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير

﴿ وكل ما جاء من الآيات او صح في الاخبار عن ثقات ﴾

﴿ من الاحاديث نمرّه كما قد جاء فاسمع من نظامي واعلما ﴾

(فكل ما جاء) عن الله تعالى في القرآن العظيم (من الايات او صح) مجيئه (في الاخبار) الثابتة (عن) رواة (ثقات) في النقل وهم العدول الضابطون (من الاحاديث) الصحيحة مما يوهم تشبيهاً او تمثيلا فهو من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله تعالى نؤمن به وبانه من عند الله تعالى، و (نمرّه كما قد جاء) عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الامام احمد لا يوصف الله تعالى الا بما وصف

[١] لعله ست كما لعل اصل الفرق ست ايضاً لما سيظهر من تعدادهما



به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا نتجاوز القرآن والحديث فمذهب السلف عدم الخوض في مثل هذا والسكوت عنه وتفويض علمه الى الله تعالى (فاسمع) سماع اذعان (من نظامي واعلما) فعل امر مؤكد بنون التوكيد الخفيفة المنقلبة الفا اي اعلم ذلك علم تحقيق واعتماد

❋ ولا نرد ذاك بالعقول　　لقول مفتر به جهول ❋

❋ فعقدنا الاثبات ياخليلي　　من غير تعطيل ولا تمثيل ❋

(ولا نرد ذاك) الوارد في الكتاب المنزل وما جاء عن النبي المرسل (بالعقول لقول) انسان (مفتر) من الفرية وهي الكذب (به) اي بذلك القول الذي تقوله من التأويل والتمويه والتضليل (جهول) صفة لمفتر (فعقدنا) معشر الاثرية (الاثبات) للاسماء والصفات كما وردت (ياخليلي) من الخلة وهي نهاية المحبة (من غير تعطيل) لها عن حقائقها ونفيها مع صحة مخارجها بل نثبتها ونؤمن بها ولا تشبيه في مجرد اثباتها (ولا) اي ومن غير (تمثيل) لها بصفات المخلوق بل اثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل،

❋ فكل من اول في الصفات　　كذاته من غير ما اثبات ❋

(فكل من اول في الصفات) الثابتة، للذات المقدسة، والمراد بالتأويل هنا ان يراد باللفظ ما يخالف ظاهره او صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى آخر او عن حقيقته لمجازه، وهو في آيات الصفات المقدسة من المنكرات عند ائمة الدين، من علماء السلف المعتبرين، فانا حيث اثبتنا ذاتا لا كالذوات، فما المانع من اثبات صفات لا كصفات المحدثات، فصفاته (كذاته) تعالى فليس لنا ان نتأول في صفات الله تعالى ولا في ذاته (من غير ما) زائدة تأكيدا للنفي لاقامة الوزن (اثبات) عن صاحب الشرع واصحابه وائمة التابعين واتباعهم فهم العمدة دون غيرهم، وعلم من النظم انه تعالى يطلق عليه الذات كما يقال انه شيء لا كالاشياء وانه ذات لا كالذوات بخلاف الماهية فاكثر المتكلمين منع اطلاقها على الله تعالى لان معنى الماهية المجانسة وهي المشاركة في الجنس والفصل

﴿ فقد تعدى واستطال واجترى　　　وخاض في بحر الهلاك وافترى ﴾

﴿ الم تر اختلاف اصحاب النظر　　　فيه وحسن ما نحاه ذو الاثر ﴾

﴿ فانهم قد اقتدوا بالمصطفى　　　وصحبه فاقنع بهذا وكفى ﴾

(فقد تعدى) خبر للمبتدأ الذي هو كل وتعديه تجريه على مالم يأذن به الله ورسوله فانه فعل ما ليس له فعله وقال على الله تعالى بما لم يأذن الله ورسوله له به (واستطال) على السلف الصالح فكأنه استدرك عليهم ما يزعم انهم اغفلوه وحور فيما يدعي انهم اهملوه (واجترى) من الجرأة اي تشجع والتات حده (وخاض) اي دخل واقتحم (في بحر الهلاك) اي الموت والانمحاق يعني رمى بنفسه في بحر يذهب بدينه ويؤول به الى الهلاك الابدي والعذاب السرمدي (وافترى) على مولاه (الم تر اختلاف اصحاب النظر) يعني نظار المتكلمة من سائر الفرق ورد بعضهم على بعض (فيه) اي في نظرهم الذي يزعم كل فريق منهم انه هو العلم الحق فيأتي غير ذلك الفريق فينقضه ويرمي صاحبه بالزندقة (و) الم تر (حسن ما) اي المذهب الذي ذهب اليه والمنحا الذي (نحاه) وقصده (ذو) اى صاحب مذهب (الاثر) (فانهم) اي الاثرية المفهومين من قوله ذو الاثر (قد اقتدوا) فيما اعتقدوه (بـ) النبي (المصطفى وصحبه) الذين صحبوه وعاينوا الوحي والتنزيل (فاقنع) اي ارض (بهذا) البيان (وكفى) بهؤلاء مستنداً ومعتقدا [تنبيهان الاول] لاخلاف بين العقلاء ان الحق سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع صفات النقصان لكنهم مع اتفاقهم على ذلك اختلفوا في الكمال والنقص فتراهم يثبت احدهم لله ما يظنه كما لا وينفي الاخر عين ما اثبته هذا لظنه نقصا وسبب ذلك انهم سلطوا الافكار على مالا سبيل اليه من طريق الفكر فان الله تعالى خلق العقول واعطاها قوة الفكر وجعل لها حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة لا من حيث ما هي قابلة للوهب الالهي فاذا استعملت العقول افكارها فيما هو في طورها وحدها ووفت النظر حقه اصابت باذن الله تعالى واذا سلطت الافكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله تعالى لها ركبت متن عمياء [1] فلم يثبت لها قدم

[1] اي ظهر دابة عمياء

قدم ولم تركن على امر تطمئن اليه فان معرفة الله تعالى التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بادراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات وانما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة فهو اختصاص الٓهي يختص به الانبياء واهل وراثتهم ، ولما عجزت العقول من طريق الفكر عن معرفة الحق التي هي وراء طورها ومنحها القبول؟ وقد انزل الكتاب وانزل فيه ما حارت في ادراكه العقول من الآيات المتشابهات التي لا يعلم تأويلها الا الله تعالى امرنا الشارع بالايمان بها ونهانا عن التفكر في ذات الله تعالى رحمة منه بنا ولطفا لعجزنا عن ادراكه [الثاني] قد ذم السلف الخوض في علم الكلام قال الامام الشافعي ما رأيت احدا ارتدى بالكلام فافلح ، وقال الامام احمد عليكم بالسنة والحديث وما ينفعكم واياكم والخوض والمرآء فانه لا يفلح من احب الكلام ، وقال الامام مالك لو كان الكلام علما لتكلم به الصحابة والتابعون رضي الله تعالى عنهم ، وقال الفقيه ابو عبد الله الدميمي قال حكى لنا الامام ابو الفتح محمد بن علي الفقيه قال دخلنا على الامام ابي المعالي الجويني نعوده في مرض موته فاقعد فقال لنا اشهدوا علي اني قد رجعت عن كل مقالة قلتها اخالف فيها السلف الصالح واني اموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور قال الامام الحافظ الذهبي قلت هذا معنى قول بعض الائمة عليكم بدين العجائز يعني انهن مؤمنات بالله تعالى على فطرة الاسلام لم يدرين ما علم الكلام ، فان قلت اذا كان علم الكلام بالمثابة التي ذكرت فكيف ساغ للائمة الخوض فيه قلت علم الكلام الذي نهى عنه ائمة الاسلام هو العلم المشحون بالفلسفة والتأويل والالحاد والاباطيل دون علم السلف ومذهب الاثر وما جاء في الذكر الحكيم وصحيح الخبر فهذا آمَدُري تِرْيَاقُ القلوب الملسوعة باراقم الشبهات ، (١)

﴿ الباب الاول في معرفة الله تعالى وما يتعلق بذلك ﴾

﴿ اول واجب على العبيد   معرفة الالٓه بالتسديد ﴾

(اول واجب على العبيد) جمع عبد (معرفة الالٓه) سبحانه وتعالى وهي عبارة

---

[١] الترياق بالكسر دواء السم والاراقم جمع ارقم وهو الحية التي فيها سواد وبياض

عن معرفة وجود ذاته تعالى بصفات الكمال دون معرفة حقيقة ذاته وصفاته لاستحالة ذلك عقلاً عند الاكثرين . وقوله اول واجب يعني لنفسه على كل مكلف بالنظر في الوجود والموجود ووجوب ذلك بالشرع دون العقل لان العقل لا يوجب ولا يحرم وهذا مذهب اهل السنة ، وقالت المعتزلة وجبت معرفة الله تعالى عقلاً لا شرعاً (بالتسديد) اي التقويم والتوفيق للسداد اي الصواب ويجب النظر قبلها لتوقفها عليه فهو اول واجب لغيره ، وقال القاضي اول واجب وطاعة اكتساب ارادة النظر المؤدي الى المعرفة فمن تركه مع القدرة عليه لغير عذر اثم ولا اثم على الناظر مدة نظره ، والنظر والمعرفة اكتساب وقد يوهبان لمن اراد الله هداه ولا يقعان ضرورة وقيل بلى والمعرفة تزيد وتنقص كالايمان نص عليه الامام احمد فمعرفة التفصيل ازيد من معرفة الجملة ، واول نعم الله تعالى الدينية على المؤمن ان اقدره على ارادة النظر والاستدلال لمعرفته تعالى ، واول نعمه الدنيوية الحياة العرية عن ضرر فشكر المنعم واجب شرعاً خلافاً للمعتزلة في قولهم عقلاً ، فيجب على كل مكلف شرعاً ان يعرف الله تعالى بصفات الكمال ويجزم

❊ بانه واحد لا نظير ❊ له ولا شبه ولا وزير ❊

❊ صفاته كذاته قديمه ❊ اسماؤه ثابتة عظيمه ❊

(بانه) سبحانه وتعالى (واحد) لا يتجزأ ولا ينقسم فرد صمد (لا نظير له) اي لا مثل له (ولا شبه) له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله ولا شريك له في ملكه (ولا وزير) يحمل ثقله ويعينه في تدبير خلقه ، ولا ظهير له في صنعه ولا معين له في ملكه (صفاته) سبحانه وتعالى الذاتية والفعلية والخبرية (كذاته قديمة) لا ابتداء لوجودها ولا انتهاء اذ لو كانت محدثة لاحتاجت الى محدث تعالت ذاته المقدسة وصفاته المعظمة عن ذلك فان حقيقة ذاته مخالفة لسائر الحقائق وكذلك صفاته تعالى ، قال المحققون ليست حقيقته تعالى معلومة الآن في الدنيا للناس وانما يعلم تعالى بصفاته ، وهل يمكن علم حقيقته في الآخرة قال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها كما سيأتي وبعضهم لا والرؤية لا تفيد الحقيقة كما يأتي ، فمذهب السلف من

الفرقة الناجية بين التعطيل و بين التمثيل فلا يمثلون صفات الله تعالى بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون ما وصف به نفسه او وصفه به رسوله ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الحموية التأويل الذي لا يعلمه الا الله تعالى هو الحقيقة التي يؤل الكلام اليها فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره الاستواء معلوم والكيف مجهول فكيفية الاستواء مثلاً هو التأويل الذي لا يعلمه الا الله جل وعلا (تنبيه) اختلف الناس في اثبات صفات الباري جل شأنه فاثبتها اهل الحق من غير نفي لها ولا لبعضها وهذا مذهب سلف الامة وسائر الائمة واثبت المتكلمون بعضها من الحياة والقدرة والارادة والعلم والكلام والسمع والبصر و يسمونها الصفات الثبوتية والمعنوية وما عداها من صفات الافعال والسلوب [1] ونحوها فحادثة عندهم وذهبت المعتزلة والفلاسفة واكثر فرق الضلال الى نفيها نعم المعتزلة تثبت له تعالى الاسماء دون الصفات

ــ فصل في بحث اسمائه جل وعلا ــ

(اسماؤه ثابتة) بالنص والعقل (عظيمة) وانها قديمة عند اهل الحق كصفاته الذاتية وكذا الفعلية والمراد باسمائه تعالى ما دل على مجرد ذاته كالله او باعتبار الصفة كالعالم والقادر ، قال المحقق في بدائع الفوائد اسماء الرب تعالى هي اسماء ونعوت فانها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية واما زعم المعتزلة ان الله تعالى كان ازلا بلا اسم ولا صفة فلما اوجد الخلق وضعوا له الاسماء والصفات فهو خطأ فاحش قال السمين هذا القول منهم اشد خطأ من قولهم بخلق القرآن لاشعاره بالاحتياج للغير وقال ابن حمدان قد نص الشافعي ان اسماء الله تعالى غير مخلوقة ، وقال الامام احمد من قال ان اسماء الله تعالى مخلوقة فقد كفر ، قال ابن حمدان ولا يقال اسماء الله تعالى هي المسمى ولا غيره اذ الغير ما فارق او يفارق بزمان او مكان أو الوجود والعدم بل يقال الاسم للمسمى به

---

[1] هي الصفات التي يدخل في مفهومها لفظ العدم كالباقي والقديم والازلي ونحو ذلك اه لابن المختصر ا ش

اوصفة للمسمي وعلم عليه او دال على المسمى ، وقيل اسماء الفعل غيره واسماء الذات هي المسمى نفسه ، قال وقد عظم على الامام احمد الكلام على الاسم والمسمى وامسك عنه بعضهم وقال لا نعلم . ولما ذكر اسماءه سبحانه وتعالى وانها ثابتة للذات المقدسة وانها عظيمة قديمة اردف ذلك بقوله

﴿ لكنها في الحق توقيفيه لنا بذا ادلة وفيه ﴾

(لكنها) اي الاسماء (في) القول (الحق) المعتمد [توقيفية] بنص الشرع ومما يجب ان يعلم ان علماء السنة اتفقوا على جواز اطلاق الاسماء الحسنى والصفات العلى على الباري جل وعلا اذا ورد بها الاذن من الشارع وعلى امتناعه على ما ورد المنع عنه ، واختلفوا حيث لا اذن ولا منع في جواز اطلاق ما كان تعالى متصفا بمعناه ولم يكن من الاسماء الاعلام الموضوعة من سائر اللغات اذ ليس جواز اطلاقها عليه تعالى محل نزاع لاحد بشرط ان لا يكون اطلاقه يوهم نقصا بل كان مشعراً بالمدح فالجمهور منعوا اطلاق ما لم يأذن به الشارع مطلقا وجوزه المعتزلة مطلقا ومال اليه الباقلاني وتوقف امام الحرمين وفصل الغزالي فجوز اطلاق الصفة وهي مادل على معنى زائد على الذات ومنع اطلاق الاسم وهو ما يدل على نفس الذات . والتوقيفي ما ورد به كتاب او سنة صحيحة او حسنة او اجماع لانه لا يخرج عنها واما السنة الضعيفة والقياس فلا يثبت بهما لان المسئلة من العمليات فلهذا قال (لنا) معشر اهل السنة (بذا) اي باعتبار ثبوت التوقيف في اسماء الباري جل وعلا من الشارع (ادلة) جمع دليل (وفية) توفي بالمقصود لأن ما لم يثبت عن الشارع لم يكن ماذونا في اطلاقه عليه والاصل المنع حتى يقوم دليل الاذن ، قال المحقق في بدائع الفوائد ما يطلق عليه سبحانه وتعالى في باب الاسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه في باب الاخبار لا يجب ان يكون توقيفيا كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه فهذا فصل الخطاب

فصل في بحث صفات مولانا عز وجل

ولما كانت صفاته تعالى منها ما اتفق عليه كالصفات السبعة ومنها ما اختلف فيه كصفات

فعله تعالى ورحمته وغضبه ونحوها بدأ بما اتفق عليه منها وهي السبع صفات الثبوتية

﴿ له الحياة والكلام والبصر   سمع ارادة وعلم واقتدار ﴾

[الاولى] مما يجب (له) سبحانه وتعالى (الحياة) وهي صفة ذاتية ثبوتية قديمة ازلية تقتضي صحة العلم والقدرة لاستحالة قيامهما بغير الحي ، قال اهل السنة حياته تعالى صفة زائدة على العلم والارادة قديمة قائمة بذاته لاجلها يصح ان يعلم و يقدر لانفس صحة العلم والقدرة فهي صفة كمال في نفسها فصفة الحياة هي الجامعة لسائر الصفات متقدمة الرتبة عليها فلا يتقدمها الا الوجود وهي لا تتعلق بشيء لا موجود ولا معدوم ومثلها الوجود والبقاء والقدم عندمن يعدها من الصفات الذاتية وضابطها انها كل صفة لا تقتضي امراً زائداً على قيامها بمحلها كما ان ضابط ما يتعلق من الصفات انها كل صفة تقتضي امراً زائداً على القيام بمحلها فان العلم يقتضي معلوماً والقدرة تقتضي مقدوراً الى آخره ، قال العلماء حياة الباري عز وجل مما اتفق عليه العقلاء نعم الحياة في حقه لا يجوز ان تكون بمعنى الحياة في حقنا لانها في حقنا قوة تتبع اعتدال النوع وهذا في حقه تعالى محال [1]

[الصفة الثانية] (و) يجب له تعالى (الكلام) اي يجب الجزم بانه تعالى متكلم بكلام قديم ذاتي وجودي غير مخلوق ولا محدث ولا حادث لا يشبه كلام الخلق ، قال شيخ الاسلام اتفق سلف الامة وائمتها على ان الله تعالى متكلم بكلام قائم به وان كلامه تعالى غير مخلوق وانكروا على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم في قولهم ان كلامه تعالى مخلوق خلقه في غيره وانه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة وكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء واتفق ائمة السلف على ان كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود ، قال ومعنى قولهم منه بدا اي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم بأنه بدا من بعض المخلوقات وانه سبحانه لم يقم به كلام ، قال ولم يرد السلف [2] انه كلام فارق ذاته فان الكلام وغيره من الصفات

---

[١] وجد على هامش نسخة المختصر بخطه رحمه الله ما صورته : ليست حياته تعالى بسبب اتصال روح كحياة المخلوق ولا قابلة للزوال ولا هي معنى من المعاني ولا عرض من الاعراض انتهى قاله العارف النابلسي في شرح السنوسية [٢] العله عن السلف

لا يفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل الى غيره فكيف صفة الخالق تفارقه وتنتقل الى غيره * ولهذا قال سيدنا احمد كلام الله تعالى ليس ببائن منه خلقه في بعض الاجسام ، قال شيخ الاسلام ومعنى قول السلف واليه يعود ما جاء في الآثار ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية وما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وغيرهم من ائمة المسلمين ؛ كالحديث الذي رواه الامام احمد في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه يعني القرآن ، وقول ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما سمع كلام مسيلمة ان هذا كلام لم يخرج من إل اي من رب ،وقول السلف القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق منه بدا واليه يعود كما استفاضت الآثار عنهم بذلك ، قال احمد القرآن كلام الله منه خرج واليه يعود يعني ما قدمنا ، فان قيل هل كلام الباري جل وعلا صفة ذات او صفة فعل فالجواب مذهب سلف الامة ومحققي الائمة انه صفة ذات وفعل معا فان صفة الكلام لله عز شأنه ثابتة باجماع الانبياء على ذلك فيتكلم اذا شاء ومتى شاء بلا كيف فان الكلام صفة كمال لانقص فيه فالرب احق ان يتصف بالكلام من كل موصوف بالكلام فيجب ثبوت كونه متكلما وان ذلك لم يزل ولا يزال ، والمتكلم بمشيئته وقدرته اكمل ممن يكون الكلام لازما له بدون قدرته ومشيئته والذي لم يزل يتكلم اذا شاء اكمل ممن صار الكلام يمكنه بعد ان لم يكن الكلام ممكنا له وحينئذ فكلامه قديم مع انه يتكلم بمشيئته وقدرته .

[وتحرير مذهب السلف] ان الله تعالى متكلم وان كلامه قديم وان القرآن كلام الله وهو قديم حروفه ومعانيه وقد توعد الله جل شأنه من جعله قول البشر بقوله ، فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ، ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر فمن قال انه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين ان يقول بشر او جني او ملك فمن جعله قولا لاحد من هؤلاء فقد كفر واما قوله تعالى « انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر » فالمراد ان الرسول بلغه عن مرسله لا انه قول له من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذي ارسله كما قال ، وان احد من المشركين استجارك

فاجره حتى يسمع كلام الله ، فالذي بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه والكلام كلام من قاله مبتدئاً به لا كلام من قاله مبلغاً مؤدياً ، وموسى عليه السلام سمع كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض فسماع موسى مطلقاً بلا واسطة وسماع الناس مقيد بواسطة والناس يعلمون ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلام تكلم بحروفه ومعانيه بصوته صلى الله تعالى عليه وسلم ثم المبلغون عنه يبلغون كلامه بحركاتهم واصواتهم واذا كان هذا معلوما فيمن يبلغ كلام المخلوق فكلام الخالق اولى بذلك ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن باصواتكم » فجعل الكلام كلام الباري وجعل الصوت الذي يقرؤه به العبد صوت القارئ واصوات العباد ليست هي الصوت الذي ينادي الله به ويتكلم به كما نطقت النصوص بذلك بل ولا مثله فان الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله فليس علمه مثل علم المخلوقين ولا كلامه مثل كلامهم ولا نداؤه مثل ندائهم ولا صوته مثل اصواتهم * فمن قال عن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله و هو كلام غيره فهو ملحد مبتدع ضال ومن قال ان اصوات العباد اوالمداد الذي يكتب به القرآن قديم ازلي فهو ملحد مبتدع ضال بل هذا القرآن هو كلام الله تعالى وهو مثبت في المصاحف مبلغا عنه مسموعا من القراء ليس هو مسموعا منه تعالى فكلام الله قديم وصوت العبد مخلوق .

والحاصل ان مذهب الحنابلة كسائر السلف ان الله تعالى يتكلم بحرف وصوت قال الامام احمد كيف تصرف فهو غير مخلوق ولا نرى القول بالحكاية والعبارة وغلّط من قال بهما وجهّله، قال الامام الموفق بن قدامة واما قولهم ان كلام الله يجب ان لا يكون حروفا يشبه كلام الادميين فالجواب ان الاتفاق في اصل الحقيقة ليس بتشبيه كما ان اتفاق البصر في انه ادراك المبصرات والسمع في انه ادراك المسموعات ليس بتشبيه كذلك * هذا واما قولهم ان الحروف تحتاج الى مخارج وادوات فالجواب ان احتياجها الى ذلك في حقنا لا يوجب ذلك في كلام ربنا تعالى عن ذلك، على ان بعض المخلوقات لم تحتج الى مخارج في كلامها كالايدي والارجل والجلود التي تتكلم يوم القيامة والحجر الذي سلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والحصى الذي سبح

في كفه ، وقال ابن مسعود كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل، وقولهم ان التعاقب يدخل في الحروف قلنا انما كان ذلك في حق من ينطق بالمخارج والادوات والله سبحانه وتعالى لا يوصف بذلك ، وقد اتفقت العلماء على ان الله سبحانه وتعالى يتولى الحساب بين خلقه يوم القيامة في حالة واحدة وعند كل واحد منهم ان المخاطب في الحال هو وحده وهذا خلاف التعاقب ثم ان الصوت قد صحت به الاخبار قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ومن نفى الصوت يلزمه ان الله تعالى لم يُسمع احدا من ملائكته ولا رسله كلامه بل الهمهم اياه الهاما ، قال وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع الى القياس على اصوات المخلوقين لانها التي عهدت ذات مخارج ولا يخفي ما فيه اذ الصوت قد يكون من غير مخارج كما ان الرؤية قد تكون من غير اتصال اشعة ولئن سلم فيمنع القياس المذكور لان صفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوقين ، وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الاحاديث الصحيحة وجب الايمان به ثم اما التفويض واما التأويل * وقال ايضا في موضع آخر من شرح البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم « ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب» حمله بعض الائمة على مجاز الحذف اي يأمر من ينادي فاستبعده بعض من اثبت الصوت بأن في قوله يسمعه من بعد اشارة الى انه ليس من المخلوقات لأنه لم يعهد مثل هذا فيهم وبأن الملائكة اذا سمعوه صعقوا واذا سمع بعضهم بعضا لم يصعقوا ، قال فعلى هذا فصوته صفة من صفات ذاته لا يشبه صوت غيره اذ ليس يوجد شيء من صفاته في صفات المخلوقين ، قال وهكذا قرره المصنف يعني البخاري في كتاب خلق افعال العباد انتهى * وفي حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ان الله اذا تكلم بالوحي سمع اهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك يقول الحق فينادون الحق الحق» اخرجه ابو داود ورجاله ثقات ، ونحوه من حديث ابى هريرة رواه البخاري وابو داود والترمذي وابن ماجه وكذا رواه الامام احمد وابنه عبد الله وقال سألت ابي فقلت يا ابي الجهمية يزعمون ان الله لا يتكلم بصوت فقال كذبوا

انما يدورون على التعطيل * وقد روي في اثبات الحرف والصوت احاديث تزيد على اربعين حديثا بعضها صحيحة و بعضها حسان و يحتج بها اخرجها الامام الحافظ ضياء الدين المقدسي وغيره واخرج الامام احمد غالبها والحافظ ابن حجر ايضا في شرح البخاري واحتج بها البخاري وغيره من أئمة الحديث على ان الحق جل شأنه يتكلم بحرف وصوت وقد صححوا هذا الاصل واعتقدوه واعتمدوا على ذلك منزهين الله تعالى عما لا يليق بجلاله من شبهات الحدوث وسمات النقص كما قالوا في سائر الصفات

[الصفة الثالثة والرابعة] ما اشار اليهما بقوله (و) يجب له سبحانه وتعالى (البصر) وهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يتعلق بالمبصرات فيدرك بها ادراكا تاما لا على سبيل التخيل والتوهم ولا على طريق تأثر حاسة (سمع) باسقاط حرف العطف اي و يجب له سبحانه و تعالى سمع والسمع صفة قديمة يتعلق بالمسموعات واثبات هاتين الصفتين اعني السمع والبصر للدلائل السمعية وهما صفتان زائدتان على الذات عند اهل السنة كسائر الصفات لظواهر الآيات والاحاديث وليسا راجعين الى العلم بالمسموعات والمبصرات خلافا للفلاسفة ومن وافقهم ففي البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات قال البيهقي السميع من له سمع يدرك به المسموعات والبصير من له بصر يدرك به المرئيات وكل منهما في حق الباري تعالى صفة قائمة بذاته تعالى ولا يلزم من قدم السمع والبصر قدم المسموعات والمبصرات كما لا يلزم من قدم العلم والقدرة قدم المعلومات والمقدورات لانها صفات قديمة تحدث لها تعلقات بالحوادث ٠

[الصفة الخامسة] (ارادة) اي و يجب له تعالى صفة الارادة ويرادفها المشيئة وهما عبارتان عن صفة في الحي توجب تخصيص احد المقدورين في احد الاوقات بالوقوع مع استواء نسبة القدرة الى الكل وهي قديمة ازلية باقية وهي شاملة لجميع الكائنات ٠

[الصفة السادسة] ما اشار اليها بقوله (و) يجب له عز وجل (علم) اي ويجب الجزم بأنه تعالى عالم بعلم واحد وجودي قديم باق ذاتي ينكشف به المعلومات عند تعلقه بها [تنبيه] ذكر شيخ الاسلام وغيره ادلة عقلية على اثبات صفة العلم لله تعالى

منها ايجاده سبحانه وتعالى الاشياء لاستحالة ايجاده الاشياء مع الجهل كما في قوله تعالى « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ودلائل ثبوت صفة العلم لله تعالى من الكتاب والسنة كثيرة جداً .

[الصفة السابعة] ما اشار اليها بقوله (واقتدر) جل شأنه على ايجاد الموجودات وخلق الممكنات بقدرة وهي صفة ازلية تؤثر في المقدورات عند تعلقها بها فالله جل شأنه قادر على جميع الممكنات باتفاق المتكلمين وكذا الحكماء ، ولما فرغ من تعداد السبع صفات التي يثبتها المتكلمة الصفاتية وغيرهم شرع في ذكر ما لها من التعلقات وتقدم ان الحياة لا تتعلق بشيء [1] فقال

﴿ بقدرة تعلقت بممكن كذا ارادة نعي واستبن ﴾

(بقدرة تعلقت) قدرة الله تعالى الازلية القديمة الذاتية (بممكن) وقد علمت ان الممكن ما ليس بواجب الوجود ولا مستحيل الوقوع ولم يوجد شيء ولن يوجد الا بها وقد نص الامام احمد انه تعالى قادر بقدرة قديمة وقوة شديدة وفهم من النظم ان القدرة لا تتعلق بواجب ولا مستحيل فليسا من متعلقاتها ولا عجب في ذلك لأنها لو تعلقت بهما لزم انقلابهما جائزين [تنبيه] صحح بعض متأخري الاشعرية ان للقدرة الازلية تعلقين صلوحيا وهو التعلق الازلي بمعنى انها في الازل صالحة للايجاد والاعدام على وفق تعلق الارادة الازلية بهما فيما لا يزال — وتعلقا تنجيزياً وهو التعلق الحادث المقارن لتعلق الارادة بالحدوث الحالي وظاهر كلام علمائنا بل وكلام الامام احمد ان تعلق القدرة بالممكن تعلق واحد مغيا بغاية محدودة من الزمان يوجد في ذلك الزمان المخصص بالارادة القديمة الازلية والله تعالى اعلم . ولما كانت الارادة تتعلق بما تعلقت به القدرة من جميع الممكنات قال (كذا) اي مثل القدرة في التعلق بالممكنات (ارادة) وانها ايضا ارادة واحدة وان القدرة والارادة غير متناهيتي المتعلقات كما قاله المتكلمون الا ان تعلق القدرة

---

[١] اي لا تقتضي امراً زائداً على القيام بمحلها وعكسها المتعلقة اه لابن المختصر ا ش

بالممكنات تعلق ايجاد او اعدام وتعلق الارادة بها تعلق تخصيص كما تقدم والاولى التعويل في ثبوت عموم تعلق الارادة على الادلة السمعية مثل قوله تعالى «انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون» (فعي) من وعاه حفظه وجمعه اي اجمع حواشي هذا الكلام واحفظ مضمون هذا النظام (واستبن) اي اطلب البيان من مظانه

﴿ والعلم والكلام قد تعلقا بكل شيء ياخليلي مطلقا ﴾

(والعلم) اي علم الله تعالى (والكلام) اي كلامه تعالى (قد تعلقا بكل شيء) من الاشياء من الجائزات والواجبات والمستحيلات فيجب شرعا ان يعلم ان علم الله غير متناه من حيث تعلقه اما بمعنى انه لا ينقطع وهو واضح واما بمعني انه لا يصير بحيث لا يتعلق بالمعلوم فانه يحيط بما هو غير متناه كالاعداد والاشكال ونعيم الجنة فهو شامل لجميع المتصورات سواء كانت واجبة كذاته وصفاته او مستحيلة كشريك له تعالى او ممكنة كالعالم باسره ، الجزئيات من ذلك والكليات على ما هي عليه من جميع ذلك ، وانه واحد لا تعدد فيه ولا تكثر وان تعددت معلوماته وتكثرت، اما وجوب عموم تعلقه سمعا فمثل قوله تعالى «والله بكل شيء عليم» الى غير ذلك من الادلة القرآنية [تنبيهان الاول] معنى تعلق علمه تعالى بالمستحيل علمه تعالى باستحالته وانه لو تصور متصور وقوعه لزمه من الفساد كذا ، على ما اشار اليه بعض السلف بقوله علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما لم يكن ان لو كان كيف كان يكون وبهذا تميز عن علمنا بالمستحيل [الثاني] قال شيخ الاسلام قدس الله روحه ان علم الله تعالى السابق محيط بالاشياء على ما هي عليه ولا محو فيه ولا تغير ولا زيادة فيه ولا نقص فانه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف كان يكون، واما ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ فهل يكون فيه محو واثبات على قولين للعلماء واما الصحف التي بيد الملائكة فيحصل فيها المحو والاثبات انتهى . ومثل العلم في تعلقه بالواجب والجائز والمستحيل صفة الكلام فانه يتعلق بكل شيء من الثلاثة (يا خليلي) اي يا صديقي ومحبي (مطلقا) عن التقييد بواحد من الثلاثة

﴿ وسمعه سبحانه كالبصر بكل مسموع وكل مبصر ﴾

(وسمعه سبحانه) وتعالى (كالبصر) منه جل شأنه فسمعه تعالى يتعلق (بكل) شيء (مسموع و) بصره سبحانه وتعالى يتعلق بـ (كل) شيء (مبصر) فهو سبحانه وتعالى سميع بصير بسمع وبصر قديمين ذاتيين وجوديين متعلقين بكل مسموع ومبصر كما ذكره علماؤنا واسندوه الى نص الامام احمد رضي الله تعالى عنه يعني ان هاتين الصفتين متحدتا المتعلق فتعلقا بالموجود واجبا كان اوممكنا ، عينا كان اومعنى كليا كان او جزئيا ، مجرداً كان اوذا مادة ، مركبا اوْ بسيطا.

فصل في مبحث القرآن العظيم

اعلم رحمك الله تعالى ان الناس اختلفوا في هذا الكتاب المنزل على النبي المرسل ، محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما نزل قطر وهطل ؛ فمذهب السلف الصالح وائمة الاثر هو ما اشير اليه بقوله

﴿ وان ما جاء مع جبريل من محكم القرآن والتنزيل ﴾
﴿ كلامه سبحانه قديم اعيى الورى بالنص ياعليم ﴾

(وان) اي ونجزم ونتحقق فهو معطوف على قوله بانه واحد البيت وما بعده فالواجب اعتقاده بان (ما) اي الوحي والكلام الذي (جاء) من الله تعالى (مع جبريل) الملك المكرم امين الله تعالى على وحيه لانبيائه ورسله (من محكم القرآن) العظيم (و) محكم (التنزيل) الذي انزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو عطف مرادف (كلامه سبحانه) وتعالى (قديم) قال الشيخ الامام ابو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه الفصول في الاصول سمعت الامام ابامنصور محمد بن احمد يقول سمعت الامام ابابكر عبدالله بن احمد يقول سمعت الشيخ اباحامد الاسفرايني يقول مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعا من الله تعالى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة

رضي الله تعالى عنهم سمعوه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال وهو الذي نتلوه نحن بالسنتنا وفيما بين الدفتين وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا ومقروأ وكل حرف منه كالباء والتاء كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين انتهى كلامه بحروفه وقد اخبر الله تعالى بتنزيله وشهد بانزاله على رسوله فقال تعالى « انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا » ، وقال جل شأنه « لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا » والمنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم هو هذا الكتاب ؛ وقد امر سبحانه وتعالى بترتيله وقرائته والاستماع له واخبر انه يسمع ويتلى وكل هذا من صفات هذا الموجود عندنا لا من صفات ما في النفس الذي لا يظهر لحس ولا يدري ماهو . قال الامام الموفق كتاب الله العربي الذي انزل على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو كتاب الله الذي هو هذا الذي هو سور وايات وحروف وكلمات بغير خلاف قال تعالى « تلك آيات الكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا » والآيات في هذا كثيرة جدا وكذا الأحاديث كقوله صلى الله عليه وسلم « ان هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه » الحديث وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « من قرأ القرآن فاعربه فله بكل حرف عشر حسنات ومن قرأه فلحن فيه فله بكل حرف حسنة » حديث صحيح واجمع المسلمون على ان القرآن انزل على محمد وانه معجزة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المستمرة الذي تحدى الله تعالى الخلق الاتيان بمثله فعجزوا، واجمعوا على انه يقرأ ويسمع ويحفظ ويكتب وكل هذه الصفات لا تعلق لها بالكلام النفسي * قال شيخ الاسلام فان قلت قد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره من السلف في تفسير قوله تعالى « انا انزلناه في ليلة القدر » انزل الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم انزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث وقد اخبر الله تعالى ان القرآن الكريم مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » وقال تعالى « كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة » وقال سبحانه وتعالى « وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم » (فالجواب)

ان كون القران العظيم مكتوب في اللوح المحفوظ وفي الصحف بايدي الملائكة الكرام لاينافي ان يكون جبريل نزل به من الله تعالى سواء كتبه الله قبل ان يرسل به جبريل او بعد ذلك واذا كان قد انزله مكتوبا الى بيت العزة جملة واحدة ليلة القدر فقد كتبه كله قبل ان ينزله ، وهو تعالى كتب اعمال العباد قبل ان يعملوها وقدر مقادير الخلائق قبل ان يعملوها كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة ثم انه يأمر الملائكة بكتابتها بعد مايعملونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وغيره من السلف وهو حق فاذا كان ما يخلقه بائنا عنه قد كتبه قبل ان يخلقه فكيف يستبعد ان يكون كلامه الذي يرسل به ملائكته مكتوبا قبل ان يرسلهم به ، ومن زعم ان جبريل عليه السلام اخذ القرآن من الكتاب ولم يسمعه من الله تعالى كان هذا باطلا * [وذكر] الامام الموفق في البرهان ان الله تعالى لما كلم موسى عليه السلام فناداه ربه ياموسى فاجاب سريعا استئناسا بالصوت لبيك لبيك اسمع صوتك ولا ارى مكانك فاين انت قال يا موسى « انا فوقك وعن يمينك وعن شمالك وامامك وعن ورائك » فعلم ان هذه الصفة لاتكون الا لله تعالى قال فكذلك انت يا الهي افكلامك اسمع ام كلام رسولك قال بل كلامي ياموسى كما في الخبر — قال وجاء في خبر آخر ان بني اسرائيل قالوا ياموسى بم شبهت صوت ربك قال انه لا شبه له * ولما بين الناظم ان القرآن العظيم الذي انزله الله تعالى هو كلام الله تعالى وانه قديم اعقب ذلك ببعض نعوت هذا الكتاب المنزل على النبي المرسل فقال (اعيى) اي اعجز (الورى) اى جميع الخلق من الأنس والجن (بالنص) القرآني (يا عليم) اي ياعالم المبالغ في العلم فان العليم صفة مبالغة قال تعالى « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » فتحدى الخلق بالاتيان بمثله ٠ وفي قوله تعالى « ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » غاية التحدي والتبكيت[1]

---

(١) يقال بكته بالتشديد عنفه وغلبه بالحجة ٠

والرد عليهم والتبكيت ، اي ان كانوا صادقين في زعمهم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تقول القرآن العظيم فليأتوا بحديث مثله فانه اذا كان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قادرا على ان يتقوله كما يقدر الانسان على ان يتكلم بما يتكلم به من نظم ونثر كان هذا ممكنا للناس الذين هم من جنسه فيمكن الناس ان يأتوا بمثله

❋ وليس في طوق الورى من اصله   ان يستطيعوا سورة من مثله ❋

(وليس في طوق) اي وسع (الورى) من جميع الخلق فالمعنى ليس في قدرة الخلق ولا طاقتهم ولو بذلوا جهدهم بغاية ما يمكنهم ولو مع تمام المشقة الحاصلة لهم (من اصله) اي الورى من اولهم الى آخرهم ويحتمل وهو المراد انه ليس في طوق الخلق من الاصل (ان يستطيعوا) الاتيان باقصر (سورة) من القرآن فليس في طوق جميع الخلق من اصل خلقتهم من غير ان يسلبهم الله تعالى ذلك الاتيان باقصر سورة (من مثله) اي القرآن كما تحدى الديان اهل الفصاحة والبلاغة واللسن ، وذوي الرزانة[1] والدراية والفطن ، فاعترفوا بالعجز عن الأتيان بمثل اقصر سورة في القرآن * قال شيخ الاسلام نفس نظم القرآن واسلوبه عجيب بديع ليس من جنس اساليب الكلام المعروفة ولم يأت احد بنظير هذا الاسلوب فانه ليس من جنس الشعر والرجز ولا الرسائل والخطابة ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم ونفس فصاحة القرآن وبلاغته عجيب خارق للعادة وليس له نظير في كلام جميع الخلق وهذا نهاية الاعجاز و بالله التوفيق

❋ فوائد ❋ الاولى التحدي المعارضة والمتحدي هو الذي يتحدى الناس اي يدعوهم الى ان يعارضوه [الثانية] قال الحافظ ابن الجوزي وكان المرتضى العلوي يقول بالصرفة يعني ان الله تعالى صرف العرب عن الأتيان بمثله لا أنهم عجزوا * قال الامام ابن عقيل الصرف عن الأتيان بمثله دال على ان لهم قدرة حاصلة . قال وان كان في الصرف نوع اعجاز الا ان كون القرآن في نفسه ممتنعا عن الأتيان بمثله لمعنى يعود عليه ، آكد في الدلالة واعظم لفضيلة القرآن وما قول من قال بالصرفة الا بمثابة من قال بان عيون الناظرين الى عصى موسى عليه السلام خيل لهم انها

(١) اللسن بفتحتين الفصاحة والرزانة الوقار والسكون .

حية وثعبان لا انها في نفسها انقلبت فالتحدي للمصروف عن الشيء لا يحسن كما لا يتحدى العجم بالعربية * وقال شيخ الاسلام من اضعف الاقوال قول من يقول من اهل الكلام انه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها او سلب القدرة الجازمة وهو ان الله تعالى صرف قلوب الامم عن معارضته مع قيام المقتضي التام [الثالثة] كون القرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط او نظمه واسلوبه حسب ، اواخباره بالغيب والمغيبات، ولا من صرف الدواعي والمعارضات، بل هو آية بينة ومعجزة ظاهرة ودلالة باهرة وحجة قاهرة من وجوه متعددة من جهة اللفظ والنظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي امر بها واخبر بها عن الله تعالى واسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك وعن الغيب الماضي والمستقبل وعن المعاد وما بين فيه من الدلائل اليقينية والاقيسة العقلية التي هي الامثال المضروبة فكل ما ذكره الناس من وجوه الاعجاز في القرآن فهو حجة على اعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له [الرابعة] قال علماؤنا وفي بعض آية اعجاز ، وعلى التحقيق يتفاضل ثوابه ويتفاوت اعجازه ، وفاتحة الكتاب افضل سورة ، وآية الكرسي اعظم آية ، وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن ، والاحاديث الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالتفضيل وكثرة الثواب في تلاوتها كثيرة جداً ، وذهب الاشعري والباقلاني الى المنع ويروى عن الامام مالك ، وقال الحافظ السيوطي في الاتقان اختلف القائلون بالتفضيل فقال بعضهم الفضل راجع الى عظم الاجر ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتفكرها عند ورود اوصاف العلي الاعلى . وقيل بل يرجع لذات اللفظ فالتفضيل انما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها وبالله التوفيق

فصل

في ذكر الصفات التي يثبتها لله تعالى ائمة السلف وعلماء الاثر دون غيرهم

ولما كان في اثبات هذه الصفات ما يبدر للعقول الفلسفية والاقيسة الكلامية والاخيلة الخلفية ما يوهم التجسيم قدم امام المقصود ما ينفي ذلك بقوله

﴿ وليس ربنـــا بجوهر ولا عرض ولاجسم تعالى ذوالعلى ﴾

(وليس ربنا) تبارك وتعالى (بجوهر) يراد به ما قابل العرض ويراد به ما في اصطلاح اهل الكلام يعني العين الذي لا يقبل الانقسام لا فعلا ولا وهما ولا فرضا وهو الجزء الذي لا يتجزأ (ولا) ربنا جل شأنه (عرض) وهو ما لا يقوم بذاته بل بغيره بان يكون تابعا لذلك الغير في التحيز او مختصا به اختصاص النعت بالمنعوت (ولا) هو سبحانه (جسم) وهو ماتركب من جزئين فصاعدا ، ولما نفى كون الباري جل وعز جوهرا او عرضا او جسما لاتصاف الاول بالامكان والحقارة والثاني لاحتياجه الى محل يقوم به والثالث لانه مركب فيحتاج الى الجزء فلا يكون واجبا لذاته ولا مستغنيا عن غيره وفي ضمن ما نفاه رد على بعض فرق الضلال من المجسمة — اعقب ذلك بقوله (تعالى) وتقدس (ذو العلى) في ذاته العلية ، وصفاته القدسية ، عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم ذكر بعد هذا التمهيد المذهب السلفي والاعتقاد الاثري فقال :

﴿ سبحانه قـد استوى كما ورد من غير كيف قد تعالى ان يحد ﴾

(سبحانه قد استوى) على عرشه من فوق سبع سموات استواء يليق بذاته (كما ورد) في الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ، والنصوص السلفية ، مما لا يحصى فهذا كتاب الله من اوله الى آخره وسنة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من اولهـا الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين لهم باحسان رحمهم الله تعالى ثم كلام سائر أئمة الدين بان الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقـه ، قال تعالى « ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش » الآية وقال تعالى «الرحمن على العرش استوى » وقد ذكر الله تعالى استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه * واما الاحاديث فمنها قصة المعراج فهي متواترة وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي » وذكر الامام البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه حديث انس رضي

الله تعالى عنه حديث الاسراء وفيه «ثم علا به يعني جبريل فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاوز سدرة المنتهى ودنا من الجبار رب العزة فتدلى حتى اذا كان قاب قوسين او ادنى» وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الاوعال «والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما انتم عليه» رواه الامام احمد في المسند وابن خزيمة في كتاب التوحيد * وقد اكثر العلماء من التصنيف في ثبوت العلو والاستواء فمن ذلك مسئلة العلو لشيخ الاسلام ، والعلو للامام الموفق ، والجيوش الاسلامية للمحقق ، وكتاب العرش للحافظ الذهبي ، ومالا احصي عدهم * قال العلامة الشيخ مرعي في اقاويل الثقات لم يقل قائل يا الله الا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو بحيث لا يمكن رفع هذه الضرورة عن القلوب ولا يلتفت الداعي يمنة ولا يسرة . قال سيدنا الكبير الشيخ عبد القادر الجيلي الحنبلي قدس الله تعالى سره في كتابه الغنية في الفقه : وهو تعالى بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالاشياء « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه » الآية ولا يجوز وصفه بانه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش استوى كما قال الله تعالى « الرحمن على العرش استوى » و ينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش ، وكونه على العرش مذكور في كل كتاب انزل على كل نبي ارسل بلا كيف هذا نص كلامه ، وقال الامام القرطبي في تفسيره في سورة الاعراف :وقد كان السلف الاول رضي الله تعالى عنهم لا يقولون في نفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة باثباتها لله تعالى كما نطق كتابه واخبرت رسله ولم ينكر احد من السلف الصالح انه استوى على عرشه حقيقة انتهى* (وقال) الحافظ ابو نعيم في كتابه محجة الواثقين واجمعوا ان الله فوق سمواته وانه عال على عرشه مستو عليه لا مستول ، وقال ابن رشد المالكي في كتابه المسمى بالكشف : واما هذه الصفة يعني القول بالجهة فلم تزل اهل الشريعة يثبتونها حتى نفتها المعتزلة وقد ظهر ان اثبات الجهة واجب شرعا وعقلا الى آخر كلامه ، وقيل للامام عبدالله ابن المبارك : كيف نعرف ربنا قال بانه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه * على ان نفس الامام الاشعري في كتابه الابانة قال ان الله تعالى

مستو على عرشه كما قال «الرحمن على العرش استوى » وقال « اليه يصعد الكلم الطيب » ورأينا المسلمين جميعا يرفعون ايديهم اذا دعوا الى نحو السماء لان الله تعالى مستو على العرش الذي فوق السموات فلولا ان الله على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش ، قال وقال قائلون ان معنى استوى استولى وملك وقهر وان الله في كل مكان ، وجحدوا ان يكون على عرشه ، فلو كان كما قالوا كان لافرق بين العرش والارض السابعة لان الله تعالى قادر على كل شيء ثم بسط الادلة على هذه المسألة من الكتاب والسنة والعقل بما يطول نقله * وقال ايضاً في كتابه جمل المقالات قال اهل السنة واصحاب الحديث : الله ليس بجسم ولا يشبه الاشياء وانه على العرش كما قال عز وجل « الرحمن على العرش استوى » ولا نتقدم بين يدي الله في القول بل نقول استوى بلا كيف الى ان قال ولم يقولوا شيئاً الا ما وجدوه من الكتاب او جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا نص كلامه ، وكذلك قال البغوي تابعاً للاشعري ، وقال الباقلاني فان قال قائل فهل تقولون انه تعالى في كل مكان قيل معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما اخبر وساق الايات ، ثم قال ولو كان في كل مكان لكان في بطن الانسان والحشوش ولصح ان يرغب اليه نحو الارض والى خلفنا ويميننا وشمالنا ، قال وهذا قد اجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله واطال في الاستدلال في كتابه التمهيد في اصول الدين ـ

اذا علمت هذا فاعلم ان كثيرا من الناس يظنون ان القائل بالجهة او الاستواء هو من المجسمة لانهم يتوهمون ان من لازم ذلك التجسيم وهذا وهم فاسد وظن كاذب لانا نقول اولا لمن ارتكب هذا المركب لازم المذهب ليس بمذهب عند أئمة اهل التحقيق فكيف ينسب الى المرء شيء من لوازم كلامه ، وهو من ابعد الناس عنه بقصده ومرامه ، فان اهل الاثبات المتبعين للمنصوص ينزهون الله تعالى عن التكييف والحد ويعتقدون ان من وصفه تعالى بالجسم او كيف فقد زاغ والحد ، ولهذا قال لما اثبت له صفة الاستواء ، كما ورد (من غير كيف) كما روى اللالكائي الحافظ في كتابه السنة عن ام سلمة رضي الله تعالى عنها انها قالت في قوله تعالى « الرحمن على

العرش استوى » الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسوآل عنه بدعة والبحث عنه كفر وهذا له حكم المرفوع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي ووري نحو ذلك عن مالك رضي الله تعالى عنه ، وروي عن الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه انه سئل عن الاستواء فقال : آمنت بلا تشبيه ، وصدقت بلا تمثيل ، واتهمت نفسي في الادراك و امسكت عن الخوض غاية الامساك ، وعن سيدنا الأمام احمد رضي الله تعالى عه لما سئل عن الاستواء اجاب بقوله استوى كما ذكر ، لا كما يخطر للبشر * فمعنى قول ام سلمة رضي الله تعالى عنها ومن نحا نحوها من الائمة الاستواء معلوم اي وصفه تعالى بأنه على العرش استوى معلوم بطريق القطع الثابت بالتواتر واما الوقوف على حقيقة امر يعود الي الكيفية فمجهول والجهالة فيه من جهة انه لا سبيل لنا الى معرفة الكيفية لانها تبع للماهية وقولهم والسوآل عنه بدعة لان الصحابة رضي الله تعالى عنهم لم يسألوا عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتابعين لم يسألوا الصحابة ولأن جوابه يتضمن الكيفية * ولهذا قيل في الجواب لمن دخلت عليهم الشبهة طالبين سوآلهم بالتكييف ، والكيف مجهول ، فالذي ثبت نفيه في الشرع والعقل واتفاق السلف انما هو علم العباد بالكيفية ، فعندها تنقطع الاطماع وعن دركها تقصر العقول ، والوقوف على درج سلم التسليم تنتهي [(١)] همم الائمة الفحول ، ولهذا قال في تتمة نظمه (قد تعالى) الله علا وجل ، ولسنا في اتباع المأثور مع التسليم للمولى الحكيم على وجل ، بان الله تعالى وتقدس وتنزه من (ان يحد) او يقاس بما يحد وفيه أشارة الى رد زعم من زعم بأنه يلزم من كونه تعالى مستويا على عرشه ان يحد قال شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله تعالى عنه استوى على عرشه على الوجه الذي يستحقه سبحانه من الصفات اللائقة به * فان قال قائل لو كان الله تعالى فوق العرش للزم اما ان يكون اكبر من العرش او اصغر او مساويا وذلك كله محال — والجواب ان يقال ان هذا لم يفهم من كون الله على العرش الا ما يثبت للاجسام فهذا اللازم تابع لهذا

---

(١) لعله منتهى · ج

المفهوم واما استواء يليق بجلال الله تعالى ويختص بعظمته فلا يلزم [1] شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم سائر الاجسام، وحال هذا القائل مثل من يقول اذا كان للعالم صانع فاما ان يكون جوهرا او عرضا وكلاهما محال اذ لا يعقل موجود الا كذلك * والقول الفصل هو ما عليه الامة الوسط من ان الله تعالى مستو على عرشه استواء يليق بجلاله فكما انه تعالى موصوف بالعلم والبصر والقدرة ولا يثبت لذلك خصائص الاعراض التى للمخلوقين فكذلك سبحانه هو فوق عرشه ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوقين على المخلوق تعالى الله عن ذلك والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها احاطة تليق بجلاله ·

❋ فلا يحيط علمنا بذاته　　　كذاك لا ينفك عن صفاته ❋

(فلا يحيط علمنا)معشر الخلق من الملائكة والانس والجن ولو بذلنا جهدنا ان تدرك عقولنا العلم (بذاته) المقدسة ، وحقيقته المعظمة ؛ قال شيخ الاسلام لا يعلم ما هو الا هو (كذاك) اي كما ان علمنا لا يحيط بالذات المقدسة (لا ينفك) اي لا يخلص ولا يزول (عن صفاته) الذاتية ، وافعاله الاختيارية ، فذاته المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين وصفاته كذاته ليست كصفات المخلوقين فنسبة صفة المخلوق اليه كنسبة صفة الخالق اليه ، وليس المنسوب كالمنسوب ولا المنسوب اليه كالمنسوب اليه [تنبيه] اختلف النظار في صفات الباري عز وجل هل هي عين ذاته تعالى او غير ذاته المقدسة قال شيخ الاسلام والذي عليه سلف الامة وأئمتها اذا قيل لهم علم الله وكلام الله هل هو غير الله ام لا ، لم يطلقوا النفي ولا الاثبات ، فانه اذا قيل لهم غيره او هم انه مباين له ، واذا قيل ليس غيره او هم انه هو ، بل يستفصل السائل فان اراد بقوله غيره انه مباين له منفصل عنه فصفات الموصوف لا تكون مباينة له منفصلة عنه وان كان مخلوقا فكيف بصفات الخالق ، وان اراد بالغير انها ليست هي هو ، فليست الصفة هي الموصوف — فهي غيره بهذا الاعتبار · واسم الرب تعالى اذا اطلق يتناول الذات المقدسة بما تستحقه من صفات الكمال فيمتنع وجود

---

(١) لعله يلزمه ·

الذات عرية عن صفات الكمال فاسم الله جل وعز يتناول الذات الموصوفة بصفات الكمال وهذه الصفات ليست زائدة على هذا المسمى بل هي داخلة في المسمى ولكنها زائدة على الذات المجردة فالرب تعالى هو الذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال وصفاته داخلة في مسمى اسمائه سبحانه وتعالى انتهى. وهذا تحقيق لا مزيد عليه فاحفظه فانه مهم. ثم اخذ في ذكر الصفات التي يثبتها السلف فقال

❋ فكل ما قد جاء بالدليل فثابت من غير ما تمثيل ❋

(فكل ما) اي وصف (قد جاء) مضمونه (في الدليل) الشرعي من الكتاب العظيم وسنة النبي الكريم ووصفه به السلف الصالح (فثابت) له سبحانه وتعالى وموصوف به (من غير ما) زائدة لمزيد النفي وتأكيده (تمثيل) بل نثبت له ما ورد ولا نتعرض له بتأويل ولا رد فمذهب السلف في آيات الصفات انها لا تأول ولا تفسر بل يجب الايمان بها ونفوض معناها المراد منها الى الله تعالى. فقد روى اللالكائي الحافظ عن محمد بن الحسن قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه اذا علمت ذلك فمما يثبته السلف له تعالى صفة الرحمة وقد اشار اليها بقوله

❋ من رحمة ونحوها كوجهه ويده وكل ما من نهجه ❋

(من رحمة) وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تقتضي التفضل والانعام كما تقدم اول الكتاب (ونحوها) اي نحو الرحمة من محبته وغضبه ورضاه ونحو ذلك قال تعالى «يحبهم ويحبونه» قال شيخ الاسلام في التدمرية القول في بعض الصفات كالقول في بعض، فان كان المخاطب ممن يقر بان الله حي بحياة عليم بعلم قدير بقدرة بصير ببصر متكلم بكلام مريد بارادة ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته تعالى ورضاه وغضبه وكراهته فيجعل ذلك مجازا ويفسره اما بالارادة واما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات — قيل له لا فرق بين ما نفيته وبين ما اثبته بل القول في احدهما كالقول في الآخر فان قلت له ارادة تليق به كما ان للمخلوق ارادة تليق به قيل لك وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به وله تعالى

رضى وغضب يليق به وللمخلوق رضى وغضب يليق به * ثم ذكر من صفات الله تعالى التي يثبتها السلف عدة فقال (كوجهه) اي من الصفات الثابتة له تعالى صفة الوجه اثبات وجود لا اثبات تكييف وتحديد ؛ وهذا الذي نقل الخطابي وغيره انه مذهب السلف والائمة الاربعة وبه قال الحنفية والحنابلة وكثير من الشافعية وغيرهم وهو اجراء آيات الصفات واحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها محتجين بان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكييف فكذلك اثبات الصفات وقالوا انا لا نلتفت في ذلك الى تأويل لسنا منه على ثقة و يقين لاحتمال ان يكون المراد غيره لأنه مأخوذ بالظن والتخمين ، لا بالقطع واليقين ، فلا نبني اعتقادنا عليه ، ولا نرجع عن النص الثابت اليه ، فان هذا عند السلف مذموم * قال بعض المحققين صفات الرب تعالى معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث الكيف والتحديد ، فالمؤمن مبصر بها من وجه اعمى من وجه ، مبصر من حيث الاثبات والوجود اعمى من حيث التكييف والتحديد ، قال الله تعالى في محكم كتابه « و يبقى وجه ربك» وفي الحديث « من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله » قال ابو الحسن الاشعري لله تعالى وجه بلا كيف ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها اهل النقل ، وقال الامام ابو حنيفة وله تعالى وجه و يد ونفس فما ذكر الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف (و يده) تعالي الثابت بها النص القرآني ، والحديث النبوي العدناني ، كقوله تعالى «يد الله فوق ايديهم» وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « التقى آدم وموسى فقال موسى انت الذي خلقك الله بيده واسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه » الحديث * وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فقال يا محمد ان الله يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والجبال والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع فيهزهن فيقول انا الملك انا الملك قال فضحك

النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قال وما « قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة» الآية *قال شيخ الاسلام في هذه الآية والاحاديث الصحيحة المفسرة لها المستفيضة التي اتفق اهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول مايبين ان السموات والارض وما بينهما بالنسبة الى عظمة الله تعالى اصغر من ان تكون مع قبضته لها الا كالشيء الصغير في يد احدنا حتى يدحوها كما يدحا بالكرة * اذا استحضرت ما ذكرناه فاعلم ان مذهب السلف وعلماء الحنابلة ومن وافقهم من اهل الاثر ان المراد باليدين اثبات صفتين ذاتيتين يسميان يدين يزيدان على النعمة والقدرة محتجين بالآيات القرآنية والاخبار النبوية قال الامام البغوي في قوله تعالى « بيدي » في تحقيق الله تعالى التثنية في اليد دليل على انها ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة وانهما صفتان من صفات ذاته قال البيهقي المتقدمون من هذه الأمة لم يفسروا ما ورد من الآي والاخبار في هذا الباب مع اعتقادهم باجمعهم ان الله واحد لا يجوز عليه التبعيض. قال وذهب بعض اهل النظر الى ان اليمين يراد به اليد واليد لله صفة بلا جارحة، فكل موضع ذكرت فيه من الكتاب والسنة فالمراد بذكرها تعلقها بالمكان المذكور معها من الطي والاخذ والقبض والبسط والقبول والانفاق وغير ذلك تعلق الصفة الذاتية بمقتضاها من غير مباشرة ولا مماسة وليس في ذلك تشبيه بحال وهذا مذهب السلف والحنابلة ومن وافقهم قال الخطابي وليس معنى اليد عندي الجارحة وانما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي الى حيث انتهى بها الكتاب والاخبار الصحيحة وهو مذهب اهل السنة والجماعه انتهى *وقال الامام ابن خزيمة في كتابه السنة مذهبنا مذهب اهل الآثار ومتبعي السنن نقول لله جل وعلا يدان كما اعلمنا الخالق الباري في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم نقول كلتا يدي ربنا عزوجل يمين على ما اخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونقول ان الله عز وجل يقبض الارض جميعاً بأحدى يديه ويطوي السماء بيده الاخرى وكلتا يديه يمينان لا شمال فيهما، كيف يكون مشبها من يثبت لله تعالى اصابع على ما بينه النبي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم للخالق الباري ويقول « ان الله جل

وعلا يجعل السماء على اصبع والارضين على اصبع » الى تمام الحديث واطال من التبكيت على من اول النصوص وبالله التوفيق * وفي صحيح مسلم وغيره من حديث عبد الله ابن عمرو ابن العاص رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه تعالى عليه وسلم قال «ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » ثم قال عليه الصلاة والسلام « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك » (وكل ما) اي كل شيء وارد من صفات الله تعالى (من نهجه) اي نهج اليد والوجه ونحوهما والنهج الطريق الواضح اي كل ما ورد من الاوصاف من القدم والصورة

* وعينه وصفة النزول   وخلقه فاحذر من النزول *

(و) من (عينه) عز وجل فنهجه الواضح وسبيله المبين الاقرار بما ورد والايمان بما صح من غير تشبيه ولا تمثيل ، بل نقر ونذعن ، ونسلم ونؤمن ، بكل ذلك ونثبته اثبات وجود لا تكييف ولا تحديد ، فمن ذلك العين في قوله تعالى « ولتصنع على عيني » وقوله « فانك بأعيننا » وقوله « تجري باعيننا » فمذهب السلف اثبات ذلك صفة لله * وذكر البخاري في حجة الوداع من كتاب المغازي من صحيحه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرنا فلا ندري ما حجة الوداع فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فاطنب في ذكره وقال « ما بعث الله من نبي الا انذر امته انذره نوح والنبيون من بعده وانه يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم ان ربكم ليس باعور وانه اعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافئة » والاحاديث في ذلك كثيرة قال البيهقي والقرطبي وغيرهما في هذا نفي نقص العور عن الله تعالى واثبات العين له صفة ، وعرفنا بقوله « ليس كمثله شيء » انها ليست بحدقة وقال علماؤنا قد ورد السمع باثبات صفة له تعالى وهي العين فتجري مجرى السمع والبصر وليس المراد اثبات عين هي حدقة ماهيتها شحمة لان هذه العين من جسم محدث والله يتعالى عن ذلك * واما العين التي وصف بها الباري جل وعلا فهي مناسبة لذاته في كونها غير جسم ولا جوهر ولا عرض فلا يعرف لها ماهية ولا كيفية ومن المفاسد

قياس الغائب على الشاهد * وذكر الشيخ ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه الشيخ محمد المقدسي القشاشي ما لفظه : ثم وقفت من كلام الشيخ الاشعري في الابانة الذي هو آخر مصنفاته والمعتمد في المعتقد على ما يشد اركان ما قررناه من مذهبه وذلك انه قال وان له تعالى عينين بلا كيف وان لله علما ونثبت لله تعالى السمع والبصر ولانفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج انتهى قال الكوراني فصرح باثبات العينين بلا كيف والحمدلله رب العالمين انتهى · وقال سيدنا احمد احاديث الصفات تمر كما جاءت من غير بحث عن معانيها ونخالف ما خطر في الخاطر عند سماعها وننفي التشبيه عن الله تعالى عند ذكرها مع تصديق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والايمان بها وكل مايعقل ويتصور فهو تكييف وتشبيه وهو محال (و) من (صفة النزول) اي مما يثبته السلف ولا يتأولونه صفة نزول الباري جل وعلا الى سماء الدنيا كما اخرجه الامام احمد والترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر بني كلب » ولحديث الامام احمد ومسلم عن ابي سعيد وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « ان الله تعالى يمهل حتى اذا كان ثلث الليل الاخير نزل الى السماء الدنيا فنادى هل من مستغفر ، هل من تائب ، هل من سائل ، هل من داع ، حتى ينفجر الفجر » رواه البخاري * قال الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري : قد اختلف في معنى النزول على اقوال · فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم · ومنهم من انكر صحة الاحاديث وهم الخوارج · ومنهم من اجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الاجمال منزها لله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف ونقله البيهقي وغيره عن الائمة الاربعة والسفيانين والحمادين والاوزاعي والليث وغيرهم · ومنهم من اوله على وجه يليق في كلام العرب · ومنهم من افرط في التأويل حتى كاد يخرج الى نوع التحريف ، قال الامام البيهقي واسلمها الايمان بلا كيف والسكوت عن المراد الا ان يرد ذلك عن الصادق فيصار اليه ، ومن الدليل على ذلك اتفاقهم على ان التأويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض اسلم انتهى · وقال العلامة الطوفي المشهور عند

اصحاب الامام احمد انهم لا يتأولون الصفات التي من جنس الحركة كالمجيء والاتيان والنزول والهبوط والدنو والتدلي كما لا يتأولون غيرها متابعة للسلف الصالح وكلام السلف في هذا الباب يدل على اثبات المعنى المتنازع فيه * قال الاوزاعي لما سئل عن حديث النزول: يفعل الله ما يشاء وقال حماد بن زيد: يدنو من خلقه كيف شاء ، وهو الذي حكاه الاشعري عن اهل السنة والحديث . قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين: نقول بحديث النزول مما سنده صحيح ولفظه صريح * قال التميمي في اعتقاد سيدنا الامام احمد: النزول حق نقول به من غير انتقال ولا حلول في الامكنة . وقال ابن البنا لا يقال بحركة ولا انتقال . وقال القاضي لا على جهة الانتقال والحركة كما جازت رؤيته تعالى وتجلي للجبل لا على وجه الحركة والانتقال ، ولا نثبت نزولا عن علو وزوال بل نزولا لا يعقل معناه ولا يعقل ذلك في الشاهد ، واجماع الامة انه بائن من خلقه وهو على ما يثبته لنفسه في ذاته وصفاته ومن شبهه بخلقه كفر قال والنزول صفة ذات والحق انه صفة فعل (و) مما اختلف فيه واثبته السلف والماتريدية دون غيرهم صفة (خلقه) قال الوزنني من الحنفية في كتابه الذي سماه مرقاة المبتدئين ، في اصول الدين ، ما ملخصه: التخليق صفة لله تعالى وهو فعل الله لاقتضاء المفعول فعلا لاستحالة مفعول بلا فعل ، ففعله تعالى صفة له فاستحال دخوله تحت قدرته وارادته * واعلم ان الائمة الاربعة ونظائرهم من ائمة اهل السنة واكثر رجال الصوفية الذين كانت كراماتهم ظاهرة مثل مالك بن دينار وابراهيم بن ادهم والفضيل بن عياض وذي النون المصري والسري السقطي ومعروف الكرخي وسهل بن عبد الله التستري والجنيد والشبلي وغيرهم كانوا يصفون الله بالفعل والكلام والرؤية والسمع كما يصفونه بالحياة والعلم والقدرة انتهى * وقال النسفي في عقائده المشهورة: والتكوين صفة لله ازلية وهو تكوينه للعالم ولكل جزء من اجزائه وهو غير المكون عندنا ، قال شارحها التفتازاني: التكوين هو المعنى المعبر عنه بالفعل ، والخلق ، والتخليق ، والايجاد ، والاحداث ، والاختراع ، ونحو ذلك ، ويفسر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود صفة لله تعالى لاطباق العقل والنقل على انه خالق للعالم مكون

له انتهى * ولهذا قال شيخ الاسلام في شرح العقائد الاصفهانية الصواب ان الخلق غير المخلوق وذكر من الآيات القرآنية والاخبار النبوية الدالة على هذا الاصل شيئا كثيراً. ولما كان اهل الملة مختلفين فمنهم من نفى الصفات من اصلها واثبت الاسماء وهم المعتزلة ومنهم من نفى الصفات الخبرية والافعال الاختيارية ان تقوم بذاته تعالى واثبت السبع صفات كالاشعرية ، وكان مذهب السلف وسائر الائمة وجمهور الامة اثبات الصفات الذاتية والاسماء الحسنى والصفات الخبرية وصفات الافعال الاختيارية لله تعالى — حثك على الاتباع لسلف الامة فقال (فأحذر من النزول) من ذروة الايمان فان السلامة كل السلامة في اتباع الرعيل الاول

﴿ فسائر الصفات والافعال ﴾ ﴿ قديمة لله ذي الجلال ﴾
﴿ لكن بلا كيف ولا تمثيل ﴾ ﴿ رغما لاهل الزيغ والتعطيل ﴾
﴿ فمرّها كما اتت في الذكر ﴾ ﴿ من غير تأويل وغير فكر ﴾

(فسائر الصفات) الذاتية (و) سائر صفات (الافعال) من الاستواء والنزول والاتيان والمجيء والتكوين ونحوها (قديمة لله) اي هي صفات قديمة لله (ذي الجلال) والاكرام ليس منها شيء محدث والا لكان محلا للحوادث وما حل به الحادث فهو حادث تعالى الله عن ذلك. ولما كان ربما توهم متوهم ان ذلك سلم للتشبيه والتمثيل المنفي في محكم النص استدرك ذلك فقال (لكن) بسكون النون (بلا كيف ولا تمثيل) واثبات ذلك والاعتراف به والاقرار والاذعان بموجبه لما دلت عليه النصوص ، فاعتقدنا ذلك (رغما) اي (لأ) جل رغم انوف ا (هل الزيغ) اي الميل والانحراف يقال زاغ اذا مال (و) رغما لانوف اهل (التعطيل) فان من الناس من حمل النصوص على التشبيه والتمثيل ، ومنهم من حملها على التحريف والتعطيل ، واهل الحق اثبتوا النصوص واعتقدوها بلا تكييف ولهذا قال (فمرها) اي آيات الصفات واخبارها ولا نتعرض لمعانيها واسرارها بل تفسيرها ان نمرها (كما اتت في الذكر) القرآني ، والحديث عن المعصوم العدناني ، (من غير تأويل) لها (وغير فكر) في معانيها فان ذلك ليس في طوق البشر ان يكلفوه ، ولا في وسعهم ان يعرفوه ، وعلى ذلك مضت

ائمة السلف ، والحق مع من سلف ، ولما فرغ من ذكر ما يجب له تعالى من الاسماء والصفات اخذ في ذكر ما يستحيل في حقه تعالى فقال

﴿ ويستحيل الجهل والعجز كما قد استحال الموت حقا والعمى ﴾

(ويستحيل) في حق الله تعالى اضداد الصفات التي اتصف بها فما يستحيل في حق مولانا عز وجل (الجهل) الذي هو ضد العلم (والعجز) الذي هو ضد القدرة (كما) انه (قد استحال) في حقه تعالى (الموت) الذي هو ضد الحياه حق ذلك (حقا) فهو مصدر (و) يستحيل في حقه تعالى (العمى) الذي هو ضد البصر ، وكذا الصمم الذي هو ضد السمع ، والبكم الذي هو ضد الكلام ، والفناء الذي هو ضد البقاء ، والعدم الذي هو ضد الوجود ، والفقر الذي هو ضد الغنى ، والمماثلة للحوادث المنفي في قوله تعالى ليس كمثله شيء . وتقدم انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض فهي من المستحيلة في حقه تعالى وما نفاه سبحانه وتعالى عن نفسه في محكم الذكر كقوله «هل تعلم له سميا ، فلا تضربوا لله الامثال ، فلا تجعلوا لله اندادا ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ، ولم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك » ونحو ذلك . والنفي انما يدل على عدم المنفي والعدم المحض ليس بشيء اصلا ، والحاصل ان كل ما كان ضداً لما ذكر من اوصافه او نقيضا او خلافا فهو تعالى منزه عنه مطلقا ولذا قال

﴿ فكل نقص قد تعالى الله عنه فيابشرى لمن والاه ﴾

(فكل نقص) من هذه الاوصاف المذكورة ونحوها (قد تعالى) وتنزه (الله عنه) لان له الكمال المطلق (فيا بشرى) نادي البشرى بشارة (لمن) اي شخص من اهل السنة والجماعة قد (والاه) الله او قد والى هو الله اي اتخذه وليا معتمدا عليه ومفوضا جميع اموره اليه مع اقتفائه المأثور واتباعه للرسول فكأنه يقول لنفسه ولسائر اهل السنة هذا اوان حصول البشرى لكم او يابشرى اقبلي وتعالي فهذا اوانك ، وانما نوه بالبشرى لمن والاه الله تعالى لعظم ذلك وخطره ودخوله في حصن ولايته ومحل نظره

— فصل —

في ذكر الخلاف في صحة ايمان المقلد في العقائد وعدمها وفي جوازه وعدمه. وقد اشار الى هذا المقام ، الذي هو مزلة اقدام ، فقال

﴿ وكل ما يطلب فيه الجزم　　فمنع تقليد بذاك حتم ﴾

(وكل ما) اي حكم او مطلوب مما عنه [1] الذكر الحكمي وهو المعنى الذي يعبر عنه بالكلام الخبري وهو ما انبأ عن امر في نفسك من اثبات او نفي والمراد هنا كل اعتقاد (يطلب فيه) اي ذلك الاعتقاد من معرفة الله تعالى وما يجب له و يستحيل عليه ويجوز (الجزم) بان يجزم به جزما لا يحتمل متعلقه النقيض عنده لو قدره في نفسه فان طابق الواقع فهو اعتقاد صحيح والا ففاسد فما كان من هذا الباب (فمنع تقليد) وهو لغة وضع الشيء في العنق وعرفا اخذ مذهب الغير يعني اعتقاد صحته واتباعه عليه بلا دليل فان اخذه بالدليل فليس بمقلد له فيه ولو وافقه فالرجوع الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بتقليد (بذاك) اي بما يطلب فيه الجزم ولا يكتفى فيه بالظن (حتم) اي لازم واجب ، قال علماؤنا وغيرهم يحرم التقليد في معرفة الله وفي التوحيد والرسالة وكذا في اركان الاسلام الخمس ونحوها مما تواتر واشتهر عند الامام احمد رضي الله تعالى عنه والا كثر وذكره ابو الخطاب عن عامة العلماء ، واستدلوا لتحريم التقليد بامره سبحانه وتعالى بالتدبر والتفكر والنظر ، وفي صحيح ابن حبان لما نزل في آل عمران « ان في خلق السموات والارض » الآيات قال صلى الله تعالى عليه وسلم « الويل لمن قرأهن ولم يتدبرهن ويل له ويل له » والاجماع على وجوب معرفة الله تعالى

﴿ لانه لا يكتفى بالظن　　لذى الحجى في قول اهل الفن ﴾

(لأنه) اي الشأن والامر (لا يكتفي) في اصول الدين ومعرفة رب العالمين (بالظن) الذي هو ترجيح احد الطرفين على الآخر ، فالراجح هو الظن والمرجوح

---

[1] اي انبأ عنه ا ه ش

الوهم (لذي) اي لصاحب (الحجي) كالي ٠ العقل (في قول اهل الفن) من الائمة وعلماء المنقول والمعقول من الاصوليين والمتكلمة وغيرهم * قال في شرح مختصر التحرير واجازه يعني التقليد في اصول الدين جمع ٠ قال بعضهم ولو بطريق فاسد ٠ قال العلامة ابن مفلح واجازه بعض الشافعية لاجماع السلف على قبول الشهادتين من غير ان يقال لقائلها هل نظرت ٠ والى هذا اشار بقوله

❋ وقيل يكفي الجزم اجماعاً بما	يطلب فيه عند بعض العلما ❋
❋ فالجازمون من عوام البشر	فمسلمون عند اهل الاثر ❋

(وقيل يكفي) في اصول الدين (الجزم) ولو تقليداً (اجماعاً بما) اي حكم (يطلب) بضم اوله مبنياً لما لم يسم فاعله ونائب الفاعل مضمر يعود على الجزم (فيه) اي في ذلك المطلوب من اصول الدين (عند بعض العلما) من علماء مذهبنا والشافعية وغيرهم (فالجازمون) بمعقدهم ولو تقليداً (من عوام البشر) الذين ليسوا باهل للنظر والاستدلال بما لا يتم الاسلام بدونه (فمسلمون عند اهل الاثر) واكثر النظار والمحققين وان عجزوا عن بيان مالا يتم الاسلام الا به * قال ابن حامد من علمائنا لا يشترط ان يجزموا عن دليل يعني بل يكفي الجزم ولو عن تقليد * قال ابن عقيل والحق الذي لا محيد عنه ولا انفكاك لاحد منه صحة ايمان المقلد تقليداً جازماً صحيحاً وان النظر والاستدلال ليسا بواجبين وان التقليد الصحيح يحصل للعلم والمعرفة * وقال الامام النووي: الآتي بالشهادتين مؤمن حقاً وان كان مقلداً على مذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اكتفى بالتصديق بما جاء به ولم يشترط المعرفة بالدليل وقد تظاهرت بهذا الاحاديث الصحاح يحصل[1] بمجموعها التواتر والعلم القطعي انتهى * وبما تقرر تعلم ان النظر ليس بشرط في حصول المعرفة مطلقاً والا لما وجدت بدونه لوجوب انتفاء المشروط بانتفاء الشرط لكنها قد توجد فظهر ان النظر لا يتعين على كل احد وانما يتعين على من لا طريق له سواه بأن بلغته دعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يحصل له

---

[1] اي التي يحصل ٠

العقد الجازم ابتداء تقليداً فيجب عليه النظر حتى يظهر له حقيقة الاسلام اذ الاعراض غير جائز ، فمثل هذا الشخص النظر عليه واجب اجماعاً ، واما المقلد الذي يؤمن بما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اول ما بلغته دعوته وصدق به تصديقاً جازماً بلا تردد فمع صحة ايمانه بالاتفاق لا يأثم بترك النظر وان كان ظاهر ماتقدم الاثم مع حصول الايمان [تنبيه] في مسئلة التقليد ثلاثة اقوال [اولها] النظر واجب [الثاني] ليس بواجب والتقليد جائز [الثالث] التقليد حرام و يأثم بترك النظر والاستدلال ومع اثمه بترك النظر فايمانه صحيح ، وقد فهم كل هذا مما قررناه — وثم قول رابع وهو ان النظر حرام لانه مظنة الوقوع في الشبه لاختلاف الاذهان بخلاف التقليد ، ولكن قد علم مما مر ان الرجوع الى الكتاب والسنة ليس بتقليد وان سمي تقليداً فمجاز فمن شهد لله تعالى بالوحدانية ولمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة ونهج سبيل المسلمين من فعل المأمور وترك المحظور ولم يأت بمكفر فهو مؤمن و بالله التوفيق ، و يؤيد هذا ما اخرجه الامام الحافظ ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الاشعري بسنده المتصل الى ابي حازم العبدي الحافظ انه قال سمعت السرخسي يقول لما قرب حضور اجل الاشعري رحمه الله تعالى في داري ببغداد دعاني فاتيته فقال اشهد علي اني لا أكفر احداً من اهل القبلة لان الكل يشيرون الى معبود واحد وانما هذا كله اختلاف عبارات انتهى فنسأل الله تعالى التوفيق وحسن الخاتمة .

الباب الثاني في الافعال المخلوقة

وسائر الاشياء غير الذات ... وغير ما الاسماء والصفات
مخلوقة لربنا من العدم ... وضل من اثنى عليها بالقدم

(وسائر) اي بقية (الاشياء) جمع شيء (غير الذات) المقدسة (وغير ما) زائدة لتأكيد النفي (الاسماء) اي غير اسمائه تعالى فانها قديمة كالذات (و) غير (الصفات) الذاتية والخبرية (مخلوقة لربنا) تبارك وتعالى (من العدم) مسبوقة به فكل ما سواه سبحانه باسمائه وصفاته محدث مسبوق بالعدم ، وهذا المتفق عليه

عند سلف الامة وائمتها من ان الله تعالى خالق كل شيء ور به ومليكه وانه خالق كل شيء بقدرته ومشيئته وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو سبحانه خالق الممكنات المحدثات من الاجسام والاعراض القائمة بالحيوان والجماد والمعادن والنبات وغيرها. وهذا الذي دلت عليه الكتب المنزلة ، واخبرت به الرسل المرسلة ، وعليه سلف الامة وأئمتها بل وعليه جماهير العقلاء واكابرهم من جميع الطوائف خلافاً لبعض الفلاسفة كارسطو القائل بقدم العالم ولهذا قال (وضل) عن الصراط المستقيم (من) اي اي شخص (اثني عليها) اي على سائر الاشياء سوي الذات المقدسة وصفاتها القديمة فسائر ماعدا ذلك كل من اثني على شيء منها او نعتها (بالقدم) فقد ضل واضل، وقد اخبر الله تعالى في محكم الذكر بانه « خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام» *وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « ان الله قدر مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء » اي مقادير الخلائق التي خلقها في ستة ايام الى ان يدخل اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم* وفي التوراة مايوافق الكتاب والسنة من ذكر الماء الذي كان مخلوقاً قبل ان يخلق السموات والارض وان الله تعالى خلق السماء من بخار ذلك الماء والعرش ايضاً خلق قبل ذلك كما دل عليه الكتاب والسنة وفي السنن عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « اول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال وما اكتب قال ما هو كائن الى يوم القيامة » وهذا هو التقدير المذكور في قوله «قدر مقادير الخلائق» الحديث

﴿ وربنا يخلق باختيار — من غير حاجة ولا اضطرار ﴾

(وربنا) تبارك وتعالى (يخلق) ماشاء ان يخلقه من سائر مخلوقاته (باختيار) منه ، فمذهب سلف الامة وأئمتها ان الله تعالى لم يزل فاعلا لما يشاء وانه تقوم بذاته الامور الاختيارية وانه تعالى لم يزل متصفاً بصفاته الذاتية والفعلية فلم يحدث له اسم من اسمائه ولا صفة من صفاته فيخلق سبحانه المخلوقات ويحدث الحوادث بعد ان لم تكن سواء كان ذلك على مثال سابق او لا ، والابداع احداث الشيء بعد ان لم يكن

على غير مثـال سابق (من غير حاجة) منه تعالى اليه اي بخلق الخلق لا لحاجة اليه (ولا اضطرار) عليه فالحاجة المصلحة والمنفعة . والاضطرار الالجاء والاحواج والالزام والاكراه ، فلا حاجة باعثة له سبحانه على خلقه للخلق ولا مكره له عليه بل خلق المخلوقات وامر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الارادة ، وهذا قولـــ جمهور من يثبت القدر و ينتسب الى السنة من اهل الكلام والفقه وغيرهم ، وقال به طوائف من الحنبلية والمالكيه والشافعية وغيرهم وهو قول الاشعري واصحابه وحجة هذا انه لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصاً بدونها مستكملا بها ، الثاني[1] انه تعالى فعل المفعولات وامر بالمأمورات لحكمة محمودة ، قال شيخ الاسلام هذا قول اكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف من اصحاب ابي حنيفة والشافعي ومالك واحمد رضي الله تعالى عنهم وقول اكثر اهل الحديث والتصوف واهل التفسير ومن ثم قالـــ :

﴿ لكنه لا يخلق الخلق سدى كما اتى في النص فاتبع الهدى ﴾

(لكنه) تعالى وتقدس هذا استدراك من مفهوم قوله انه يخلق بالاختيار (لا يخلق الخلق سدى) اى هملا بلا امر ولا نهي ولا حكمة ومعنى السدى المهمل (كما اتى في النص) القرآني والسنة النبوية والآثار مما هو كثير جداً . ان الله تبارك وتعالى لا يفعل الا لحكمة وعلم وهو العليم الحكيم فما خلق شيئا ولا قضاه ولا شرعه الا بحكمة بالغة وان تقاصرت عنه عقول البشر (فاتبع الهدى) باقتفاء المأثور واتباع السلف الصالح ولا تجحد حكمته كما لا تجحد قدرته فهو الحكيم القدير * والحاصل ان فعل الله تعالى وتقدس وامره لا يكون لعلة في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا وبعض المالكية والشافعية وقاله الظاهرية والاشعرية . والقول الثاني انهما لعلة وحكمة اختاره الطوفي ، وهو مختار شيخ الاسلام وابن القيم وابن قاضي الجبل وحكاه عن اجماع السلف * قال شيخ الاسلام لاهل السنة في تعليل افعال الله تعالى واحكامه قولان والاكثرون على التعليل والحكمة ، احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى

---

[1] اي القول الثاني بعد قول الجمهور . ج

«من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل » وقوله « كيلا يكون دولة » وقوله « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم » ونظائرها ولأنه تعالى حكيم شرع الاحكام لحكمة ومصلحة لقوله تعالى « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » والاجماع واقع على اشتمال الافعال على الحكم والمصالح جوازا عند اهل السنة فيفعل ما يريد بحكمته

﴿ افعالنا مخلوقة لله لكنها كسب لنا يا لاهي ﴾

(افعالنا) معشر الخلائق جميعها خيرها وشرها كبيرها وصغيرها (مخلوقة) ومصنوعة (لله) تعالى خلقها واوجدها كما قال تعالى « ذلكم الله ربكم خالق كل شيء ، والله خلقكم وما تعملون ، وهو بكل شيء عليم ، وهل من خالق غير الله » قال العلماء اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله لا سواه وان الحوادث كلها حادثة بقدرة الله تعالى من غير فرق بين ما يتعلق بقدرة العبد وبين ما لا تتعلق به — فهي مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعاً وبقدرة العبد على وجه آخر واليه الاشارة بقوله (لكنها) اي افعالنا التي تصدر عنا في بادئ الرأي (كسب لنا) معشر الخلق والكسب في اصطلاح المتكلمين ما وقع من الفاعل مقارنا لقدرة محدثة واختيار * وقال العلامة ابن حمدان من علمائنا الكسب هو ما خلقه الله في محل قدرة المكتسب على وفق ارادته في كسبه ، والقدرة هي التمكن من التصرف ، وقيل سلامة البنية وقوله (يا لاهي) تكملة للبيت بالاتيان بالقافية واشارة الى الحث على الطاعة وقلب القلب عن اللهو . قال النسفي في عقائده كغيره من علماء السنة : وللعباد افعال اختيارية يثابون بها ان كانت طاعة ويعاقبون عليها ان كانت معصية لا كما زعمت الجبرية انه لا فعل للعبد اصلا وان حركاته بمنزلة حركات الجماد لا قدرة عليها ولا قصد ولا اختيار ، وهذا باطل لانا نفرق بالضرورة بين حركة البطش وحركة الارتعاش ونعلم ان الاول باختياره دون الثاني ، ولانه لو لم يكن للعبد فعل اصلا لما صح التكليف ولا يترتب استحقاق الثواب والعقاب على افعاله ولا اسناد الافعال التي تقتضي سابقة القصد والاختيار اليه على سبيل الحقيقة مثل صلى وصام وكتب بخلاف مثل طال واسود لونه ، والنصوص القطعية تنفي ذلك كقوله تعالى

« جزاء بما كانوا يعملون » الى غير ذلك[1]

❋ وكل ما يفعله العباد　　من طاعة او ضدها مراد ❋

❋ لربنا من غير ما اضطرار　　منه لنا فافهم ولا تمار ❋

(وكل ما) اي فعل او الذي (يفعله العباد من طاعة) وهي ما تكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الآجل (او ضدها) اي ضد الطاعة وهي المعصية يعني ما فيه ذم في العاجل والعقاب او اللوم في الآجل (مراد لربنا) تعالى اي داخل تحت ارادته ومشيئته فالله خالق كل شيء ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (من غير ما) زائدة لتأكيد النفي (اضطرار) اي من غير الجاء وجبر (منه) اي من الله تعالى (لنا) معشر العباد بل خلق فينا قدرة واقدرنا على ايقاع افعالنا بالاذن منه والتمكين لنا فالقدرة العبد تأثير في ايجاد فعله لا بالاستقلال والاستبداد ، بل بالاعانة والاذن والتمكين من الفاعل المختار الجواد ، (فافهم) فهم اذعان وتحقيق (ولا تمار) في علمك والمراء الجدال * وحاصل ذلك ان الناس انقسموا الى طرفي افراط وتفريط ووسط [اما المفرطون] فالقدرية ضلوا في القدر ، والقدرية متفقون على ان العبد هو المحدث للمعصية كما هو المحدث للطاعة وعندهم ان الله تعالى ما احدث هذا ولا هذا بل أمر بالطاعة ونهى عن المعصية * قال شيخ الاسلام : غلوا في افعال الحيوان حتى جعلوها تحدث بلا سبب محدث لها ، وجعل اكثرهم ما يحدث بسبب منه ومن غيره فعلا يسمونها الافعال المتولدة كالشبع عن الاكل والري عن الشرب وخروج السهم عن النزع وحصول الموت عن الضرب ونحو ذلك ، وقول هؤلاء القدرية شر من قول الجبرية من بعض الوجوه ، وهؤلاء القدرية فرطوا غاية التفريط بحيث انهم نفوا ان يكون الله خالقا لافعال عباده فاثبتوا خالقا غيره مستقلا بالخلق والامر دونه تعالى الله عن ذلك [واما المفرطون] فالجبرية وهم الذين يزعمون انه لا فعل للعبد اصلا وان حركاته بمنزلة حركات الجماد لا قدرة له عليها ولا قصد ولا اختيار

---

(١) قال التفتازاني ومن جملة ما لهم من الفرق بين الكسب والخلق ان الكسب وقع بآلة والخلق لا بآلة والكسب لا يصح انفراد القادر به والخلق يصح انتهى من الاصل

لكن نفوا تأثير الاسباب والحكم في الجماد والحيوان وانكروا ان يكون للحيوان من الانسان او غيره فعل يفعله بقدرته * قال ابن القيم يقولون ان احدهم غير فاعل في الحقيقة ولا قادر وان الفاعل فيه غيره والمحرك له سواه وانه آلة محضة وهؤلاء اذا انكرت عليهم افعالهم احتجوا بالقدر وحملوا ذنوبهم عليه حتى يروا افعالهم كلها طاعات خيرها وشرها لموافقتها المشيئة والقدر حتى ان من هؤلاء من يعتذر عن ابليس لعنه الله تعالى و يتوجع له ويقيم عذره بجهده وينسب ربه تعالى الى ظلمه والحاصل ان هذه المقالة من اشنع المقالات والمحتج بالقدر على معاصي الله تعالى زنديق [واما المتوسطون] فهم اهل السنه والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاة ولم يفرطوا افراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله ، وهؤلاء على مذهبين مذهب الاشعري ومن وافقه من الخلف ومذهب سلف الامة ، فمذهب اهل السنة كافة ان جميع انواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله تعالى وقدره لا خالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير مجبور على افعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق اهل السنة * ثم ان الاشعري ومن وافقه اثبت للعبد كسباً ومعناه انه قادر على فعله وان كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك * قال شيخ الاسلام هذا قول الاشعري ومن وافقه من المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من اهل السنة واصحاب مالك والشافعي واحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع و يقولون ان الله تعالى فعل عندها لا بها و يقولون ان قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل * و يقول الاشعري ان الله فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلاً للعبد بل كسباً له ، وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام و ينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ، و يقول انه لا أثر لقدرة العبد اصلا في فعله ، لكن الاشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختياراً ، و يقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لا تأثير لقدرة العبد في ايجاد المقدور ، وهو مقام دقيق ، حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي اثبته الاشعري غير معقول وذلك لانه يلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من

صفاته ، فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ومن هــذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لا في اصله كما يقوله الباقلاني ومن وافقه * « ومذهب » سلف الامة وأئمتها وجمهور اهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح و ينزل الماء بالسحاب و ينبت النبات بالماء ولا يقولون القوي والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لهـا بل يقرون بان لها اثراً لفظاً ومعنى ، لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع انه خالق السبب فلا بد للسبب من سبب آخر يشاركه ولا بد له من معارض يمانعه فلا يتم اثره الا مع خلق الله تعالى له بان يخلق الله تعالى السبب الآخر و يزيل الموانع * قال شيخ الاسلام الاعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى انها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بهـا الذي يعود حكمها عليه وهي من الله تعالى بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا وكسباً كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله تعالى مخلوقة له ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الثمرة من هذه الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ، ومن الله تعالى بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى اسبابها باعتبار كما قال تعالى « هذا من عمل الشيطان » وقال « ما انسانيه الا الشيطان » مع قوله « قل كل من عند الله » واخبر ان العباد يفعلون و يصنعون و يعملون و يؤمنون و يكفرون و يفسقون و يتقون و يصدقون و يكذبون ، وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث فمن قال ان شيئاً من الحوادث افعال الملائكة والجن والانس لم يخلقهـا الله تعالى — فقد خالف الكتاب والسنة واجماع السلف والادلة العقلية ، والحاصل ان مذهب السلف ومحققي اهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد وارادته وفعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه وتعالى جعله فاعلاً له ومحدثاً له

قال تعالى « وما تشاؤن الا ان يشاء الله » فاثبت مشيئة العبد واخبر انها لا تكون الا بمشيئته تعالى * وهذا قول جمهور اهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من اصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرائيني وامام الحرمين وغيرهما وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل على اثبات القوى والطبائع للحيوان وغيره قال تعالى « فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات » وقال تعالى « يهدي به كثيراً » وقال تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » وقال تعالى « هو اشد منهم قوة — واخرجت الارض اثقالها — وقيل يا ارض ابلعي مائك ويا سماء اقلعي وغيض الماء — وارسلنا الرياح لواقح » ثم اشار في النظم الى مسئلة عظيمة مبنية على ان افعال الباري لا تعلل فقال :

* وجاز للمولى يعذب الورى	من غير ما جرم ولا ذنب جرى *
* فكل ما منه تعالى يجمل	لانه عن فعله لا يسئل *
* فان يثب فانه من فضله	وان يعذب فبمحض عدله *

(وجاز للمولى) جل وعلا (يعذب الورى) الخلق والمراد به هنا ذوو العقول من الحيوان (من غير ما) زائدة لمزيد تأكيد النفي اي من غير (ذنب) اي اثم (ولا جرم) وهو بمعني ما قبله (جرى) من العبد ولا صدر عنه فيجوز عليه تعالى عقلا ان يثيب العاصي وان يعاقب الطائع لولا ما اخبر به من اثابة المطيع فلا يجب عليه واحد من الامرين

(فكل ما) اي شيء (منه تعالى) من اثابة وعقوبة وخلق خير وشر (يجمل) اي يحسن فكل ما يصدر عن الباري جل شأنه من الامر والخلق بالنسبة اليه حسن جميل حتى اثابة العاصي وعقوبة المطيع (لانه) تعالى (عن فعله) الذي يصدر عنه (لا يسئل) كما قال تعالى « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون » (فان يثب) عباده المطيعين وخلقه المتقين والثواب الجزاء (فانه) اي اثابته بالخير والجزاء الحسن (من فضله) تعالى الزائد وكرمه الجزيل لان انقى الناس واعبدهم لا تعادل عبادته وتقواه نعمة ايجاده من العدم الى الوجود فضلاً عن سائر نعمه تعالى على عبده من

البصر والسمع وغيرهما والفضل العطاء عن اختيار لا عن ايجاب كما تزعمه الحكماء ولا عن وجوب كما يقوله المعتزلة (وان يعذب) عباده ولو المطيعين منهم (فمحض) اي خالص (عدله) تعالى والمحض الخالص يعني انه لو عذبهم لعذبهم بعدله الخالص من شائبة الظلم لانه تعالى تصرف في ملكه والعدل وضع الشيء في محله من غير اعتراض على الفاعل عكس الظلم الذي هو وضع الشيء في غير محله مع الاعتراض على الفاعل ، واستدل لهذا بقوله تعالى « ان تعذبهم فانهم عبادك » يعني لم تتصرف في غير ملكك بل ان عذبت عذبت من تملك وبقوله « لا يسئل عما يفعل » وبقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « ان الله لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من اعمالهم » وتقدم هذا في شرح قوله ، لكنه لا يخلق الخلق سدى ، فان المحقق كشيخه وجمع لم يرضوا بهذا و برهنو واثبتوا الحكمة والعلة في افعاله تعالى على الوجه الذي شرحناه ، ومذهب الاشاعرة ان افعال الباري تعالى ليست معللة بالاغراض والمصالح والغرض ما لاجله يصدر الفعل عن الفاعل ، و يقولون ان الله تعالى يفعل هذه الحوادث عند الاسباب المقارنة لها وان ذلك عادة محضة ويجعلون اللام في افعاله لام العاقبة لا لام التعليل ، ومذهب الماتريدية امتناع خلو فعله تعالى عن المصلحة ، ومذهب السلف بان الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه و يثبتون لله حكمة يفعل لأجلها قائمة به تعالى لا منفصلة عنه اذا علمت ذلك وفهمته

☼ فلم يجب عليه فعل الاصلح   ولاالصلاح ويح من لم يفلح ☼

(فلم يجب عليه) سبحانه وتعالى (فعل الاصلح) اي الانفع (ولا) يجب عليه ايضا (فعل الصلاح) لعباده خلافا للمعتزلة ، فمعتزلة البصرة قالوا بوجوب الاصلح في الدين ، وذهب معتزلة بغداد الى وجوب الاصلح في الدين والدنيا معا ، وهذه المسئلة مترجمة في كتب القوم بمسئلة وجوب الصلاح والاصلح ولهذا قال (ويح) هذه كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها وهي منصوبة على المصدر وقد ترفع وتضاف كما هنا وضدها و يل فانها تقال للحزن والهلاك ، فان قلت كان المناسب هنا

الاتيان بكلمة و بل لاقتضاء المقام قلت بل الانسب كلمة و يح لانه يتوجع و يترحم لاخوانه من الملة الاسلامية كيف استزلهم الشيطان مع ظهور ادلة القرآن والسنة لمذهب اهل السنة (من) اي شخص بالغ عاقل (لم يفلح) اي لم يفز بمتابعة الحق وموافقة الشرعة ، ورفض الباطل ومجانبة البدعة ، والفلاح من الكلمات الجوامع وهو عبارة عن اربعة اشياء بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلا ذل ، وعلم بلا جهل ، قالوا فلا كلمة في اللغة اجمع للخيرات منها ، ولمذهب المعتزلة لوازم فاسدة تدل على فساده منها ان القربات من النوافل صلاح فلو كان الصلاح واجبا وجب وجوب الفرائض ، ومنها ان عدم خلق ابليس وجنوده اصلح للخلق وانفع وقد خلقه البارى جل شأنه وايضا انظاره وتمكينه وتمكين جنوده وجريانهم من الآدمي مجرى الدم في ابشارهم [1] ينافي مذهبهم فكان يلزمهم ان لا يكون شيء من ذلك والواقع خلافه

﴿ فكل من شاء هداه يهتدي وان يرد ضلال عبد يعتد ﴾

(فكل من) اى آدمي من خلقه (شاء) الله تعالى (هداه) المراد بالهدى هنا التوفيق والالهام وهذه الهداية هي المستلزمة للاهتداء والمشيئة ترادف الارادة فكل من شاء الله تعالى هدايته من جميع خلقه (يهتدي) الهداية المطلوبة في قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم » من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين [تنبيه] المشهور عند المعتزلة ومن مذهبهم ان الهداية هي الدلالة الموصلة الى المطلوب فان لم تكن موصلة الى المطلوب فليست بهداية عندهم ، وعند اهل الحق ان الهداية مجرد الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب سواء حصل الوصول والاهتداء او لم يحصل كما ذكرنا ذلك وقوله تعالى « واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » (وان يرد) الله سبحانه وتعالى (ضلال عبد) من خلقه بترك المأمور وارتكاب المحظور (يعتد) بارتكاب ذلك ، وانتهاك المحارم واقتحام المهالك ، والضلال ضد الهدي فالتوفيق والخذلان ، من الحكيم المنان ، فالتوفيق ارادة الله تعالى من نفسه ان يفعل بعبده ما يصلح به العبد بان يجعله قادرا على فعل ما يرضيه مريدا له محبا له مؤثرا له على غيره ويبغض اليه ما يسخطه ويكرهه ، وهذا مجرد

---

(1) جمع بشرة

فعله والعبد محل له ، ولم يرتض ابن القيم بتفسير التوفيق بأنه خلق الطاعة والخذلان خلق المعصية لأن ذلك مبني على مذهب الجبر وانكار الاسباب والحكم [تنبيه] فهم من النظم ان الباري جل وعلا يريد من العبيد ما لا يرضاه ولا يحبه ، فان الارادة لا تستلزم الامر والرضي والمحبة ، وقالت المعتزلة يمتنع عليه ارادة الشرور والمعاصي والقبائح ، وقالوا يريد ما لا يقع ويقع ما لا يريد حتى زعموا ان اكثر ما يقع من عباده على خلاف مراده تعالى الله عن ذلك . والحاصل ان الامر والرضي والمحبة لا تكون الا في الخير ، والارادة قد تكون في الخير وقد تكون في غيره فهي تتعلق بكل ممكن كما تقدم قال الله تعالى « ولا يرضى لعباده الكفر ، ان الله لا يأمر بالفحشاء » فان قلت قد قال « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » فالجواب الارادة التي نعنيها هي الارادة الكونية واما الارادة الدينية فهي ترادف الرضى والمحبة

فصـــل

في الكلام على الرزق وهو اسم لما يسوقه الله تعالى الى الحيوان فيأكله وقد اشار الناظم الى ذكره بقوله

* والرزق ما ينفع من حلال　　　اوضده فحل عن المحال *

(والرزق ما ينفع) المرتزق اي ينتفع المرتزق بحصوله له سواء كان ذلك المنتفع به (من حلال) وهو ما انجلت عنه التبعات وهو ضد الحرام ولهذا قال (او ضده) اي ضد الحلال وهو الحرام وهو ما منع منه شرعًا اما لصفة في ذاته ظاهرة كالسم والخمر او خفية كالرياء ومذكى المجوس ونحوهم لانه في حكم الميتة — واما لخلل في تحصيله كالربا والغصب ونحو ذلك فكل ذلك رزق لان الله تعالى يسوقه للحيوان فيتناوله ويتغذى به * وخالفت المعتزلة فقالوا الحرام ليس برزق وفسروه تارة بمملوك يأكله المالك وتارة بما لا يمنع عن الانتفاع به وذلك لا يكون الا حلالا ، فيلزمهم على التفسير الاول ان ما يأكله الدواب ليس برزق مع ظاهر قوله تعالى « وما من دابة في الارض الا على الله رزقها » فيكون مصادما للقرآن ، لانه يقتضي ان كل دابة مرزوقة ، ويلزمهم على الوجهين ايضا ان من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله

تعالى اصلا وهو خلاف الاجماع الحاصل من الامة قبل ظهور المعتزلة ان لا رازق الا الله تعالى وان استحق العبد الذم واللوم على اكل الحرام ولهذا قال (فحل) اى زل وارجع (عن المحال) وجه كونه محالا انه لا احد يبقى بلا رزق ولا يمكن الا ان يأكل رزقه فعلى كل حال ، ما ذهب اليه المعتزلة ضرب من المحال ، ولهذا اوضح كون ذلك محالا بقوله

❊ لانه رازق كل الخلق وليس مخلوق بغير رزق ❊

❊ ومن يمت بقتله من البشر او غيره فبالقضاء والقدر ❊

(لأنه) سبحانه وتعالى (رازق كل الخلق) كما في الادلة القرآنية والاحاديث النبوية مما لا يحصى الا بكلفة (وليس) يوجد (مخلوق) من سائر الحيوانات ويبقى (بغير رزق) فظهر فساد مذهب المعتزلة وحقية مذهب اهل الحق فان الله تعالى قسم بين خلقه معايشهم في الحياة الدنيا ومعلوم ان الحرام معيشة لبعض الانام والله الفعال لما يريد (ومن يمت) من سائر الحيوانات ، (بقتله) من سائر انواع القتل (من البشر) محركة الانسان ذكرا كان او انثى (او غيره) من سائر الحيوانات لدفع توهم ان ما قتل منها ليس كذلك (ف) موته (بالقضاء) اى بقضاء الله تعالى وهو لغة الحكم وعرفا ارادة الله تعالى الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هى عليه فيما لا يزال (والقدر) بتحريك الدال وتسكن مصدر قدرت الشئ بفتح الدال مخففة اذا احطت بمقداره وال فيه وفي القضاء عوض عن مضاف اليه اي بتقدير الله تعالى لذلك * وهو عند الماتريدية تحديده تعالى ازلا كل مخلوق بحده الذي يوجد به من حسن وقبح ونفع وضر وما يحويه من زمان ومكان وما يترتب عليه من طاعة وعصيان وثواب وعقاب وغفران * وعند الاشاعرة ايجاد الله تعالى الاشياء على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها واحوالها طبق ما سبق به العلم وجرى به القلم ، اذا علمت هذا مع ما قدمناه تحت قوله وكل ما يفعله العباد . البيتين علمت ان القدر عند السلف ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن الى الابد ، وانه عز وجل قدر مقادير الخلائق وما يكون من الاشياء قبل ان يكون في الازل ، وعلم سبحانه وتعالى انها تقع في اوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها ، فقوله ومن يمت بقتله الى آخره المراد ان المقتول ميت باجله اي الوقت المقدر لموته

لا كما يزعم بعض المعتزلة من ان الله تعالى قد قطع عليه الاجل ، والحق عند اهل الحق ان المقتول ميت في الوقت الذي قدره الله تعالى له وعلم انه يموت فيه لا كما زعمت المعتزلة انه قد قطع عليه الاجل يعني انه لم يوصله اليه وانه لو لم يقتل لعاش الى امد هو اجله الذي علم الله تعالى موته فيه لولا القتل فهم يقطعون بامتداد العمر لولا القتل ، وزعم ابو الهذيل منهم انه لو لم يقتل لمات في ذلك الوقت البتة ، وقول غيره لو لم يقتل لجاز ان يموت في ذلك الوقت وان لا يموت ، وهو مذهب اهل السنة يعني الى اجله الذي اذا جاء لا يتأخر عنه ولا يتقدم كما قال تعالى « فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » * والحاصل ان المقتول مات باجله الذي اجله الله تعالى لا يتقدم موته عليه لحظة ولا يتأخر عنه لحظة فانه عز وجل حكم باجال العباد على علم من غير تردد ، واما الاحاديث التي فيها ان بعض الطاعات تزيد في العمر مثل صلة الرحم ونحو ذلك مما جاء انه يقصر العمر فهذا في الصحف التي يقع فيها المحو والاثبات وعلم الله تعالى لا يقع فيه تغيير ولا زيادة ولا نقصان كما مر ، والحق ان الاجل واحد لا كما زعم الكعبي ان للمقتول اجلين القتل والموت وانه لو لم يقتل لعاش الى اجله الذي هو الموت ، ولا كما زعمت الفلاسفة ان للحيوان اجلاً طبيعياً قيل هو في الانسان ان يبلغ مائة وعشرين سنة وموته عندهم به بتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين — واجلا آخر غير الطبيعي اخترامه بحسب الآفات والامراض ولرد هذه المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة العاطلة اشير بقوله :

* ولم يفت من رزقه ولا الاجل   شيء فدع اهل الضلال والخطل *

(ولم يفت) على المقتول ولا غيره (من رزقه) المقسوم له في علم الملك الحي القيوم شيء قل ولا جل (ولا) فاته ايضاً من (الاجل) المحتوم (شيء) ولا لحظة واحدة (فدع) اي اترك وجانب (اهل الضلال) من طوائف الاعتزال فانهم قد ضلوا الطريق القويم ، واضلوا عن الصراط المستقيم ، (و) دع اهل (الخطل) وهو بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة الخفة والسرعة والكلام الفاسد الكثير وهذا مناسب لحال الفلاسفة لسرعة كلامهم وتنميقه مع ما فيه من الاضطراب وكثرة الخطأ وقلة الصواب والتناقض والتحكم بالعقول ، والخوض فيما لا تعلم حقيقته الا بالتلقي عن الرسول ، فكم لهم من هفوة باردة ومقالة فاسدة .

الباب الثالث

في الاحكام والكلام على الايمان ومتعلقات ذلك

اعلم وفقني الله واياك وسائر المسلمين لمرضاته ان طرق الناس قد اختلفت في علة التكليف وحكمته مع كون الله تعالى لا ينتفع بطاعة ولا تضره معصية ، وحسبك ما يدل عليه العقل الصريح والنقل الصحيح ، اما اتباع الرسل الذين هم اهل البصائر فحكمة الله عز وجل في تكليفهم ما كلفهم به اعظم واجل عندهم مما يخطر بالبال او اعرب به المقال فيشهدون له سبحانه في ذلك من الحكم الباهرة والاسرار العظيمة اكثر مما يشهدونه في مخلوقاته وما تضمنته من الاسرار والحكم و يعلمون مع ذلك انه لا نسبة فيما اطلعهم سبحانه عليه من ذلك الى ما طوى علمه عنهم واستأثر به دونهم وان حكمته في امره ونهيه لانه جل وعلا اهل ان يعبد والى هذا المقام اشار بقوله

وواجب على العباد طرا ان يعبدوه طاعة وبرا

(وواجب على العباد طرا) اي جميعاً وهو منصوب على المصدر او الحال (ان يعبدوه) سبحانه وتعالى (طاعة) اي لاجل الطاعة وامتثال الامر لما ندب الخلق اليه من التكليف على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (و براً) اى لأجل البر والاحسان الناشئ عنهما المحبة فهو سبحانه اهل ان يعبد واهل ان يكون الحب كله له والعبادة له حتى لو لم يخلق جنة ولا ناراً ولا وضع ثواباً ولا عقاباً لكان جل شأنه اهلاً ان يعبد اقصى ما تناله قدرة خلقه من العبادة ، وفي الفطرة والعقل ما يقتضي شكره وافراده بالعبادة كما فيهما ما يقتضي تناول المنافع واجتناب المضار فان الله تعالى فطر خلقه على محبته والاقبال عليه وابتغاء الوسيلة اليه وانه لا شيء على الاطلاق احب الى العباد منه ، وان فسدت فطر اكثر الخلق بما طرأ عليها مما اقتطعها واحتالها عما خلق فيها كما قال تعالى « فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها » فبين سبحانه ان اقامة التوجه وهو اخلاص القصد و بذل الوسع لدينه المتضمن محبته وعبادته حنيفاً مقبلا عليه معرضاً عما سواه هو فطرته التي فطر عليها عباده فلو خلوا ودواعي فطرهم لما مالوا عن ذلك ولا اختاروا سواه ولكن غيرت الفطر وافسدت كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « مامن مولود الا يولد

على الفطرة فابواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها [1] » ثم يقول ابو هريرة اقرؤا « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون • منيبين اليه » ومنيبين نصب على الحال من المفعول اي فطرهم منيبين اليه والانابة اليه تتضمن الاقبال عليه بمحبته وحده والاعراض عما سواه ، واعلم انه لا يمكن احداً من خلقه قط ان يعبده حق عبادته ولا يوفيه حقه من المحبة والحمد ولهذا قال افضل خلقه واكملهم واعرفهم به واحبهم اليه واطوعهم له لا احصي ثناء عليك * ولما كانت عبادته سبحانه وتعالى تابعة لمحبته واجلاله و كانت المحبة نوعين محبة تنشأ عن الانعام والاحسان فتوجب شكراً وعبودية بحسب كمالها ونقصانها ، ومحبة تنشأ عن جمال المحبوب وكماله فتوجب عبودية وطاعة امر واجتناب نهي اكمل من الاولى ، وكان الباعث على الطاعة والعبودية لايخرج عن هذين النوعين — قال الناظم عاطفاً امتثال الامر والانتهاء عما عنه الزجر

❋ ويفعلوا الفعل الذي به امر   حتما و يتركوا الذي عنه زجر ❋

(و) أن (يفعلوا) يعني العباد (الفعل الذي به امر) سبحانه وتعالى فان كان على سبيل الحتم والتأكيدفعلوه على الوجوب وان كان على سبيل الندب والارشاد فعلى الندب ولهذا قال (حتما) اي لازماً يعني انهم يفعلون ما امر الله به امراً على سبيل الحتم واللزوم واما اذا كان الامر لا على سبيل الحتم ففعله غير لازم لهم بل هو مندوب (و) ان (يتركوا) الشيء (الذي عنه زجر) ولا يخفى ان الزجر يفيد التحريم لان معنى الزجر المنع ، فان لم يكن على سبيل الزجر والتحتيم فيكون للكراهة وخلاف الاولى وتركه على سبيل الندب والاستحباب ، فتكون الطاعة تارة تقع عن محبة وشوق واخرى عن خوف مقرون بحب واما من اتى بصورة الطاعة خوفا مجردا عن الحب فليس بمطيع ولا عابد وانما هو كالمكره او كاجير السوء ان اعطى عمل وان لم يعط كفر وابق

[ ] هكذا وجدناه في الاصل والمختصر وقد اخرجه الامام البخاري بلفظ « ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » ثم يقول الخ . . .

فصل

في الكلام على القضاء والقدر غير ما تقدم قال

﴿ وكل ما قدر اوقضاه فواقع حتما كما قضاه ﴾

(وكل ما) اي كل شيء (قدر) ه سبحانه و تعالى (او قضاه) من سائر الاشياء (فواقع حتما) لازما (كما قضاه) اي كما حكم به وقدره حسبما سبق به علمه وجرى به القلم في ام الكتاب الذي كتبه قبل ان يخلق السموات والارض والخلائق بخمسين الف عام المذكور في قوله تعالى « ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها » قال في النهاية قد تكرر في الحديث ذكر القدر وهو عبارة عما قضاه الله تعالى وحكم به من الامور ، وقال في القضاء انه الفصل والحكم وقد تكرر في الحديث ذكر القضاء واصله القطع والفصل وقضاء الشيء احكامه وامضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق ، وقال الازهري القضاء والقدر امران متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر لان احدهما بمنزلة الاساس وهو القدر والاخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه ، فقوله في النظم . فواقع حتما كما قضاه . اشارة الى ان الله تعالى قدر الاشياء في الازل وعلم سبحانه انها ستقع في اوقات معلومة عنده على صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها وقضاها من غير زيادة ولا نقص ، وقصد بذلك الرد على المعتزلة القدرية المنكرة لسبق العلم بالاشياء قبل وجودها وزعمهم ان الله تعالى لم يقدر الامور ازلا ولم يكتبها ولم يتقدم له علم بها وانما يأتنفها علما حال وقوعها وهؤلاء انقرضوا ، واما القدرية المثبتة لسبق العلم بالاشياء انما خالفوا السلف في زعمهم ان افعال العباد مقدورة لهم واقعة منهم على جهة الاستقلال لا اذن ولا صنع للباري في ذلك كما مر الكلام على ذلك

﴿ وليس واجب على العبد الرضى بكل مقضيٍّ ولكن بالقضا ﴾

(وليس واجب على العبد) المكلف (الرضي) وهو سكون القلب والطمأنينة الى قدم اختيار الله للعبد انه اختار له الافضل فيرضى به . قال المحقق الرضى بالله اعلى من الرضى بما من الله وليس من شرط الرضى ان لا يحس بالألم والمكاره ، بل ان لا يعترض على الحكم وان لا يتسخطه ، واجمع العلماء على ان الرضى

مستحب موكد استحبابه واختلفوا في وجوبه على قولين · وكان شيخ الاسلام يذهب الى القول باستحبابه ، قال ولم يجيء الامر به كما جاء بالصبر وانما جاء الثناء على اصحابه ومدحهم · قال ابن القيم ولاسيما عند من يرى ان الرضى من جملة الاحوال التي ليست مكتسبة وانه موهبة محضة فكيف يؤمر به وليس مقدوراً · واما الرضى بقضاء الله فهو المشار اليه بقوله لا يجب الرضي (بكل مقضي) بل حكم المقضي لا بد فيه من التفصيل لانه اما ان يكون مقضيا دينيا شرعيا · فالواجب على العبد ان لايختار في هذا النوع غير ما اختاره له ربه وسيده فاختيار العبد خلاف ذلك مناف لايمانه وتسليمه ورضاه بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، واما ان يكون كونياً قدريا وهذا منه ما لا يسخطه الله كالمصائب الذي يبتلي عبده بها فهذا لا يضره فراره منها الى القدر الذي يرفعها عنه ويكشفها وليس في ذلك منازعة للربوبية وان كان فيه منازعة للقدر بالقدر ، فهذا تارة يكون واجبا ، وتارة يكون مستحبا ، وتارة يكون مباحا مستوي الطرفين ، وتارة يكون حراما ، وتارة يكون مكروها · فالمقتضي الذي لايحبه الرب ولا يرضاه مثل المعايب والذنوب ، فالعبد مأمور بسخطه منهي عن الرضى به وهذا هو التفصيل الواجب في الرضى القضاء المشار اليه بقوله (ولكن) يجب الرضا (بالقضا) فان لفظ الرضاء بالقضاء لفظ محمود مأمور به وهو من مقامات الصديقين فصار له حرمة اوجبت لطائفة قبوله من غير تفصيل وهم القدرية ، والمرجئة ، والجبرية ، وكل على سبيل ضلال · والحق في ذلك التفصيل فنرضى بقضاء الله تعالى الذي هو خلقه الذي امرنا ان نرضى به ولا نرضي من ذلك بالمقضي مما نهانا عن الرضى بـه فنرضي بالقضاء ونسخط من المقضي ما لا يحبه الله تعالى ويرضاه ولهذا قال

❊ لانه من فعله تعالى ❊ وذاك من فعل الذي تقالى ❊

(لانه) اي القضاء (من فعله) اي من فعل الله سبحانه و (تعالى) وهذا احد الاجوبة عن الرضى بالقضاء فنرضى بفعل الله تعالى دون المعصية الصادرة من العبد وهذا ونحوه لا يتمشى على قواعد اصول من يجعل محبة الرب ورضاه ومشيئته واحدة فان من قال كل ما شاء الله تعالى وقضاه فقد احبه ورضيه لايحسن منه ولا عنده وهذا التفصيل كما لا يخفى ، وايضاً هذا انما يصح عند من جعل القضاء غير المقضي ،

والفعل غير المفعول ، وهو مذهب السلف . واما من لم يفرق بينهما فكيف يصح هذا عنده وان الله جل شأنه لم يامر عباده بالرضى بكل ما خلقه وشاءه (وذلك) اي المقضي المبغوض لله تعالى ورسوله من المعاصي والظلم والعدوان ونحوها لا يرضى به العبد لانه (من نعل) الشخص (الذي تقالا) تفاعل من قلاه كرماه رفضه وابغضه اي من فعل الذي اتى بما يبغضه الله تعالى باتيانه به وملابسته له ، وفعله الذي فعله من المظالم والمعاصي والاشياء المبغوضة للباري سبحانه وتعالى ، فاتى بما يوجب بغضه ويكرهه فهذا لا يسوغ الرضى به . ومن المسئلة ان الذى الى الرب منها غير مكروه وانما المكروه المسخوط هو ما للعبد منها * قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى القضاء يراد به ثلاثة اشياء [احدها] الامر والنهي فهذا الرضى به واجب [والثاني] الكفر والمعاصي فهذا الرضى به ليس بواجب [والثالث] المصائب التي تصيب العبد فهل الرضى بها واجب او مستحب ، ثم يقال القضاء الذي هو صفة الله تعالى الرضى به واجب ، واما المقضي وهو الكفر والمعاصي التي هي افعال العباد فالرضى بها ليس بواجب انتهى . ومقصوده ولا جائز * وفي تائية شيخ الاسلام ابن تيمية

وقال فريق نرتضي بقضائه ولا نرتضى المقضي لاقبح خلة
وقال فريق نرتضي باضافة اليه وما فينا فنلقى بسخطة
نرضى من الوجه الذي هو خلقه ونسخط من وجه اكتساب بحيلة

قال الطوفي في شرح التائية المذكورة [الثالث] قول من قال نرضى بالقضاء الذي هو تقديره ولا نرضى بالمقضي الذي هو افعالنا القبيحة ، قال وبهذا اجاب بعض اهل السنة للمعتزلة عن قولهم لو كان الكفر بقضاء الله تعالى لوجب الرضاء به ، لان الرضى بالقضاء واجب لكن الرضى بالكفر كفر فلا يكون بقضاء الله تعالى ، فاجابهم بالفرق بين القضاء والمقضي [الرابع] قول من قال نرضى بالمقضي من حيث انه خلق الله ومراده ، ونسخطه من حيث هو مكتسب لنا ، وهذا من باب اختلاف الجهتين فان قلت ليس الى العبد شيء منها قلنا هذا هو الجبر الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المقام الضيق ، والقدري اقرب الى التخلص منه من الجبري ، واهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية هم اسعد بالتخلص منه من الفريقين .

﴿ فصل في الكلام على الذنوب ومتعلقاتها ﴾

اعلم وفقك الله تعالى ان فرقة المعتزلة من اول فرقة اسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السنة وجرى عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم باحسان رضي الله تعالى عنهم في باب العقائد ، وذلك ان رئيسهم واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري يقرر ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر و يثبت المنزلة بين المنزلتين ، فقال له الحسن اعتزل عنا فسموا المعتزلة ، واما اهل السنة فلم يخرجوه من الاسلام ولم يحكموا عليه بخلود في النار وانما هو فاسق بكبيرته مؤمن بايمانه وهو تحت مشيئة الله تعالى ولهذا قال

﴿ ويفسق المذنب بالكبيره   كذا اذا اصر بالصغيره ﴾

(و يفسق) المسلم المكلف (المذنب بالكبيرة) اصل الفسوق الخروج عن الاستقامة وسمي الرجل فاسقا لخروجه عن امر الله والمذنب هو المقترف للذنب وهو الاثم ، والكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا او وعيد في الآخرة ، والصواب تقسيم الذنوب الى كبيرة وصغيرة (كذا) اي مثل اتيانه الكبيرة (اذا اصر) على الجريمة الصغيرة يقال اصر على الشيء اذا لزمه وداومه واكثر ما يستعمل في الشر والذنوب واما من اتبع الذنب الصغير بالاستغفار فليس بمصر عليه وان تكرر منه فمن اصر فانه يفسق حتى (بالصغيرة) لان الاصرار يصير الصغيرة في حكم الكبيرة قال بعض العلماء تصير الصغيرة كبيرة بخمسة اشياء : الاصرار عليها ، والتهاون بها ، والفرح بها والافتخار بها ، وصدورها عن عالم فيقتدى به فيها ، ثم ذكر ما عليه اهل السنة من ان اتيان الجريمة وان كانت كبيرة لا يخرج بها الشخص المؤمن من الايمان بقوله

﴿ لا يخرج المرء من الايمان   بموبقات الذنب والعصيان ﴾

(لا يخرج المرء) هو بتثليث الميم الانسان (من الايمان) الاتي تعريفه فيما بعد (بموبقات الذنب) متعلق بقوله لا يخرج والموبقات المهلكات جمع موبقة سميت الجريمة الكبيرة بذلك لانها سبب لاهلاك مرتكبها في الدنيا بما يترتب عليها من العقاب وفي الاخرة من العذاب وتفاصيل ذلك كثيرة جدا ، والمراد ان الانسان

لا يخرج من الايمان بملابسته واتيانه بمو بقات الذنوب التي هي اكبر الكبائر وال في الذنب للجنس اوالاستغراق فيشمل كل الذنوب (والعصيان) دون الشرك بالله والكفر به باي انواع المكفرات فان ذلك يخرجه من الدين بيقين ، والعصيان ضد الطاعة وهو يرادف الذنب والاثم و الجرم * وقد اختلف الناس في هذه المسئلةعلى طرق ،فطريق الخوارج ان من ارتكب كبيرة من الذنوب بل والصغيرة لان عندهم كل ذنب كبيرة نظرا لعظمة من عصي و كل كبيرة كفر — يخرج من الايمان و يدخل الكفر ويخلد في النار ، وطريق المعتزلة انه يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر فهو في منزلة بين الكفر والايمان ، ومن اصولهم اثبات المنزلة بين المنزلتين كما مر ، ومع ذلك هو خالد في النار مع قولهم ان مرتكبي الكبائر ليسوا بكفار ، هذا كله عند الطائفتين مالم يتو بوا قبل معاينة الموت *والحق مذهب اهل الحق من اهل السنة ان مرتكبي الكبائر في مشيئة الله تعالى وعفوه لان اصل الايمان موجود ، ونصوص الكتاب والسنة لا تدل الا على هذا كقوله تعالى «يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى » الآيتين وفي ذلك يقول «فمن عفي له من اخيه شيء » فسماه اخا وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرو يه عن ر به تبارك وتعالى « ابن آدم لو لقيتني بقراب الارض خطايا ثم اتيتني لا تشرك بي شيئا اتيتك بقرابها مغفرة » اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي حديث الشفاعة «اخرجوا من النار من في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان» فالتوحيد من اعظم بل اعظم اسباب المغفرة فمن فقده فقد المغفرة ومن جاء به فقد اتى باعظم اسباب المغفره قال الله تعالى «ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء » فدلت الآية مع حديث انس ان من جاء مع التوحيد بملء الارض خطايا لقيه الله تعالى بملئها مغفرة مع مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وان شاء واخذه بذنو به ثم كانت عاقبته ان لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة ، فدل الكتاب والسنة واتفاق الفرقة الناجية على انه لا يخلد في النار احد من اهل التوحيد * واما آية النساء «ومن يقتل مؤمنا متعمدا » فلها نظائر امثالها من نصوص الوعيد كقوله تعالى « ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا » وكذلك ما ورد من السنة كقوله صلى الله تعالى عليه

وسلم من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها [1] خالدا مخلدا في نارجهنم»
ونظائره كثيرة ، فقالت فرقة في الكلام اضمار ، فمنهم من قال باضمار الشرط
والتقديرفجزاؤه كذا ان جازاه او ان شاء ، ومنهم من قال باضمار الاستثناء
والتقدير فجزاؤه كذا الا ان يعفو ، وقالت فرقة هذا وعيد واخلاف الوعيد
لا يذم بل يمدح ، فيجوز على الله تعالى اخلاف الوعيد لا اخلاف الوعد ، والفرق
بينهما ان الوعيد حقه فاخلافه عفو وهبة واسقاط ذلك موجب كرمه وجوده واحسانه
والوعد اوجبه على نفسه بوعده والله تعالى لا يخلف الميعاد ، وعلى كل حال قد قام
الدليل على ذكر الموانع من انفاذ الوعيد بعضها بالاجماع و بعضها بالنص ، فالتوبة
مانع بالاجماع ، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها،والحسنات العظيمة
الماحية مانعة ، والمصائب المكفرة مانعة ،واقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص ، فلا
تعطل هذه النصوص واضعاف اضعافها فلا بد من اعمال النصوص من الجانبين ، وعلى
هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما وبناء الاحكام الشرعية والاحكام القدرية ،
وهو مقتضى الحكمة السارية في الوجود و به ارتباط الاسباب ومسبباتها خلقا وامرا
وقد جعل الله تعالى لكل ضد ضدا يدافعه ومانعا يمانعه و يكون الحكم للاغلب منهما
*والحاصل والله اعلم كون المذنب الملي [2] وان كثرت ذنوبه وعظمت خطاياه في
مشيئة مولاه ، ان شاء عذبه وان شاء عافاه ، وعلى كل حال ، خلود اهل التوحيد
في النار من المحال ، فالصواب اجتنابه والتعويل على مذهب اهل الحق . ولما كان من
متعلقات الذنوب التوبة وكانت واجبة على كل من تلبس بذنب ذكر ذلك بقوله

وواجب عليه ان يتوبا من كل ماجرى عليه حوبا

(وواجب) وجوب لزوم (عليه) اي المذنب (ان يتوبا) بالف الاطلاق للوزن
اي ان يرجع فالتوبة اصل كل مقام ومفتاح كل حال فمن لا توبة له لا مقام له ولا
حال ، قال النووي اصل التوبة لغة الرجوع والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الذنب
انتهى ، فهي الرجوع عن الذنب بان يقلع عنه و يندم عليه ويعزم على ان لا يعود اليه
و يرضي الآدمي عن ظلامته ان تعلقت به ، وقال بعضهم التوبة الواجبة الرجوع عما

---

(١) اي يضرب بها نفسه (٢) اي المنسوب الى الملة الاسلامية ا ه ش

كان مذموما في الشرع من ترك واجب او فعل محرم الى ما هو محمود في الشرع * قال النووي رحمه الله تعالى اركانها ثلاثة الاقلاع والندم على فعل تلك المعصية والعزم على ان لا يعود اليها ابدا ، وان لا يغرغر انتهى ، فان كانت المعصية لآدمي فلها ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق ، واصلها الندم وهو ركنها الاعظم * وقد فسرت الصحابة رضي الله تعالى عنهم كاميري المؤمنين عمر وعلي وابن مسعود التوبة بالندم ، ومنهم من فسرها بالعزم على ان لا يعود ، وقد روي ذلك مرفوعا من وجه فيه ضعف لكن لا يعلم مخالف من الصحابة في هذا ، وكذلك التابعون من بعدهم وفي قوله (من كل ما) اي شيء (جرّ) اي قاد وجذب (عليه) اي المذنب (حوبا) اي اثما والحوب بالضم الهلاك والبلاء ومراد الناظم من ذلك من كل ما جر عليه الهلاك والبلاء — اشعار بوجوب التوبة من كل ذنب كبير او صغير ، وهذا مما اتفق عليه العلماء فانهم اتفقوا على ان التوبة من كل معصية واجبة على الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت صغيرة او كبيرة ، وانها من مهمات الاسلام وقواعد الدين المتأكدة ، ووجوبها عند اهل السنة بالشرع ، وعند المعتزلة بالعقل * وظاهر النصوص القرآنية والاحاديث النبوية والآثار السلفية على ان من تاب لله توبة نصوحا واجتمعت شروط التوبة في حقه انه يقطع بقبول توبته كرما منه وفضلا ، وعرفنا قبولها بالشرع والاجماع خلافا للمعتزلة ، اما في حق قبول توبة الكافر بالاسلام فهذا بالاجماع كما نقله غير واحد ، قال النووي في شرح مسلم وغيره توبة الكافر من كفره قبولها مقطوع به ، واما قبول توبة المذنب النصوح بشروطها فقول الجمهور وكلام ابن عبد البر يدل على انه اجماع ، ومن الناس من قال لا يقطع بقبول التوبة بل يرجى وصاحبها تحت المشيئة منهم امام الحرمين ، والى قبول التوبة فضلا وكرما اشار بقوله

* ويقبل المولى بمحض الفضل	من غير عبد كافر منفصل *
* ما لم يتب من كفره بضده	فيرتجع عن شركه وصده *

(ويقبل المولى) الذي هو رب العالمين ذو الكرم الواسع (بمحض) اي خالص (الفضل) والكرم من غير وجوب عليه تعالى ولا الزام (من) كل عبد مذنب تاب

الى الله تعالى توبة نصوحا بشروطها المذكورة فاذا اجتمعت قبلت التوبة ولا بد ان تكون من شخص مسلم (غير عبد كافر) بالله ورسوله (منفصل) عن الدين اما بردة او كان كافراً اصليا فلا تقبل توبته من الذنوب (ما لم يتب) اي يرجع (من كفره) فيسلم ويتصف من بعد رجوعه عن الكفر (بضده) من الاسلام فان كان مرتدا بانكار ما علم من الدين بالضرورة ايجابا وتحريما فيرجع عن انكاره ذلك ويقر ويذعن حسبما جاء به النبي الكريم وان كان مشركا او معتقد ان لله شريكا يستقل بالنفع والضرر وعلم الغيب مما استأثر الله تعالى بعلمه (ف) لايقبل منه ما لم (يرتجع عن شركه) الذي كان متصفا به (وضده) اي اعراضه عن الدين واتباع سيد العالمين بان يذعن وينقاد لشريعة خير العباد مسلما خاضعا مقبلا بقلبه وقالبه خالعا ما كان عليه فهذا يقبل اسلامه اجماعا * واما المذنب فزعم بعض الناس انه لا يقطع بقبول توبته مع استيفاء الشروط متعللا بقوله تعالى « ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء » فجعل كل الذنوب تحت المشيئة وربما تعلقوا بمثل قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم » و بقوله « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم » والظاهر ان هذا في حق التائب لان الاعتراف يقتضي الندم والصحيح قول الجمهور، وهذه الآيات لا تدل على عدم القطع فان الكريم اذا اطمع لم يقطع من رجائه المطمع ، ومن هنا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان عسى من الله واجبة، وقد ورد جزاء الايمان والعمل الصالح بلفظ عسى ايضا فلم يدل ذلك على انه غير مقطوع به كما في قوله « انما يعمر مساجد الله » الآية واما قوله تعالى « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» فان التائب ممن يشاء ان يغفر له كما اخبر بذلك في مواضع كثيرة من كتابه

[تنبيهات] الاول اختلف الناس هل تكفر الاعمال الصالحة الكبائر والصغائر ام لا تكفر سوى الصغائر قال الحافظ ابن رجب والصحيح قول الجمهور ان الكبائر لا تكفر بدون التوبة لانها فرض لازم على العباد ، واما النصوص المتضمنة مغفرة الذنوب وتكفير السيئات للمتقين فانه سبحانه وتعالى لم يبين في الآيات خصال التقوى ولا العمل الصالح فان من جملة ذلك التوبة النصوح ومن لم يتب فهو ظالم غير متق

[الثاني] تقدم ان الصحيح المعتمد وجوب التوبة حتى من الصغائر كالكبائر وقيل لا تجب من الصغائر توبة لانها تقع مكفرة باجتناب الكبائر لقوله تعالى « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » [الثالث] تنازع الناس في العبد هل يصير الى حال يمتنع عليه فيه قبول التوبة اذا ارادها فصوب شيخ الاسلام قدس الله روحه ان التوبة ممكنة من كل ذنب لمن ارادها ويمكن ان الله يغفر له وهذا الذي عليه اهل السنة والجمهور، وقد فرض بعض الناس ان من توسط ارضا مغصوبة ومن توسط جرحى فكيف ما تحرك قتل بعضهم فقيل هذا لا طريق له الى التوبة والصحيح ان هذا وغيره اذا تاب قبل الله توبته [الرابع] تصح التوبة في المعتمد من ذنب مع الاصرار على آخر عند السلف والخلف * قال شيخ الاسلام ومن تاب من بعض ذنوبه فالتوبة تقتضي مغفرة ما تاب منه فقط وما علمت فيه نزاعا الا في الكافر اذا اسلم فان اسلامه يغفر له الكفر ، وهل يغفر له الذنوب التي فعلها في حال كفره ولم يتب منها في الاسلام على قولين معروفين الصحيح انه اذا لم يتب من الذنب بقي على حكمه ولا يغفر الا بمشيئة الله تعالى كغيره من المسلمين الذين عملوا في الاسلام انتهى * واذا تاب الانسان توبة عامة فهي تتناول كل ما رآه ذنبا لان التوبة العامة تتضمن عزما عاما لفعل المأمور وترك المحظور وندما عاما على كل محظور (1) [الخامس] من اغتاب انسانا او قذفه ونحوه هل يشترط لصحة توبته اعلامه بذلك واستحلاله من ذلك ، اما المال وما يجوز ان يعتاض عنه بمثله او قيمته فلا بد من الردان قدر ، قال في الهداية مظالم العباد تصح التوبة منها على الصحيح في المذهب ، وهو قول ابن عباس ، ومن مات نادما عليها كان الله عز وجل المجازي للمظلوم عنه يعني حيث لم يقدر على رد المظلمة ، وفي الرعاية يرد ما اثم به وتاب بسببه يبذله الى مستحقه او ينوى ذلك اذا امكنه او تعذر رده في الحال ، فالمشهور عند الجمهور لا يجب الاعلام ولا الاستحلال * قال شيخ الاسلام انه قول الاكثرين وانه ان تاب من قذف انسان او غيبته قبل علمه به لا يشترط لتوبته

---

(1) انما اظهر لفظ المحظور مع ان المقام مقام اضمار لئلا يعود على لفظ المضاف وهو ترك فيتغير المعنى لان الندم شرط ان يكون من المحظور لا من تركه ا ه ش

اعلامه والتحلل منه واختاره القاضي ، قال عبد الله ابن المبارك لسفيان بن عيينة التوبة من الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته قال سفيان بل تستغفره [1] مما قلت فيه فقال ابن المبارك لا تؤذه مرتين ، ومثل قول ابن المبارك اختار شيخ الاسلام وابن الصلاح الشافعي ، قال شيخ الاسلام واختار أصحابنا انه لا يعلمه بل يدعو له دعاء يكون احسانا اليه في مقابلة مظلمته فان تضرر الانسان بما علمه من شتمه ابلغ من تضرره بما لا يعلم ثم قد يكون الاعلام سبب العدوان على الظالم او لا [2] اذ النفوس لا تقف غالبا عند العدل والانصاف [3] وايضا فيه زوال ما كان بينهما من كمال الالفة والمحبة او تجدد القطيعة والبغضة والله تعالى امر بالجماعة ونهى عن الفرقة ، فعلى هذا لو سأل المقذوف والمسبوب قاذفه هل فعل ذلك ام لا لم يجب عليه الاعتراف على الصحيح من الروايتين اذ توبته صحت في حق الله تعالى بالندم وفي حق العبد بالاحسان اليه بالاستغفار ونحوه وهل يجوز الاعتراف او يستحب او يكره او يحرم ، الا شبه ان ذلك يختلف باختلاف الاحوال وعلى هذا لو استحلف على ذلك جاز له ان يحلف ويعرض لانه مظلوم بالاستحلاف فاذا كان تاب وصحت توبته لم يبق لذلك عليه حق فلا تجب اليمين عليه ، واما لو ظلمه في دم او مال فلا بد من ايفاء الحق فان له بدلا ، قال ابن مفلح وفي هذا خلاص عظيم وتفريج كربات النفوس من آثار المعاصي والمظالم .

﴿ومن يمت ولم يتب من الخطا	فامره مفوض لذي العطا﴾
﴿فان يشأ يعفو وان شاء انتقم	وان يشأ اعطى واجزل النعم﴾

(ومن) أي أيّ امرئٍ مذنب (يمت) اي يدركه الموت وهو مصر على ذنوبه

---

(١) اي تطلب السماح بمقاتلته في شأنه (٢) اي وقد لا يكون لكنه لما كان الاعلام سبباً للعدوان على الغير ولو لبعض الناس لم يشترط في صحة التوبة

(٣) اي بل تطلب الانتقام والتشفي منه فيكون المعلم تعدى على نفسه وعلى غيره . ا ه ش

ومنهمك في شهواته (ولم يتب من الخطأ) الذي ارتكبه والاثم الذي اكتسبه (فامره) الذي يؤل اليه (مفوض) اي موكول ومردود (لذي) اي صاحب (العطا) الواسع والكرم والعطا ويد النوال وفي الاسماء الحسنى المعطي اي يعطي من يريد ما يريد ومن ثم قال (فان يشأ) سبحانه وتعالى (يعفو) اى يتجاوز عن من مات مرتكبا لذنوبه ولم يتب منها والعفو هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه واصله المحو وذهاب الأثر (وان شاء انتقم) منه فان عامله بالفضل عفا وانعم ، وان عامله بالعدل انتقم وآلم ، والانتقام ان يبلغ في العقوبة حدها (وان يشأ اعطى) النوال السهل (واجزل) اي اكثر واعظم لهم (النعم) بكسر النون جمع نعمة بكسر النون ايضا والاسم بالفتح قال في القاموس النعمة بالكسر المسرة ونعيم الله عطيته * قال المحقق في كتابه الجيوش الاسلامية النعمة نعمتان مطلقة ونعمة مقيدة فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الابد وهي نعمة الاسلام وهي التي امرنا الله سبحانه وتعالى ان نسأله في صلاتنا ان يهدينا صراط اهلها ومن خصهم بها وجعلهم اهل الرفيق الاعلى حيث يقول « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا » فهؤلاء الاصناف الاربعة هم اهل هذه النعمة المطلقة وهم المعنيون بقوله تعالى « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » واذا قيل ليس لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو صحيح ، والنعمة الثانية هي النعمة المقيدة كنعمة الصحة والغنى وعافية الجسد وامثال ذلك فهذه مشتركة بين البر والفاجر والمؤمن والكافر واذا قيل لله على الكافر نعمة بهذا الاعتبار فهو حق * والحاصل ان مذهب اهل الحق من من اهل السنة والجماعة ان مات مذنبا ولو مصرا على كبائر الذنوب ولم يتب منها لم نقطع له بخروج من الدين ، بل نثبت انه من المؤمنين ، ولم نقطع له بدخول النار ، بل نفوض امره الى الحكيم الغفار ، فان شاء عذبه غير انه لا يخلده في النار ، وان شاء عفا عنه ابتداء ، اما بشفاعة مقبولة او بدعوة صالحة او بمصيبة من تشديد عند الموت او غيره من مصايب البرزخ والصدقة عنه بعد الموت والاعمال الصالحة التي يهديها غيره له او برحمة ارحم الراحمين ونحو ذلك ، وان شاء رفع عنه العذاب ،

واجزل له الثواب، ورفع له الدرجات ، و بدل الله سبحانه سيئاته حسنات ، [تنبيهان] هذه المسئلة يترجمها بعض القوم بمسئلة وعيد الفساق وبعضهم بمسئلة عقوبة العصاة وبعضهم بمسئلة انقطاع عذاب اهل الكبائر ، وضابطها ان يرتكب المؤمن كبيرة غير مكفرة بلا استحلال ويموت بلا توبة * وقد اختلف الناس في حكمه كما تقدم فاهل السنة لا يقطعون له بالعقوبة ولا بالعفو بل هو في مشيئة الله تعالى وانما يقطعون بعدم الخلود في النار بمقتضي ما سبق من وعده وثبت بالدليل ، خلافا للمعتزلة في قولهم يقطع له بالعذاب الدائم والبقاء المخلد في النار ، لكنه عندهم يعذب عذاب الفساق لا عذاب الكفار ، واما الخوارج فعندهم انه يعذب عذاب الكفار لكفره عندهم ، والدليل لمذهب اهل الحق الآيات والاحاديث الدالة على ان المؤمنين يدخلون الجنة فان كان بعد العذاب ودخول النار فهي مسئلة انقطاع العذاب وان كان قبل ذلك فهي مسئلة العفو التام قال تعالى « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره — من عمل صالحا من ذكر اوانثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال لا اله الا الله دخل الجنة » وقال « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وان زنى وان سرق [الثاني] ذكر بعض المحققين انعقاد الاجماع على انه لا بد سمعا من نفوذ الوعيد في طائفة من العصاة اوطائفة من كل صنف منهم كالزناة وشربة الخمر وقتلة الانفس واكلة الربا واهل السرقة والغصوب اذا ماتوا على غير توبة فلا بد من نفوذ الوعيد في طائفة من كل صنف لا لفرد معين لجواز العفو واقل ما يصدق عليه نفوذ الوعيد واحد من كل صنف والادلة قاضية بقصر العصاة على عصاة الموحدين ، وقد رتب بعض الناس على ذلك امتناع سؤال العفو لجميع المسلمين لمنافاته لذلك ، وهذا ساقط الا اذا قصد العفو ابتداء لكل فرد من افراد الامة على ان العفو يصدق بما بعد العذاب والتعذيب فمن قال بمنع المنع (1) فهو المصيب ، وبالله التوفيق

— فصل —

﴿ في ذكر من قيل بعدم قبول اسلامه من طوائف اهل العناد والزندقة والالحاد ﴾

اعلم وفقني الله واياك ان علمائنا ذكروا تحتم قتل جماعة من الزنادقة واهل الالحاد لعدم

---

(1) اي فمن قال بالمنع من منع الدعاء الخ يعني فمن قال بجواز ذلك ا ه ش

قبول اسلامهم بحسب الظاهر كالزنديق ومن تكررت ردته او كفر بسحره اوسب الله تعالى او رسوله او تنقصه ، واما حكمهم في الاخرة فان صدقوا قبل بلا خلاف ، وعن الامام احمد رواية ثانية تقبل توبتهم كغيرهم وهذا الذي نختاره ولهذا قال

﴿ وقيل في الدروز والزنادقه   وسائر الطوائف المنافقه ﴾

(وقيل) وهو المذهب فقها (في) طوائف (الدروز) وهؤلاء واتباعهم ومن نحا نحوهم هم الطائفة الموسومة بالاسماعيلية ، قال فيهم الامام ابو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه في كتابه الذي صنفه عليهم: ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض ، وقد جزم شيخ الاسلام بكفر الاسماعيلية في محلات متعددة من مصنفاته وانهم من القرامطة النصيرية وانهم اشد كفرا من الغالية الذين يقولون بالآهية امير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ونبوته (والزنادقة) جمع زنديق فارسي معرب قال الامام الموفق: الزنديق هو الذي يظهر الاسلام ويخفي الكفر كان يسمى منافقا ويسمى اليوم زنديقا ومن ثم قال (وسائر) اي بقية (الطوائف) جمع طائفة وهي القطعة او الواحد فصاعدا او الى الالف واقلها رجلان او رجل فيكون بمعنى النفس (المنافقة) من النفاق وهو ابطان الكفر واظهار الايمان * قال شيخ الاسلام قدس الله روحه وعامة ما يوجد النفاق في اهل البدع فان الذي ابتدع الرفض كان منافقا زنديقا وكذلك يقال عن الذي ابتدع التجهم وكذلك رؤس القرامطة وامثالهم لا ريب انهم من اعظم المنافقين وهؤلاء لا يتنازع المسلمون في كفرهم ولهذا قال

﴿ وكل داع لابتداع يقتل   كمن تكرر نكثه لا يقبل ﴾

﴿ لأنه لم يبد من ايمانه   الا الذي اذاع من لسانه ﴾

(وكل داع لا) نحال ا (بتداع) مكفر من بدع الضلال ذكر القاضي واصحابه من علماء المذهب رواية عن الامام احمد رضي الله تعالى عنه لا تقبل توبة داعية الى بدعة مضلة ، والمذهب تقبل توبة من كفر ببدعة ولو داعية خلافا لابن حمدان والبلباني في عقيدتيهما قال شيخ مشايخنا بدر الدين البلباني في مختصر عقيدة ابن حمدان : ولا تقبل يعني التوبة

ظاهراً من داعية الى بدعته المضلة ولا من ساحر وزنديق ولا ممن تكررت ردته ولذا قال (يقتل) الداعية لعدم قبول تو بته ظاهراً كالدرزي والزنديق وسائر طوائف المنافقين (كمن) اي كمكلف (تكرر نكثه) اي نقضه للاسلام بان تكررت ردته ،واتجه العلامة الشيخ مرعي في غايته ان اقل التكرر ثلاث قال في النهاية النكث نقض العهد والاسم النكث بالكسر (لا يقبل) منه بعد تكرر ردته الاسلام على ظاهر المذهب لظاهر قوله تعالى « ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا » والسبب في عدم قبول توبة نحو المنافق (لانه لم يبد) للعيان ظاهراً (من ايمانه) الذي زعم انه اتى به ودخل به الى الاسلام (الا الذي اذاع) اي اظهر ونشر قبل تو بته (من لسانه) مع اعتقاده للاسلام فلم يزد على ما كان يقوله ويأتيه و يذ يمه في حال كفره وكتمانه للعقيدة الفاسدة والكفر المستور شيئاً ، وقد قال تعالى « الا الذين تابوا واصلحوا و بينوا » وهؤلاء لا يظهر منهم على[1] ما يتبين به رجوعهم فلا يظهر منهم بالتوبة خلاف ما كانوا عليه فانهم كانوا ينفون عنهم الكفر قبل ذلك وقلو بهم لا يطلع عليها فلا يكون لما قاله[2] حكم لأن الظاهر من حال هؤلاء انهم انما يستدفعون عنهم القتل باظهار التوبة اذا بدا منهم ما يؤآخذون به .

❋ كملحد وساحر وساحره وهم على نياتهم في الآخره ❋

(ك) مالا يقبل ايمان (ملحد) مأخوذ من الالحاد وهو الميل والعدول عن الشيء قال في كنز الأسرار الملاحدة والزنادقة هم الذين يسبون الله عز وجل او واحداً من انبيائه وكذلك من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او عابه او ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه او دينه او خصلة من خصاله او شبهه بشيء على طريق التشويه او الازراء عليه اوالتصغير لشأنه قال في الفروع و يقتل من سب الله اورسوله ، نقل حنبل عن الامام احمد رضي الله عنه او تنقصه ولو تعريضاً ، وقال من عرض بشيء من ذكر الرب فعليه القتل مسلماً كان او كافراً وهو مذهب اهل المدينة، وفي فصول

---

(١) كذا في الاصل ولعلها زائدة (٢) كذا ولعلها قالوه .

ابن عقيل عن الاصحاب لاتقبل توبته ان سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه حق آدمي لم يعلم اسقاطه ، واما ان سب الله تعالى فتقبل توبته لانه يقبل التوبة في خالص حقه (وساحر وساحرة) ممن يكفر بسحره وكل من قلنا ان اسلامه لا يقبل بل حكمه ان يقتل يعني بحسب الظاهر في الدنيا (وهم) يعني الدروز والزنادقة والمنافقة ونحوهم يبعثون (على نياتهم في الآخرة) فمن صدق منهم في توبته قبلت باطنا ونفعه ذلك بلا خلاف ، والحاصل ان الشيخ وغيره من المحققين بل وجمهور الامة واكثر الأئمة جزموا بقبول توبة كل زنديق ومنافق ، وملحد ومارق ، ظاهراً ووكلوا سريرته الى الله تعالى والمشهور فقها عدم قبول توبتهم كما مر وقد توسطت في المسئلة فيما اشير اليه بقوله :

❋ قلت وان دلت دلائل الهدى كما جرى للعيلبوني اهتدى ❋

❋ فانه أذاع من اسرارهم ما كان فيه الهتك عن استارهم ❋

(قلت وان دلت) من الشخص التائب (دلائل الهدى) وقرائن الاحوال (كما جرى للعيلبوني) الصالح الفاضل حسن نسبة الى بلده عيلبون وهي بليدة ما بين قرية حطين ودير حنا كانت لطائفة من الدروز ومسكناً لهم من اعمال صفد وكان هو درزياً من جملتهم فتاب ورجع عن كفره وحسن حاله وصلحت اعماله واقبل بقلبه وقالبه على دين الاسلام فمن ظهرت منه قرائن الاحوال ، واتباع الهدى ورفض الضلال ، كما جرى لهذا الرجل الصالح فقد (اهتدى) ، وانقذه الله تعالى من الضلال والردى . (فانه) اي العيلبوني (اذاع) اي نشر واظهر (من اسرارهم) اي من اسرار طائفة الدروز وماهم عليه من الكفر الذي لا مزيد عليه وانتحالهم ما لا يجوز عند احد من سائر اهل الملل من الوقوع على المحارم من البنات والاخوات ، واكلهم الخنزير ، ورفضهم العبادات ، وانكارهم الشرائع ، وارتكابهم الضلالات ، (ما) اي شيئاً كثيراً (كان فيه) اي ذلك المذاع او الاذاعة (الهتك) اي الكشف اي الظهور والابانة (عن استارهم) التي كانوا يكتمونها و يستترون باظهارهم الاسلام تقية مع

عكوفهم على الكفر الصراح ، واعتقادهم ان كل ماحرمته الشريعة فهو مباح ، ولهم من الاصطلاحات التي يريدون لها معاني فيما بينهم غير ظواهرها ماهو معروف عند كل من اطلع على عقائدهم ، واظهره العيلبوني من مقاصدهم ، فيجعلون الصلاة لمعرفة اشرارهم ، ويريدون بالصوم كتمان اسرارهم ، و بالحج قصدهم عقالهم ومن نحو هذا الهذيان .

﴿ وكان للدين القويم ناصرا فصار منا باطنا وظاهرا ﴾

(وكان) العيلبوني ومن نحا منحاه (للدين القويم) والهدى المستقيم (ناصراً) باتباعه (فصار منا) معشر المسلمين (باطناً وظاهراً) فهو مسلم مقبول الاسلام في الظاهر والباطن وكان حسن العيلبوني شاعراً لبيبا رحل الى مصر واخذ بها عن الشمس البابلي وغيره ودخل دمشق وجاور بها وله القصيدة النونية التي هجا بها الدروز وله غير ذلك ثم ارتحل الى عكا وبها توفي سنة خمس وثمانين والف رحمه الله تعالى فالذي نختاره وندين الله به ما اشرنا اليه بقولنا :

﴿ فكل زنديق وكل مارق وجاحد وملحد منافق ﴾

﴿ اذا استبان نصحه للدين فانه يقبل عن يقين ﴾

(فكل زنديق) لا يتدين بدين (وكل مارق) من اهل البدع والضلالات (وجاحد) من درزي ، ودهري ، وفيلسوفي ، وبرهمي ، وعابد وثن ، وشمس ، ونار ، وغيرها (وملحد) في آيات الله ، ومنكر لشرائع الله ، وكافر برسول الله وهو مع ذلك (منافق) اي ذي نفاق يبطن الكفر ويظهر الاسلام (اذا) تاب مما هو عليه و (استبان) اي امتحن حاله فظهر صحة ايمانه و (نصحه للدين) القويم وصدق ايقانه ، (فانه) اي هذا التائب (يقبل) منه ذلك الرجوع والتوبة عن تلك الترهات ، وهو مقبول لدى من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات (عن يقين) وانما كان كذلك لقوله تعالى « الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فأولئك اتوب عليهم » الآية [تنبيه] دخل في عموم ما ذكر الحلولية ، والاباحية ، ومن يفضل متبوعه على الانبياء ، ومن يزعم انه اذا حصلت له المعرفة والتحقيق سقط عنه الامر والنهي ،

ومن يزعم ان العارف المحقق يجوز له التدين بدين اليهود والنصارى وباي دين شاء وانه لا يجب عليه الاعتصام بالكتاب والسنة وامثال هؤلاء الطوائف المارقين من الدين، لأن هؤلاء كلهم من الملحدين الطاعنين في الدين والمارقين والمنافقين فمن صدقت توبته وصلحت سريرته ومدحت سيرته ودلت قرائن الاحوال على رجوعه عما كان مرتكبه من الافك والضلال، فمقبول عند ذي المنة والافضال، وبالله التوفيق

فصـل

(في الكلام على الايمان واختلاف الناس فيه وتحقيق مذهب السلف في ذلك)

اعلم وفقك الله تعالى ان الناس اختلفوا في حقيقة الايمان لغة واصطلاحا، والمشهور لغة التصديق واصطلاحا تصديق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به عن ربه وهذا القدر متفق عليه، ثم وقع الاختلاف هل يشترط مع ذلك مزيد امر من جهة ابداء هذا التصديق باللسان المعبر عما في القلب اذ التصديق من افعال القلوب، او من جهة العمل بما صدق به من ذلك كفعل المأمورات وترك المحظورات وهذا هو الذي اشتهر من مذهب السلف ولذا قال

ايماننا قول وقصد وعمل ‏ ‏ تزيده التقوى وينقص بالزلل

(ايماننا) في اللغة الاقرار . وعند محققي السلف ان الايمان وان قلنا هو التصديق الا انه تصديق خاص مقيد بقيود اتصل اللفظ بها، وهذا ليس نقلاً للفظ عن اصل اللغة ولا تغييرا له فان الله تعالى لم يأمرنا بايمان مطلق بل بايمان خاص وصفه وبينه وهو تصديق تام قائم بالقلب مستلزم لما وجب من الاعمال القلبية واعمال الجوارح فان هذه لوازم الايمان التام وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم ولهذا قال (قول) باللسان فمن لم يقر ويصدق بلسانه مع القدرة لا يسمى مصدقا فليس بمؤمن كما اتفق على ذلك سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم باحسان (وقصد) اي عقد بالجنان فمن تكلم بكلمة التوحيد غير معتقد لها بقلبه فهو منافق وليس بمؤمن خلافا للكرامية الزاعمين بان الايمان هو القول الظاهر . واذا كان مصدقا بقلبه غير ناطق بلسانه مع القدرة فليس بمؤمن عند سلف الامة خلافا للجهمية ومن وافقهم من المتكلمة

قال الله تعالى «ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين» فنفى الله تعالى الايمان عن المنافقين ، وهذا يرد مذهب الكرامية وكذلك من قام بقلبه علم وتصديق وهو يجحد الرسول وما جاء به ويعاديه كاليهود وغيرهم ممن سماه الله كافراً. ولم يسمهم مؤمنين قط فهم كفار خلافا للجهمية في زعمهم انه اذا كان العلم في قلوبهم فهم مؤمنون كاملوا الايمان ، وفي الآيات القرآنية مما يرد هذا مالا يحصى الا بكلفة كقوله تعالى «وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا الآية -- الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم -- ولما جاءهم ما عرفوا كفروا به » (وعمل) بالاركان وهذا هو اللفظ الوارد عن السلف ، قال البخارى في صحيحه الايمان قول وعمل ، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري وهو اللفظ الوارد عن السلف الذين اطلقوا ذلك ، وقد روي مرفوعا باسناد ضعيف ، قال والمراد بالقول النطق بالشهادتين . واما العمل فالمراد به ماهو اعم من عمل القلب والجوارح ليدخل الاعتقاد والعبادات ، ومراد من ادخل ذلك في تعريف الايمان ومن نفاه انما هو بالنظر الى ما عند الله تعالى فالسلف قالوا هو اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالاركان وارادوا بذلك ان الاعمال شرط في كماله ومن هنا نشأ لهم القول بزيادة الايمان ونقصه ؛ والمرجئة قالوا هو اعتقاد ونطق فقط ، والكرامية قالوا هو نطق فقط ، والمعتزلة قالوا هو العمل والنطق والاعتقاد ، والفرق بينهم وبين السلف انهم جعلوا الاعمال شرطاً في صحته ، والسلف جعلوها شرطاً في كماله وهذا بالنظر الى ما عند الله تعالي ، اما بالنظر الى ما عندنا فالايمان هو الاقرار فقط فمن اقر اجريت عليه الاحكام في الدنيا ولم يحكم عليه بكفر الا ان اقترن باقراره فعل يدل على كفره كالسجود للصنم ، فان كان الفعل لا يدل على الكفر كالفسق فمن اطلق عليه الايمان فبالنظر الى اقراره ومن نفى عنه الايمان فبالنظر الى كماله ومن اطلق عليه الكفر فبالنظر الى انه فعل فعل الكافر ومن نفاه عنه فبالنظر الى حقيقته . واثبتت المعتزلة الواسطة فقالوا لا مؤمن ولا كافر انتهى * وقال الحافظ ابن رجب المشهور عن السلف واهل الحديث ان الايمان قول وعمل ونية وان الاعمال كلها داخلة في مسمى الايمان . وحكى الشافعي رضي الله تعالى عنه اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن ادركهم على ذلك . واما قول القائل ان

الايمان اذا ذهب بعضه ذهب كله فممنوع وهذا هو الاصل الذي تفرعت منه البدع في الايمان فانهم ظنوا انه متى ذهب بعضه ذهب كله . ومذهب اهل الحق من السلف ومن وافقهم ان الايمان يتفاضل فيزيد و ينقص ولهذا قال (تزيده) اي الايمان المطلق (التقوى) هي لغة الحاجز بين الشيئين واصطلاحا التحرز بطاعة الله عن مخالفته وامتثالُ امره واجتناب نهيه وقوله تعالى « هو اهل التقوى » اي اهل ان يتقى عقابه (و ينقص) الايمان (بالزلل) وتعاطيه والاسم الزلة وهي الخبطة والسقطة . والحاصل ان الايمان عند السلف ومن وافقهم من ائمة السنة والعرفان ، يزيد بالطاعة و ينقص بالعصيان * قال الامام ابن عبد البر في التمهيد اجمع اهل الحديث والفقه على ان الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية ، قال والايمان عندهم يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا ماذكر عن الامام ابي حنيفة واصحابه رضي الله تعالى عنهم فانهم ذهبوا الى ان الطاعات لا تسمى ايمانا قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة . وذكر ما احتجوا به [تنبيهان] الاول قال جمهور الاشاعرة والماتريدية ان الايمان هو التصديق بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم و بكل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة اي الاذعان والقبول مع الرضى والتسليم وطمأنينة النفس لذلك تفصيلا فيما علم تفصيلا واجمالا فيما علم اجمالا *وحاصل ذلك ان للناس في الايمان اقوالا خمسة منها ثلاثة بسيطة واثنان مركب فاما البسيطي(١) فالتصديق وحده ، او القول وحده ، اوالعمل وحده الاول مذهب جهم ومن وافقه من الاشاعرة وغيرهم ، والثاني قول الكرامية ، والثالث عزاه الكرماني في شرح البخاري للمعتزلة ولعله لبعضهم واما المركب فقسمان ثنائي وهو قول الحنفية ومن وافقهم قالوا انه مركب من التصديق والقول ، وثلاثي التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان وهذا مذهب سلف الامة [الثاني] الكلام على الايمان والاسلام هل هما شيء واحد او شيئان ؛ قد ثبت في القرآن اسلام بلا ايمان في قوله تعالى « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم » * فهذا الاسلام الذي نفى الله تعالى عن اهله دخول الايمان في قلوبهم هل هو اسلام يثابون عليه ام من جنس اسلام

---

(١) كذا في الاصل والمختصر

المنافقين ، فيه قولان مشهوران للسلف والخلف [احدهما] انه اسلام يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق وهو قول الامام احمد وكثير من اهل الحديث والسنن والحقائق [الثاني] ان هذا الاسلام هو الاستسلام خوف السبي والقتل مثل اسلام المنافقين ، قالوا هؤلاء كفار فان الايمان لم يدخل في قلوبهم ومن لم يدخل الايمان في قلبه فهو كافر وهذا اختيار الامام البخاري * قال شيخ الاسلام والسلف مختلفون في ذلك وحقيقة الامر ان من لم يكن من المؤمنين يقال فيه انه مسلم ومعه ايمان يمنعه من الخلود في النار وهذا متفق عليه بين أهل السنة ، لكن هل يطلق عليه اسم الايمان ، هذا هو الذي تنازعوا فيه فقيل يقال انه مسلم ولا يقال مؤمن وقيل بل يقال مؤمن والتحقيق انه يقال مؤمن ناقص الايمان ، مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته ، ولا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم ، وعلى هذا فالخطاب بالايمان يدخل فيه ثلاث طوائف ، المؤمن حقاً ، والمنافق في احكامه الظاهرة وان كان المنافق في الآخرة في الدرك الاسفل من النار ، وهو في الباطن ينفى عنه الاسلام والايمان وفي الظاهر يثبتان له ظاهراً ، ويدخل فيه الذين أسلموا ولم تدخل حقيقة الايمان في قلوبهم لكن معهم جزء منه واسلام يثابون عليه ، ثم قد يكونون مفرطين فيما فرض عليهم وليس معهم من الكبائر ما يعاقبون على ترك المفروضات وهؤلاء كالاعراب المذكورين في الآية وغيرهم فانهم قالوا آمنا من غير قيام منهم بما امروا به باطنا وظاهرا فلا دخلت حقيقة الايمان الى قلوبهم ولا جاهدوا وقد كان دعاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى الجهاد ، وقد يكونون من اهل الكبائر وهؤلاء لا يخرجون من الاسلام بل هم مسلمون ولكن بين السلف فيهم نزاع لفظي هل يقال انهم مؤمنون ؟ قال الشالنجي سألت الامام احمد عن الايمان والاسلام فقال الايمان قول وعمل ، والاسلام اقرار قال ابو طالب المكي مثل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين احداهما من الاخرى في المعنى والحكم ، فشهادة الرسول غير شهادة الوحدانية فهما شيئآن في الاعيان واحداهما مرتبطة بالاخرى في المعنى والحكم كشيء واحد كذلك الايمان والاسلام احدهما مرتبط بالآخر فهما كشيء واحد لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن لا ايمان له ، اذ لا يخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه ولا

يخلو المؤمن من اسلام به يحقق ايمانه ، وقد اجمع اهل القبلة على ان كل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن بالله وكتبه . وقال الحافظ ابن رجب اذا افرد كل من الاسلام والايمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ وان قرن بين الاسمين كان بينهما فرق . والتحقيق في الفرق بينهما ان الايمان هو تصديق القلب واقراره ومعرفته . والاسلام هو الاستسلام لله والخضوع والانقياد له ، وذلك يكون بالعمل وهو الدين كما سمى الله تعالى الاسلام في كتابه دينا ، وفي حديث جبريل سمي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام والايمان والاحسان دينا ، فالايمان والاسلام كاسم الفقير والمسكين اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا فاذا افرد احدهما دخل فيه الآخر واذا قرن بينهما احتاج كل واحد منهما الى تعريف يخصه ، فاذا قرن بين الايمان والاسلام فالمراد بالايمان جنس تصديق القلب وبالاسلام جنس العمل .

❊ ونحن في ايماننا نستثني　　من غير شك فاستمع واستبن ❊

(ونحن) معشر الاثرية ومن وافقنا من الاشعرية وغيرهم (في ايماننا) الذي تقدم تعريفه (نستثني) فيقول احدنا انا مؤمن ان شاء الله تعالى (من غير شك) في ذلك والشك التردد بين طرفين لا مزية لاحدهما على الآخر والمراد هنا ما يعم الظن وكل ما ليس بجزم موافقة للسلف الصالح في ذلك (فاستمع) اي اطلب سماع ذلك منا واستقباله (واستبن) اي اطلب بيانه واظهاره بادلته النقلية والعقلية تظهر لك فيه الحقيقة * واعلم ان الناس في ذلك على ثلاثة اقوال ، منهم من يوجبه ، ومنهم من يحرمه ، ومنهم يجوز الامرين باعتبارين وهذا الاخير اصح الاقوال ، فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ومن وافقهم ممن يجعل الايمان شيئا واحدا يعلمه الانسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه فيقول احدهم انا اعلم اني مؤمن كما اعلم اني تكلمت بالشهادتين فقولي انا مؤمن كقولي انا مسلم ونحو ذلك من الامور الحاضرة التي انا اعلمها واقطع بها ، وكما انه لا يجوز ان يقال انا قرأت الفاتحة ان شاء الله تعالى كذلك لا يقول انا مؤمن ان شاء الله تعالى ، قالوا فمن استثنى في ايمانه فهو شاك وسموهم الشاكة * والذين اوجبوا لاستثنائهم مأخذان . احدهما ان الايمان هو ما مات عليه الانسان والانسان انما يكون عند الله مؤمنا وكافرا باعتبار

الموافاة وما سبق في علم الله تعالى انه يكون عليه وما قبل ذلك لاعبرة به، قالوا والايمان الذي يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافرا ليس بايمان كالصلاة التى يفسدها صاحبها قبل الكمال فصاحب هـذا هو عند الله كافر بعلمه بما يموت عليه وكذلك قالوا في الكفر، وهذا المأخذ لكثير من المتأخرين من الكلابية وغيرهم، وبهذا قال كثير من المتكلمين ومن اتباع المذاهب من الحنابلة والشافعية والمالكية وغيرهم، قالوا يحب في ازله من كان كافرا اذا علم انه يموت موءمنا ما زالوا محبوبين لله وان كان قد عبدوا الاصنام مدة من الدهر، وابليس ما زال يبغضه وان كان لم يكفر بعد يعني ما زال الله يريد ان يثيب هوءلاء بعد ايمانهم ويعاقب ابليس بعد كفره وهذا معنى صحيح فان الله تعالى يريد ان يخلق كل ما علم ان سيخلقه، وعند هوءلاء لا يرضى عن احد بعد ان كان ساخطا عليه فمن علم انه يموت كافرا لم يزل مريدا لعقوبته والايمان الذي كان معه باطل لا فائدة فيه، واذا علم انه يموت موءمنا مسلما لم يزل مريدا لاثابته والكفر الذي فعله وجوده كعدمه فلم يكن هذا كافرا عندهم اصلا، فهوءلاء يستثنون في الايمان بناء على المأخذ[١] وكذلك بعض محققيهم يستثنون في الكفر مثل ابي منصور الماتريدي * نعم جماهير الائمة لايستثنى في الكفر والاستثناء فيه بدعة لم يعرف عن احد من السلف ولكن هوءلاء لازم لهم والذين فرقوا من هوءلاء قالوا يستثنى في الايمان رغبة الى الله في ان يثبتنا عليه الى الموت والكفر لا يرغب فيه احد . قال شيخ الاسلام وعند هوءلاء لا يعلم احد احداً موءمنا الا اذا علم انه يموت عليه لكن ليس هذا قول احد من السلف لا الائمة الاربعة ولا غيرهم ولا كان احد من السلف الذين يستثنون في الايمان يعللون بهذا . ومأخذ هذا القول طرد طائفة[٢] ممن كانوا في الاصل يستثنون في الايمان اتباعاً للسلف، واستثنوا ايضا في الاعمال الصالحة كقول الرجل صليت ان شاء الله ونحو ذلك يعني القبول لما في ذلك من الآثار عن السلف، ثم صار كثير من هوءلاء يستثنون في كل شيء فيقول هذا ثوبي ان شاء الله تعالى، فاذا قيل لاحدهم هذا لا شك فيه قال نعم لكن اذا شاء الله تعالى ان يغيره غيره، فيريدون بقولهم ان شاء الله تعالى جواز تغييره

---

(١) اي المتقدم (٢) اي جعلهم له مطرداً ا . ش

في المستقبل وان كان في الحال لا شك فيه ، كأن الحقيقة عندهم التي لا يستثني فيها ما لم تبدل ، كما يقوله اولئك في الايمان ان الايمان ما علم الله تعالى انه لا يتبدل حتى يموت صاحبه عليه ، وهؤلاء ظنوا ان ماهم عليه هو قول السلف وليس كذلك مع ان هذا لم يقله احد من السلف وانما حكاه هؤلاء عنهم بحسب ظنهم والذين قالوا بالموافاة جعلوا الثبات على الايمان الى العاقبة والوفاء به في المآل شرطا في الايمان شرعا لا لغة ولا عقلا * ومذهب اصحاب الحديث [1] كابن مسعود واصحابه والامام احمد وغيره من ائمة السنة كانوا يستثنون في الايمان وهذا متواتر عنهم ، لكن ليس في هؤلاء من قال انما استثني لاجل الموافاة وان الايمان اسم لما يوافى به بل الاستثناء انما هو لأن الايمان يتضمن فعل جميع الواجبات فلا يشهدون لانفسهم بذلك كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى فان ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لانفسهم بلا علم فمأخذ سلف الامة في الاستثناء ان الايمان المطلق فعل جميع المأمورات وترك جميع المحظورات ، فاذا قال الرجل انا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه بانه من الابرار المتقين القائمين بفعل جميع ما امروا به وترك كل ما نهوا عنه فيكون من اولياء الله تعالى وهذا تزكية الانسان لنفسه ومشاهدته لها بما لا يعلم ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لساغ ان يشهد لنفسه بالجنة ان مات على هذا الحال ولا احد يسوغ له ذلك فهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون وان جوزوا ترك الاستثناء * قال الخلال في كتاب السنة حدثنا سليمان بن الاشعث يعني الحافظ ابا داود صاحب السنن قال سمعت ابا عبد الله يعني الامام احمد قال له رجل قيل لي امؤمن انت قلت نعم هل علي في ذلك شيء هل الناس الا مؤمن او كافر فغضب الامام وقال هذا كلام الارجاء قال الله تعالى « وآخرون مرجون لامر الله » من هؤلاء ، ثم قال اليس الايمان قولا وعملا قال له الرجل بلى قال فجئتنا بالقول قال نعم قال فجئتنا بالعمل قال لا قال فكيف تعيب ان يقول ان شاء الله ويستثني . ومثل هذا كثير في كلام الامام احمد وفي كلام امثاله من ائمة السلف ، وهذا مطابق لما تقدم من ان المؤمن المطلق هو القائم بالواجبات المستحق للجنة اذا مات على ذلك وان

---

(١) هذا هو المأخذ الثاني لوجوب الاستثناء في الايمان ا ش

المفرط بترك المأمور او فعل المحظور لا يطلق عليه انه مؤمن مطلق وان المؤمن المطلق هو البر التقي ولي الله تعالى فاذا قال انا مؤمن قطعا كان كقوله انا بر تقي ولي الله تعالى قطعا * فعلم ان الامام احمد وغيره من السلف كانوا يجزمون ولا يشكون في وجود ما في القلوب من الايمان في هذا الحال و يجعلون الاستثناء عائداً الى الايمان المطلق المتضمن فعل المأمور ويحتجون ايضا بجواز الاستثناء فيما يعلم وجوده مما قد جاءت به السنة لما فيه من الحكمة قال تعالى « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله » وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه « اني لارجو ان اكون اتقاكم لله » وقال في الميت وعليه يبعث ان شاء الله فاذا قال ان شاء الله لم يشك في طلبه وارادته بل لتحقيق الله ذلك له اذ الامور لا تحصل الا بمشيئة الله تعالى فاذا تألى العبد على الله تعالى من غير تعليق بمشيئته لم يحصل مراده فانه من يتألى على الله يكذبه ولهذا يروى لا انعمت لمقدر امرا * وفي شرح مختصر التحرير يجوز الاستثناء في الايمان بان يقول انا مؤمن ان شاء الله تعالى نص على ذلك الامام احمد والامام الشافعي وقال ابن عقيل يستحب ولا يقطع لنفسه ومنع ذلك الامام ابو حنيفة واصحابه والاكثرون [تنبيه] هل الاسلام مثل الايمان تدخله الزيادة والنقصان و يدخله الاستثناء ام لا فيه خلاف مشهور * قال في شرح مختصر التحرير واما الاسلام فلا يجوز الاستثناء فيه بان يقول انا مسلم ان شاء الله بل يجزم به قاله ابن حمدان في نهاية المبتدئين وقيل يجوز ان شرطنا فيه العمل انتهى * واعلم ان الناس في الاسلام والايمان على ثلاثة اقوال . فالمرجئة يقولون الاسلام افضل من الايمان قالوا فانه يدخل فيه الايمان . واخرون يقولون الايمان والاسلام سواء وهم المعتزلة والخوارج وطائفة من اهل الحديث والسنة بل حكاه محمد بن نصر عن جمهورهم . والقول الثالث ان الايمان اكمل وافضل وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة في غير موضع وهو المأثور عن الصحابة والتابعين لهم باحسان كما في شرح الايمان والاسلام لشيخ الاسلام ، وقال الصحيح ان الاسلام هو الاعمال الظاهرة كلها ، والامام احمد انما منع الاستثناء فيه على قول الزهري هو الكلمة ، واما على جوابه الاخر الذي لم يختر فيه قول من قال الاسلام الكلمة فيستثنى في الاسلام كما يستثنى في الايمان فان الانسان لا يجزم بأنه قد فعل كل ما

امر به من الاسلام ، وتعليل الامام احمد وغيره من السلف في اسم الايمان يجيء في اسم الاسلام فاذا اريد بالاسلام الكلمة فلا استثناء فيه كما نص عليه الامام احمد وغيره، واذا اريد به فعل الواجبات الظاهرة فالاستثناء فيه كالاستثناء في الايمان . ولما كان كل من اتى بالشهادتين صار مسلما متميزا عن اليهود والنصارى تجري عليه احكام الاسلام التي تجري على المسلمين كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه — قلت والزيادة والنقصان يترتبان على ذلك وقد علمت ما عليه السلف وائمة الدين ولهذا قال :

❊ نتابع الاخيار من اهل الاثر　　ونقتفي الآثار لا اهل الاشر ❊

❊ ولا نقل ايماننا مخلوق　　ولا قديم هكذا مطلوق ❊

(نتابع) في اعتقادنا الجازم (الاخيار من) الصحابة والتابعين لهم باحسان وائمة (اهل الاثر) على نهج سيد ولد عدنان على مقتضى محكم القرآن (ونقتفي) اي نتبع (الآثار) المأثورة عن الكتاب المنزل والنبي المرسل والصحابة والتابعين لهم باحسان وائمة الدين بالنقل الصحيح والمعنى الصريح (لا) نتابع ونقتدى في سيرنا (اهل الاشر) بفتح الهمزة وسكون الشين قرآءة ، الفرح والمرح من كل متحذلق ومتعمق من فروخ الجهمية وشيوخ المرجئة واتباع الكرامية فهم في طرف ونحن في طرف ، ولما انتهى الكلام على الايمان وما يتعلق به ختم الكلام عليه بذكر مسألة عظيمة فقال : (ولا نقل) ايها الاثري (ايماننا) الذي هو قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان (مخلوق) لدخول الاعمال فيه التي من جملتها الصلاة المشتملة على فاتحة الكتاب القديم ولدخول الاقوال التي من جملتها لا اله الا الله كلمة الاخلاص التي هي من كلام الله تعالى « فاعلم انه لا اله الا الله » (ولا) نقل ايضاً ايماننا (قديم هكذا مطلوق) عن القيود لدخول افعالنا فيه من الركوع والسجود واعمال القلوب ونحو ذلك .

❊ فانه يشمل للصلاة　　ونحوها من سائر الطاعات ❊

❊ ففعلنا نحو الركوع محدث　　وكل قرآن قديم فابحثوا ❊

(فانه) اي الايمان (يشمل للصلاة ونحوها) اي نحو الصلاة (من سائر) اي

بقية (الطاعات) التي يتقرب العبد بها الى ربه وسائر العبادات التي يأتي بها لغفران ذنبه ، والطاعات جمع طاعة من طاع يطوع اذا انقاد ، وهي في اصطلاح الفقهاء عبادة غير واجبة والمراد هنا كل عبادة ، والعبادة ما امر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا ولا اقتضاء عقلي وحينئذ يجب التفصيل وهو ما اشير اليه بقوله (فنعلنا) معشر الخلق (نحو الركوع) والسجود وسائر افعال الخلق (محدث) لانه مسند اليه ومنسوب ومضاف الى فعله والله تعالى خالق لافعال العباد وللعبد فعل ينسب اليه كما تقدم (وكل) ما كان من (قرآن) فهو (قديم) غير مخلوق لان كلام الله قديم (فابحثوا) اتى به لتتمة البيت ، والبحث التفتيش والتفصي عن دقائق المعاني فكل من ادخل الاعمال في الايمان فلا يسوغ له اطلاق اسم الحدوث ولا القدم على الايمان بل لا بد من هذا التفصيل . واما من لم يدخل الاعمال فيه كالاشاعرة فيقولون الايمان مخلوق وهذا لا يتمشى على اصولنا . قال سيدنا الامام احمد من قال الايمان مخلوق فقد كفر ومن قال غير مخلوق ابتدع . فقيل بالوقف مطلقا . وقيل اقواله قديمة وافعاله مخلوقة . قال ابن حمدان وهو اصح . قال الحافظ عبد الغني [1] وانما كفر من قال بخلقه لان الصلاة من الايمان وهي تشتمل على قرآءة ومن قال بخلق ذلك كفر وتشتمل على قيام وقعود وحركة وسكون ومن قال بقدم ذلك ابتدع انتهى [تتمة] ألحق علماؤنا في هذا الباب ذكر الملكين الموكلين بالعبد يكتبان افعاله وكأنهم نظروا لمناسبة ذلك للاحكام وكونه مما يجب الايمان به والا فكان الانسب ذكر ذلك في الباب الآتي في السمعيات لأنه منها فلهذا قال

* ووكل الله من الكرام اثنين حافظين للانام *

* فيكتبان كل افعال الورى كما اتى في النص من غير امترا *

(ووكل الله) سبحانه وتعالى (من) الملائكة (الكرام) وصفهم بالكرم لما جاء في الكتاب والسنة والحق ان الملائكة عليهم السلام ذوات قائمة بانفسها قادرة على التشكل بالقدرة الالهية كما ثبت في الاحاديث . قال العلامة ابن حمدان وتغير صور الملائكة

---

(١) هو المقدسي الحنبلي من محدثي الحنابلة المعتبرين قدس الله روحه امين ا . ش

والجن والشياطين الى الله تعالى لا اليهم · وقد حكي غير واحد من محققي العلماء الاتفاق على ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون الليل والنهار لا يفترون (اثنين) مفعول وكل (حافظين للانام) كسحاب ، الخلق والمراد هنا من الانس (فيكتبان) يعني الملكين الحافظين (كل افعال الورى) كغني الخلق (كما اتى في النص) القرآني كما في قوله تعالى « وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » وقال تعالى « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » [1] (من غير امترا) اي من غير شك ، المرآء الجدال قال علماؤنا الرقيب والعتيد ملكان موكلان بالعبد يجب ان نؤمن بهما ونصدق بانهما يكتبان افعاله ولا يفارقان العبد بحال وقيل بل عند الخلاء ، وقال الحسن ان الملائكة يجتنبون الانسان على حالين عند غائطه وعند جماعه ومفارقتهما للمكلف حينئذ لا يمنع من كتبهما ما يصدر منه في تلك الحال كالاعتقاد القلبي لجعل الله تعالى لهما امارة على ذلك · قال سيدنا الامام احمد : للعبد ملائكة يحفظونه من امر الله تعالى يشير الى قوله تعالى « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله » اى بامر الله فاذا جاء القدر خلوا عنه · قال العلامة الشيخ مرعي في بهجته واما الملائكة الكاتبون فقيل اربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وقيل خمسة واحد لا يفارق في ليل ولا نهار انتهى والمشهور انهما اثنان لكل واحد ، قال الضحاك مجلس الملكين تحت الشعر على الحنك · والمشهور على عاتق الانسان الايمن وهو كاتب الحسنات والآخر على عاتقه الايسر وان كاتب الحسنات له امارة على كاتب السيئات فلا يمكنه من كتبها الا بعد مضي ست ساعات من غير توبة من المكلف ، او استغفار ، او فعل مكفر لها مع مبادرته بكتب الحسنات فوراً

❊ فائدتان ❊ الاولى اختلف فيما يكتبه الملكان وظاهر النص انهما يكتبان افعال العباد من خير او شر او غيرهما قولاً كانت او عملاً او اعتقاداً هماً كانت او عزماً او تقريراً فلا يهملان من افعال العباد شيئاً في كل حال وعلى كل حال · قال الامام مالك يكتبان على العبد كل شيء حتى انينه في مرضه

[1] الرقيب المراقب · والعتيد الحاضر قال الخطيب الشربيني في تفسيره واللفظان بمعنى المثنى اي رقيبان عتيدان ا · ش

وحينئذ يدخل في العبد الكافر لانه تضبط عليه اعماله وانفاسه · قال الامام النووي الصواب الذي عليه المحققون بل نقل فيه بعضهم الاجماع ان الكافر اذا فعل افعالا جميلة كالصدقة وصلة الرحم ثم اسلم ومات على الاسلام ان ثواب ذلك يكتب له ودعوى كونه مخالفاً للقواعد غير مسلم انتهى · قال بعضهم وضابط ذلك الطاعات التي لا تتوقف صحتها على نية ، وقد سلم ذلك له ابن حجر وابن المنير وابن بطال وغيرهم · وممن نص على ان للكافر حفظة بعض المالكية · قال بعضهم وهو الذي لا يصح غيره وهو الجاري على القول بتكليفهم بفروع الشريعة وهو معتمد الثلاثة خلافاً لابي حنيفة · والصحيح من مذهبنا كالمالكية كتب حسنات الصبي فيكون عليه حفظة بخلاف المجنون لانه لا يكتب له ولا عليه ، والصحيح كتبهم الصغائر المغفورة وان غفرت باجتناب الكبائر · قال الحسن في العبد يذنب ثم يتوب و يستغفر يغفر له ولكن لا يمحاه من كتابه دون ان يوقفه عليه ثم يسأله عنه ثم بكى الحسن بكاء شديداً وقال لو لم نبك الا للحياء من ذلك المقام لكان ينبغي ان نبكي [الثانية] جاء في الاحاديث ان الحافظين يقيمان على قبر المؤمن يسبحان الله تعالى و يهللانه و يكبرانه و يكتب ثوابه للميت الى يوم القيامة وانهما يلعنان الكافر ·

الباب الرابع

في ذكر بعض السمعيات من ذكر البرزخ والقبور واشراط الساعة والحشر والنشر

اعلم ان المراد بالسمعيات ما كان طريق العلم به السمع الوارد في الكتاب والسنة والآثار مما ليس للعقل فيه مجال ، ويقابله ما يثبت بالعقل وان وافقه النقل فما كان طريق العلم به العقل يسمى العقليات والنظريات ولهذا يقال لعلماء هذا الشأن النظار وقد اشار الى ذكر المقصود من ذلك بقوله

* وكل ما صح من الاخبار   او جاء في التنزيل والآثار *
* من فتنة البرزخ والقبور   وما اتى في ذا من الامور *

(و كل ما) اي حكم من الاحكام ، او خبر عن خير الانام ، صلى الله تعالى عليه وسلم ولهذا قال (صح) اي ثبت (من الاخبار) النبوية وقدمه لمزيد الاهتمام به ولئلا يظن ظان ان ما لم يثبت في التنزيل ، ليس عليه مزيد تعويل ، (او جاء في التنزيل) اي القرآن المنزل (و) كل ما صح في (الآثار) عن الصحابة الكرام ، مما ليس للعقل فيه مرام ، فانه يشعر بانهم انما تلقوه عن النبي عليه الصلاة والسلام (من فتنة) الفتنة الامتحان والاختبار (البرزخ) الحاجز بين الشيئين من وقت الموت الى القيامة من مات دخله ووجه تسمية ما هنا برزخاً لكونه يحجز مابين الدنيا والآخرة (و) فتنة (القبور) جمع قبر من عطف الخاص على العام لأن احوال البرزخ تشتمل على ذلك (وما) اي وفي الذي او الاشياء أي والهول الذي (اتى) عن الصادق المصدوق (في ذا) اسم اشارة يرجع الى ما تقدم من فتنة البرزخ والقبور (من الامور) المهولة العجيبة ، والاشياء الصعبة الغريبة ، فانه حق لا يرد *[منها ا] سؤال الملكين فالايمان بذلك واجب شرعاً لثبوته عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في عدة اخبار يبلغ مجموعها التواتر وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » واخرج الشيخان من حديث البرآء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في قوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت — نزلت في عذاب القبر » زاد مسلم « يقال له من ربك فيقول الله ربي ونبيي محمد فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » وعند ابي داود « يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له مادينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء [ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة وألبسوه من الجنة و يفسح له فيه مد بصره — وقال في الكافر فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري — الى ان قال فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار قال فيأتيه من حرها

ونحوها و يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ❋ تنبيهات ❋ [الاول] جاء في رواية سؤال ملكين وفي اخرى سؤال ملك واحد ، قال القرطبي لا تعارض بل ذلك بالنسبه الى الاشخاص فرب شخص يأتيه اثنان معاً فيسألانه معاً عند انصراف الناس عنه ليكون اهول في حقه واشد بحسب ما اقترف من الآثام ، وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه تخفيفاً عليه لحصول انسه بهم ، وآخر يأتيه ملك واحد فيكون أخف عليه واقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح ، و يحتمل ان يأتي اثنان و يكون السائل احدهما ، وان اشتركا في الاتيان فتحمل رواية الواحد على هذا وصوّبه السيوطي في شرح الصدور فان ذكر الملكين هو الموجود في غالب الاحاديث * وقد ذكر بعض العلماء ان الملائكة الذين ينزلون على الميت في قبره اربعة منكر ، ونكير ، وناكور ، ورومان [الثاني] الملكان اسمهما منكر ونكير نص على ذلك الامام احمد . قال الحكيم الترمذي وانما سميا فتّاني القبر لأن في سؤالهما انتهاراً وفي خلقهما صعوبة . وسميا منكراً ونكيراً لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا الملائكة ولا البهائم ولا الهوام بل هما خلق بديع وليس في خلقهما انس للناظرين اليهما جعلهما الله تعالى تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصره وهتكا لستر المنافق في البرزخ من قبل ان يبعث . قال السيوطي وهذا يدل على ان الاسم منكر بفتح الكاف وهو المجزوم به في القاموس . وذكر ابن يونس من الشافعية ان اسم ملكي المؤمن مبشر و بشير ، قلت وهذا يحتاج الى دليل مأثور واني به فان الاحاديث ليس فيها سوى منكر ونكير [الثالث] قال القرطبي اختلفت الاحاديث في كيفية السؤال والجواب عن ذلك انه يختلف باختلاف الاشخاص . فمنهم من يسئل عن بعض اعتقاداته . ومنهم من يسئل عن كلها ، ويحتمل ان يكون الاقتصار على بعضها من بعض الرواة واتى به غيره تاماً ، وصوبه السيوطي لاتفاق اكثر الاحاديث عليه . نعم يؤخذ منها خصوصاً من رواية ابي داود المارة ، فما يسئل عن شيء بعدها ، انه لا يسئل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة وصرح به في رواية البيهقي ، وقد ذكر السيوطي انه ورد في رواية عن انس رضي الله تعالى عنه ان الميت يسئل في المجلس الواحد ثلاث مرات ، وباقي الروايات ساكتة عن ذلك فتحمل على ذلك او

يختلف الحال بالنسبة الى الاشخاص . وعن طاووس ان الموتى يسئلون سبعة ايام ، قلت وعن مجاهد ان الموتى يفتنون في قبورهم سبعا وانهم كانوا يستحبون ان يطعم عنهم تلك الايام رواه الامام احمد في الزهد وكذا ابو نعيم في الحلية باسناد صحيح الا انه مرسل وروي من وجه متصل وحكمه الرفع لأنه ليس للرأي فيه مجال [الرابع] من لم يدفن من مصلوب ونحوه ينال نصيبه من فتنة السؤال وضغطة القبر * قال المحقق في كتابه الروح مما ينبغي ان يعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق لعذاب ناله نصيبه منه قبر ام لم يقبر فلو اكلته السباع او حرق حتى صار رماداً او نسف في الهواء او صلب او غرق في البحر وصل الى روحه و بدنه من العذاب ما يصل من المقبور [الخامس] قال ابن عبد البر لا يكون السؤال الا لمؤمن او منافق كان منسوبا الى دين الاسلام بظاهر الشهادة بخلاف الكافر ، كذا قال وخالفه في ذلك الجمهور ، قال المحقق في الروح القرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول بل السؤال للكافر والمسلم فان في الاحاديث الكافر والفاجر واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعا ، ونحو هذا في كتاب العاقبة للحافظ عبد الحق الاشبيلي وصوبه القرطبي ، وانتصر السيوطي لابن عبد البر وفيما قاله نظر ، ومثل هذا ما اختاره المحقق والحافظ الاشبيلي وغيرهما من ان سؤآل القبر ليس بخاص بهذه الامة بل غيرها تساويها في ذلك وجزم به القرطبي في التذكرة . وقال الحكيم الترمذي انه خاص بهذه الأمة . وتوقف ابن عبد البر . وانتصر السيوطي للترمذي . قال المحقق في الروح بعد ذكره للاقوال الثلاثة والظاهر والله تعالى اعلم ان كل نبي مع امته كذلك يسئل عنه كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مع امته وانهم يعذبون في قبورهم بعد السؤال لهم واقامة الحجة عليهم كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال واقامة الحجة [السادس] ذكر الحافظ السيوطي انه وقع في فتاوى شيخه البلقيني ان الميت يجيب السؤال باللغة السريانية قال ولم اقف لذلك على مستند انتهى . قال في التذكرة ان قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الاماكن المتباعدة في الوقت الواحد فالجواب ان عظم خلقهما يقتضي ذلك فيخاطبان الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل واحد



من المخاطبين انه المخاطب دون من سواه ويمنعه الله تعالى من سماع جواب بقية الموتى ، وقال السيوطي ويحتمل تعدد الملائكة لذلك كما في الحفظة ونحوهم وقاله الحليمي من الشافعية ولا يخفى ما في هذا [تتمة] ورد في صحيح الاخبار ان بعض الناس من الموتى لا تنالهم فتنة القبر ولا يأتيهم الفتانان وذلك على ثلاثة انحاء مضاف الى عمل ومضاف الى حال ابتلاء نزل بالميت ومضاف الى زمان كالشهداء [١] ومن لقي العدو فصبر حتى يقتل او يغلب [٢] والمرابطين في سبيل الله والمراد ان من مات مرابطا لم يفتن في قبره وروي ان سورة تبارك الملك من قرأها كل ليلة عصم من فتنة القبر ومن مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة وقي فتنة القبر [٣] واما الجن فالادلة تعمهم فيسئلون لأنهم مكلفون في الجملة كما نص عليه علماؤنا وغيرهم، وممن لا يسئل الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام [ومنها ٢] اي الامور التي يجب الايمان بها وانها حق لا ترد عذاب القبر قال السيوطي قد ذكر الله تعالى عذاب القبر في القرآن في عدة اماكن كما بينته في الاكليل ، وقال المحقق في الروح قول السائل ما الحكمة في ان عذاب القبر لم يذكر يعني صريحا في القرآن مع شدة الحاجه الى معرفته والايمان به ليحذر ويتقى — فاجاب عن ذلك ان الله سبحانه وتعالى انزل على رسوله وحيين فاوجب على العباد الايمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة قال الله تعالى « وانزل الله عليك الكتاب والحكمة » والحكمة هي السنة باتفاق السلف وما اخبر به الرسول عن الله تعالى فهو في وجوب تصديقه والايمان به كما اخبر به الرب على لسان رسوله فهذا اصل متفق عليه بين اهل الاسلام لا ينكره الا من ليس منهم — وان نعيم الروح وعذابه مذكور في القرآن في مواضع ، منها قوله تعالى « ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت » الآية وهذا خطاب لهم عند الموت قطعا وقد اخبرت الملائكة وهم الصادقون انهم حينئذ ، يجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون، ولو تأخر عنهم ذلك الى انقضاء الدنيا لما صح ان يقال لهم « اليوم تجزون عذاب الهون » وقوله تعالى

---

(١) هذا مثال المضاف الى العمل ثم العمل اما ان يكون فعليا كالشهداء والمرابطين واما ان يكون قوليا كمن قرأ سورة تبارك على ما سيأتي (٢) هذا مثال المضاف الى حال ابتلاء (٣) هذا مثال المضاف الى الزمان اه ملخصا من تقرير سيدي الع ١٠ ش

« فوقاه الله سيئآت ما مكروا » الى قوله « يعرضون عليها غدوا وعشيا الآية » فذكر عذاب الدار صريحا لا يحتمل غيره انتهى · قال الحافظ ابن رجب وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في عذاب القبر ففي الصحيحين عن ام المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر قال نعم عذاب القبر حق » [الامر الثالث] ما ورد في ضغطة القبر وضمته لكل احد ، اخرج الامام احمد في المسند والحكيم الترمذي في نوادر الاصول والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال « كنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في جنازة فلما انتهينا الى القبر قعد على شفتيه فجعل يردد بصره فيه ثم قال يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منه حمائله » قال في النهاية الحمائل هنا عروق الانثيين ويحتمل ان يراد موضع حمائل السيف اي عواتقه وصدره واضلاعه والاحاديث في هذا كثيرة شهيرة · قال ابو القاسم السعدي في كتاب الروح لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح والفرق بين المسلم والكافر في ضمة القبر دوامها للكافر وحصول هذه الحالة للمؤمن في اول نزوله الى قبره ثم يعود الى الانفساح له فيه * والمراد بضغطة القبر التقاء جانبيه على جسد الميت · قال الحكيم الترمذي سبب هذه الضغطة انه ما من احد الا وقد الم بخطيئة ما وان كان صالحا فجعلت هذه الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة قال واما الانبياء فلا نعلم ان لهم في القبور ضمة ولا سؤالا لعصمتهم اي لأن السؤال عن الانبياء وماجاءوا به فكيف يسئلون عن انفسهم ·

❊ فوائد ❊ الاولى ذكر الديلمي في الفردوس من علي رضي الله عنه رفعه اول عدل الآخرة القبور فلا يعرف شريف من وضيع · واخرج عن انس رضوان الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارحم ما يكون الله بالعبد اذا وضع في حفرته (الثانية) قال بعضهم من فعل سيئة فان عقوبتها تدفع عنه باحد عشرة اسباب ، ان يتوب فيتاب عليه ، او يستغفر فيغفر له ، او يعمل حسنات فتمحوها ، او يبتلى في الدنيا بمصائب فيكفر عنه ، او في البرزخ بالضغطة و الفتنة فيكفر عنه ، او يبتلى في عرصات القيمة باهوال تكفر عنه ، او تدركه شفاعة نبيه صلى الله تعالى

عليه وسلم ، او رحمة ربه تبارك وتعالى وتقدم في التوبة طرف صالح من هذا [الثالثة] الاسباب التي يعذب بها اصحاب القبور على قسمين مجمل ومفصل اما المجمل فيعذبون على جهلهم بالله واضاعتهم لامره وارتكابهم معاصيه فلا يعذب الله تعالى روحاً عرفته واحبته وامتثلت امره واجتنبت نهيه ولا بدناً كانت فيه ابداً فان عذاب القبر بل وعذاب الآخرة اثر غضب الله تعالى وسخطه على عبده — واما المفصل فتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به في النهار ، وتعذيب الزناة فالزواني وآكل الربا والذين يأكلون الزقوم والضريع لتركهم الزكاة والجبارون والمتكبرون والمراءون والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فكل هؤلاء وامثالهم يعذبون في قبورهم بهذا الجرم (الرابعة) الاسباب المنجية من عذاب القبر من انفعها ان يجلس عند ما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ثم يجدد له توبة نصوحاً .

﴿تنبيهان﴾ الاول انكرت الملاحدة والزنادقة عذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة ، وانكروا جلوس الميت في قبره وقال اخوانهم من اهل البدع والضلال كل حديث يخالف مقتضى العقول نقطع بتخطئة ناقله واكثروا من هذا الهذيان واجاب عن ذلك ائمة الحق من علماء السنة بما يقصم المفترين ويقلع عين الشاكين [الثاني] الحق عند اهل السنة ان عذاب القبر على النفس والبدن قال شيخ الاسلام وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح فيه قولان مشهوران لاهل الحديث والسنة واهل الكلام ، قال وفي المسئلة اقوال شاذة ليست من اقوال اهل اهل السنة والحديث ، احدها قول من يقول ان النعيم والعـذاب لا يكون الا على الروح وان البدن لا ينعم ولا يعذب ، وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الابدان وهؤلاء كفار باجماع المسلمين ، ويقوله كثير من اهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الابدان لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ وانما يكون عنـد القيام من القبور ، وهؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ويقولون ان الارواح هي المنعمة والمعذبة في البرزخ فاذا كان يوم القيمة عذبت الروح والبدن معاً قال وهذا قاله طوائف من المسلمين من اهل الكلام والحديث وهو

اختيار ابن حزم ، وهذا ليس من الاقوال الشاذة بل هو مضاف الى قول من يقر بعذاب القبر و بالقيمة و يثبت معاد الابدان والارواح ، ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة اقوال ، على الروح فقط ، عليها وعلى البدن بواسطتها ، على البدن فقط * فاذا جعلت الاقوال الشاذة ثلاثة فالقول الثاني الشاذ قول من يقول ان الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وانما الروح هي الحياة ، وهذا يقوله طوائف من اهل الكلام و ينكرون ان الروح تبقى بعد فراق البدن وهو قول باطل بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الامة ان الروح تبقى بعد فراق البدن وانها منعمة او معذبة * القول الثالث من الشواذ قول من يقول ان البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل لا يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك بعض المعتزلة وغيرهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على ان الروح لا تبقى بعد فراق البدن وان البدن لا ينعم ولا يعذب انتهى * اذا علمت هذه الاقوال وعرفت بطلانها فاعلم ان مذهب سلف الامة وائمتها ان الانسان اذا مات يكون في نعيم او عذاب وان ذلك يحصل لروحه وبدنه وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة او معذبة وانها تتصل بالبدن احياناً فيحصل له معها النعيم والعذاب ثم اذا كان يوم القيمة الكبرى اعيدت الارواح الى الاجساد ، وقاموا من قبورهم الى رب المعاد .

﴿ فصل ﴾

(في ذكر الروح والكلام عليها وقد اشار الى قطرة من بحر لجي من متعلقاتها فقال)

﴿ وان ارواح الورى لم تعدم ــ مع كونها مخلوقة فاستفهم ﴾

(و) مما ينبغي العلم به (ان ارواح) بني آدم جمع روح قد اختلف في حقيقتها وهل هي النفس او غيرها وهل هي جزء من البدن او عرض من اعراضه او جسم مساكن له مودع فيه او جوهر مجرد ، قد تكلم الناس في هذه المسائل من سائر الطوائف واضطربت فيها اقوالهم وكثر فيها خطأهم ومن الناس من امسك عن الكلام والخوض فيها لقوله تعالى « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي » الآية وهدى الله تعالى اتباع الرسول وسلف الامة واهل السنة « لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » قال الامام ابن القيم بعد ما ساق اقوال

الناس في حقيقة الروح على اختلاف مذاهبهم وتباين آرائهم وذكر عدة مذاهب وزيفها ثم قال والصحيح ان الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد والدهن في الزيتون والنار في الفحم ، فما دامت هذه الاعضاء الصالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكا بهذه الاعضاء وافادها [1] هذه الآثار من الحس والحركة والارادة واذا افسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الاثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح قال وهذا القول هو الصواب في المسئلة وهو الذي لا يصح غيره وكل الاقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقل والفطرة ، وذكر له مائة دليل وخمسة عشر دليلا واجاد وافاد وزيف كلام ابن سينا وابن حزم وامثالهما [فائدة] ذكر بعض المتكلمين ان محل الروح القلب واستدل له ، واما اختلاف الناس في الروح هل هي النفس او غيرها فمن الناس من قال هما اسمان لمسمى واحد وهذا قول الجمهور ، وقيل بل هما متغايران قال المحقق في كتابه الروح : النفس تطلق على امور احدها الروح قال الجوهري : النفس الروح يقال خرجت نفسه والنفس الدم يقال سالت نفسه والنفس الجسد والنفس العين يقال اصابت فلانا نفس اي عين ، قال ابن القيم ليس كما قال فالنفس ها هنا الروح وتطلق النفس على الذات كقوله تعالى « فسلموا على انفسكم — ولا تقتلوا انفسكم » وتطلق النفس على الروح وحدها كقوله تعالى « يا ايتها النفس المطمئنة » واما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس وتطلق الروح على القرآن كقوله تعالى « وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا » وعلى الوحي كقوله تعالى « يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق » وانما سمي ذلك روحا لما يحصل به من الحياة النافعة فان الحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة ، وسميت الروح روحاً لان بها حياة البدن وكذلك سميت الريح لما يحصل بها من الحياة ومنها الرَوح والريحان والاستراحة ،

---

(١) اي افاد الجسم الاعضاء ا ه ش

فسميت النفس روحاً لحصول الحياة بها ، وسميت نفسا اما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها واما من تنفس الشيء اذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفساً ، ومنه النفس بالتحريك ، فان العبد كلما نام خرجت منه ، فاذا استيقظ رجعت اليه ، فاذا مات خرجت خروجاً كلياً ، فاذا دفن عادت اليه ، فاذا سئل خرجت ، فاذا بعث رجعت اليه . فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا بالذات وانما سمي الدم نفسا لأن خروجه الذي يكون معه الموت يلازم خروج النفس وان الحياة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس . وقالت فرقة من اهل الحديث والفقه والتصوف : الروح غير النفس . قال مقاتل بن سليمان : للانسان حياة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه يتقلب و يتنفس فاذا حرك رجعت اليه اسرع من طرفة عين فاذا اراد الله تعالى ان يميته في المنام امسك تلك النفس التي خرجت . وقال ابن منده من علمائنا ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس فالنفس طينية نارية والروح نورية روحانية . وقالت طائفة من اهل الأثر ان الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو اعدى لابن آدم منها فالنفس لا تريد الا الدنيا والروح تدعو الى الآخرة وتؤثرها وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان مع النفس والهوى وجعل الملك مع الروح والعقل والله سبحانه يمدها بالهامه وتوفيقه . وقال بعضهم الارواح من امر الله اخفى حقيقتها وعلمها عن الخلق ، ذكر هذا ابن القيم في كتابه الروح ثم قال : قلت الروح التي تتوفى وتقبض روح واحدة وهي النفس . وقوله (الورى) محله الجر بالاضافة الى الارواح اي ارواح الورى والمراد بنو آدم ومثلهم الجن فيما يظهر لأن التكليف والمعاد والحساب يشملهم (لم تعدم) بموت الابدان التي كانت فيها ولا تموت هي ولا تفنى ، وزعمت طائفة انها تموت وتذوق الموت لأنها نفس و كل نفس ذائقة الموت . قالوا ودلت الادلة على انه لا يبقى الا الله وحده كما قال تعالى « كل شيء هالك الا وجهه » واذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية اولى والدليل على عدمها عدم قدمها ولهذا قال الصواب عدم عدمها

(مع كونها) اي الارواح (مخلوقة) لله تعالى ومحدثة اوجدها بعد ان لم تكن (فاستفهم) اي اطلب علم ذلك من مظانه يقال فهم كفرح علم الشيء وعرفه بالقلب فالفهم قوة من شأنها ان تعد النفس لاكتساب الاراء، والذكاء جودة تلك القوة ، والذهن قيل يرادف الفهم وقدمه في القاموس ، وقال غيره الذهن هو نفس القوة والفهم استعمالها وانما حث على طلب الفهم في ذلك لاختلاف مقالات الناس في هذا المقام ولأنه مزلة اقدام * وحاصل ذلك انه ذكر مسئلتين عظيمتين الاولى ان الروح مخلوقة محدثة والثانية ان العدم لا يدركها . ولنذكر ادلة كل من المسئلتين فنقول اعلم رحمك الله تعالى ان هذه المسئلة زل فيها عالم وضل فيها طوائف وهدى الله تعالى اتباع رسله فيها للحق المبين فاجمعت الرسل صلوات الله تعالى عليهم على ان روح الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم كما يعلم بالاضطرار من دينهم ان العالم حادث وان معاد الابدان واقع وان الله تعالى هو الخالق وحده وكل ما سواه مخلوق له ، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وانها مخلوقة حتى نبعت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم انها قديمة غير مخلوقة وتوقف آخرون فقالوا لا نقول مخلوقة ولا غير مخلوقة وقد تكلم في هذه المسئلة طوائف من اكابر العلماء والمشايخ وردوا على من يزعم انها غير مخلوقة — المسئلة الثانية مما ذكر في اصل العقيدة بقاء الارواح وانه لا يلحقها عدم ولا فناء ولا اضمحلال لانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان ، وقد دلت على هذا الاحاديث الدالة على نعيم الارواح وعذابها بعد مفارقتها لابدانها الى ان يرجعها الله تعالى اليها ولو ماتت الارواح لانقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال الله تعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » مع القطع بان ارواحهم قد فارقت اجسادهم وقد ذاقت الموت * قال المحقق الصواب ان موت النفوس هو مفارقتها لاجسادها وخروجها منها فان اريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وان اريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فانها لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها

في نعيم او عذاب ، فان قيل فبعد النفخ في الصور هل تبقى الارواح حية كما هي او تموت فالجواب قد قال الله تعالى « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله » فدل استثنى الله سبحانه بعض من في السموات ومن في الارض من هذا الصعق فقيل هم الشهداء وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم [١] ومن في النار من اهل العذاب وخزنتها وقد اخبرنا سبحانه وتعالى ان اهل الجنة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وهذا نص على انهم « لا يموتون » غير تلك الموتة الاولى فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان * واما قول اهل النار ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فتفسير هذه الآية الآية التي في البقرة وهو قوله تعالى « كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » فكانوا امواتاً وهم نطف في اصلاب آبائهم وارحام امهاتهم ثم احياهم بعد ذلك ثم اماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس في ذلك اماتة أرواحهم قبل يوم القيمة والا كانت ثلاث موتات وصعق الارواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها ففي الحديث الصحيح « ان الناس يصعقون يوم القيمة فاكون اول من يفيق فاذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا ادري أفاق قبلي ام جوزي بصعقة يوم الطور» [٢] فهذا صعق في موقف القيمة كما قال تعالى « فذرهم حتي يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون » ولو كان هذا الصعق موتاً لكانت موتة اخرى [تتمة] في مسائل مما نحن بصدده من امر الارواح [الاولى] اختلف في خلق الارواح هل كان قبل خلق الاجساد او تأخر عنها فللناس فيه قولان معروفان وممن ذهب الى تقدم خلق الارواح على الاجساد محمد بن نصر المروزي وابو محمد بن حزم بل حكاه اجماعاً * واحتج من قال بذلك بحجج منها قوله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا » وثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الآية الكريمة ان خلقنا مقدم على امر الله الملائكة بالسجود لآدم ومن المعلوم قطعاً ان أبداننا حادثة بعد ذلك فعلم انها الارواح قال ويدل عليه

---

(١) اي من الغلمان والطيور وغير ذلك (٢) اي يوم طلبه ان يرى ربه حيث قال تعالى وخر موسي صعقا ا · ش

قوله تعالى « واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى » وهذا الاستنطاق والاشهاد انما كان لارواحنا اذ لم تكن الابدان حينئذ موجودة ، وقال الآخرون بل خلقت الاجساد قبل الارواح واحتجوا بحجج منها قوله تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى » وهذا خطاب للانسان الذي هو روح وبدن فدل ان جملته مخلوقة بعد خلق الابوين ، واختار ابن القيم تبعاً لشيخه وجوع ان خلق الاجساد مقدم على خلق الروح وزيف كلام ابن حزم وغيره بما يطول ذكره [المسئلة الثانية] اين مستقر الارواح ما بين الموت الى يوم القيمة هل فى السماء ام في الارض وهل هي في الجنة والنار ام لا وهل تودع في اجساد ام تكون مجردة ، اختلفوا في ذلك وهي انما تتلقى من السمع فقط فقال قوم ارواح المؤمنين عند الله تعالى في الجنة شهداء كانوا او غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالقبول والرحمة لهم ، وقالت طائفة هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من رَوحها ونعيمها ورزقها ، وقالت طائفة الارواح على افنية قبورها ، وقال الامام مالك بلغني ان الروح مرسلة تذهب حيث شاءت ، وقال الامام احمد أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة * قال المحقق فان قيل قد ذكرتم أقوال الناس في مستقر الارواح فما الراجح من هذه الاقوال حتى يعتقد ، اجاب بان الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ اعظم تفاوت ، فمنها أرواح في اعلى عليين وهي أرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح الشهداء ، ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة ، ومنهم من يكون محبوساً في قبره ، ومنهم من يكون محبوساً في الارض لم تعل روحه الى الملأ الاعلى ، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني ، وأرواح في نهر الدم فليس للارواح شقيها وسعيدها مستقر واحد * ومن تأمل السنن والآثار في هذا الباب وكان له فضل اعتناء عرف صحة ذلك فكل الآثار الصحيحة حق وصدق وانها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه وهي اسرع شيء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً ، وتنقسم

الى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم والم وعذاب اعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير [المسئلة الثالثة] هل تتلاقى ارواح الموتى وتتزاور وتتذاكر ، وتتلاقى ارواح الاحياء والاموات ايضاً وهذا يعلم مما مر من حيث الجملة ، لأن الارواح قسمان معذبة ومنعمة فالمعذبة في شغل شاغل لها بما هي فيه عن التزاور والتلاقي ، واما الارواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة فهذه تتزاور وتتلاقى وتتذاكر ما كان منها في الدنيا ، وقد جاءت سنة صحيحة بتلاقي الارواح وتفارقها ، وفي مثل ذلك حكايات كثيرة ·

فكل ما عن سيد الخلق ورد من امر هذا الباب حق لا يرد

(فكل ما) اي شيء او الذي (عن سيد الخلق) نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال في المطلع السيد الذي يفوق في الخير قومه وقيل التقي وقيل الحليم وقيل الذي لا يغلبه غضبه وجميع ذلك في نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (ورد) بالاسانيد المقبولة (من امر) اي من امور (هذا الباب) الذي مناطه السمع من الكتاب والسنة واجماع السلف فكل ذلك (حق) يجب اعتقاده والايمان به لأنه صحت به النقول ولم ترده العقول وان عجزت عن ادراكه فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها والفرق بينهما لا يخفى على ذي تبصر (لا يرد) من ذلك شيء لثبوته عن المعصوم فمن تصدى لرد شيء من هذا الباب ، فقد اخطأ الصواب ، وضل وخاب ،

فصل

في اشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ومجيئها

قال تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر » والآيات في ذلك كثيرة واما الاحاديث فلا تكاد تحصى · فان قيل كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه الف ومائة ونيف وسبعون عاما ، فالجواب ان الاجل اذا مضى اكثره وبقي اقله حسن ان يقال فيه اقترب الاجل قال تعالى « انهم يرونه بعيداً ونراه قريبا » وروى الترمذي وصححه من حديث انس مرفوعا بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة

والوسطى ، ولما كان امر الساعة شديداً وهولها مزيداً وامرها بعيدا . كان الاهتمام بشأنها اكثر من غيرها ولهذا اكثر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بيان اشراطها واماراتها * ثم اعلم ان وقت مجيء الساعة مما تفرد الله تعالى بعلمه وانما اخفاه الله تعالى لأنه اصلح للعباد لئلا يتباطؤا عن التأهب والاستعداد ، كما ان خفاء وقت الموت اصلح لهم وانفع . وقد انتدب جماعة من العلماء على تعيين قربها واستدلوا باحاديث غير صحيحة وما صح منها فدلالتها غير صريحة ، وذكر الحافظ السيوطي ذلك في جزء سماه الكشف ، وذكر هو تقريبا انها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الالف او ازيد * ثم اعلم ان اشراط الساعة واماراتها تنقسم الى ثلاثة اقسام ، قسم ظهر وانقضى وهي الامارات البعيدة ، وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في ازدياد حتى اذا بلغ الغاية ظهر : القسم الثالث وهي الامارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة وانها تتابع كنظام خرز انقطع سلكها [فالاولى] اعني التي ظهرت ومضت منها بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وموته وفتح بيت المقدس ومنها قتل امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، ومنها وقعة الجمل ووقعة صفين ووقعة النهروان ، ومنها نزول امير المؤمنين سيدنا الحسن رضي الله عنه ومنها ملك بني امية وما جرى على اهل البيت في ايامهم من الاذية كقتل الحسين بعد ما سم الحسن ، ووقعة الحرة وما جرى فيها من المحن ، ومنها ملك بني العباس وما جرى في ايامهم من المحن والباس ، ومنها نار الحجاز التي اضاءت منها اعناق الابل ببصرى ، ومنها ظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك واظهار الطعن واللعن على السلف الصالح من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم ، ومنها خروج كذابين دجالين كل منهم يدعي انه نبي ، ومنها زوال ملك العرب . ومنها كثرة المال ، ومنها كثرة الزلازل والمسخ والقذف وغير ذلك مما اخبر عنه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه من امارات الساعة فظهر ومضى (الثانية) الامارات المتوسطة وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جداً منها ما اخرجه ابو نعيم في الحلية عن انس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً (من اقتراب

الساعة اثنان وسبعون خصلة اذا رأيتم الناس اماتوا الصلاة ، واضاعوا الامانة ، واكلوا الربا ، واستحلوا الكذب ، واستخفوا بالدماء ، واستعلوا البناء ، وباعوا الدين بالدنيا ، وتقطعت الارحام ، ويكون الحكم ضعفا ، والكذب صدقا ، والحرير لباسا ، وظهر الجور ، وكثر الطلاق ، وموت الفجأة ، وائتمن الخائن ، وخون الامين ، وصدق الكاذب ، وكذب الصادق ، وكثر القذف ، وكان المطر قيظاً والولد غيظاً ، وفاض اللئام فيضاً ، وغاض اللئام غيضاً ، وكان الامراء والوزراء والامناء خونة ، والعرفاء ظلمة ، والقراء فسقة ، اذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم انتن من الجيف وامر من الصبر ، يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود والظلمة ، وتظهر الصفراء ، وتطلب البيضاء يعني الذهب والفضة ، وتكثر الخطباء ، ويقل الامر بالمعروف ، وحليت المصاحف ، وصورت المساجد ، وطولت المنابر ، وخربت القلوب ، وشربت الخمور ، وعطلت الحدود ، وولدت الامة ربتها ، وترى الحفاة العراة صاروا ملوكا ، وشاركت المرأة زوجها في التجارة ، وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وحلف بغير الله ، وشهد المرء من غير ان يستشهد وسلم للمعرفة وتفقه لغير الله ، وطلبت الدنيا بعمل الاخرة ، واتخذ المغنم دولا ، والامانة مغنما ، والزكاة مغرما ، وكان زعيم القوم ارذلهم ، وعق الرجل اباه ، وجفا امه ، وبر صديقه ، وأطاع امرأته ، وعلت اصوات الفسقة في المساجد ، واتخذت القينات والمعازف ، وشربت الخمور في الطرق ، واتخذ الظلم فخراً ، وبيع الحكم ، وكثرت الشُرَط ، واتخذ القرآن مزامير ، وجلود السباع صفافا ، ولعن آخر هذه الامة اولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفا ومسخاً وقذفاً وآيات) [الاشراط والامارات الثالثة] العلامات العظام التي تعقبها الساعة وهي المقصودة في النظم والتي تكلم عليها اهل العلم واليها الاشارة بقوله

* وما اتي في النص من أشراط ... فكله حق بلا شطاط *
* منها الامام الخاتم الفصيح ... محمد المهدي والمسيح *

(وما) اي ومما ورد عن سيد الخلق وهو حق يجب اعتقاده ولا يسوغ رده الذي

(اتى) اي ورد وجاء (في النص) القرآني او الحديث النبوي (من اشراط) الساعة باقسامها الثلاثة مما ذكرنا ومما لم نذكر والمراد بالساعة يوم القيمة وسميت الساعة لقربها او لأنها تأتي بغتة في ساعة (فكله) اي الذي اتى في النص من اشراط الساعة (حق) واقع (بلا شطاط) كسحاب وكتاب اي من غير طول و بعد ، ثم اخذ في تعداد ذلك فقال (منها) اي من اشراط الساعة العظمى وهي اولهـا ان يظهر (الامام) المقتدى باقواله وافعاله (الخاتم) للائمة فلا امـام بعده (الفصيح) اللسان لانه من صميم العرب رقوله (محمد المهدي) هذا اسمه واشهر اوصافه فاما اسمه فمحمد جاء ذلك في عدة اخبـار وفي بعضها ان اسمه احمد واسم ابيه عبد الله روى ابو نعيم من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من اهل بيتي يواطيء اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي يملأها قسطاً وعدلا كما ملئت ظلما وجوراً » وروي نحوه الترمذي وابو داود والنسائي والبيهقي من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه * واما زعم الشيعة ان اسمه محمد بن الحسن وانه محمد بن الحسن العسكري فهذيان وهو الذي تزعم الشيعة انه المنتظر والمهدي وهو صاحب السرداب عندهم واقاو يلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأي (١) كانت ولادته في منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين — وانه دخل السرداب في دار ابيه وامه تنظر اليه فلم يعد يخرج اليهـا وذلك في سنة خمس وستين ومـائتين وعمره يومئذ تسع سنين وكل ذلك ضرب من الجنون واما ذاك فقد مات رضوان الله تعالى عليه وعلى آبائه * واما تسميته ووصفه بالمهدي فقد ثبتت له هذه الصفة في عدة اخبار ، وعن كعب الاحبار قال انما سمي المهدي لانه يهدي الى امر خفي وفي بعض رواياته(٢) عن كعب : لانه يهدي الى اسفار التوراة فيستخرجها من جبال الشام يدعو اليها اليهود فيسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة وما لقبه فالجابر لانه يجبر قلوب امة محمد صلى الله تعـالى عليه وسلم ولانه يجبر اي يقهر الجبارين والظالمين ويقصمهم ، واما كنيته فابو عبد الله ، واما نسبه فانه من اهل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم ان الروايات الكثيرة ناطقة انه

---

(١) سُرَّ مَن رَأي بلدة في عراق العجم اه من هامش الاصل (٢) كذا والله اعلم

من ولد فاطمة البتول وجاء في بعض الاحاديث انه من ولد العباس والاول اصح ، قال بعض حفاظ الامة واعيان الائمة : ان كون المهدي من ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم مما تواتر عنه ذلك فلا يسوغ العدول ولا الالتفات الى غيره وقال ابن حجر يمكن الجمع بان يكون من ذريته صلى الله تعالى عليه وسلم وللعباس فيه ولادة من جهة ان في امهاته عباسية ، والحاصل ان للحسن في المهدي الولادة العظمى وللحسين فيه ولادة ايضاً وللعباس فيه ولادة ايضاً ولا مانع من اجتماع ولادات متعددات في شخص واحد من جهات مختلفة .

* فوائد * منها في حليته وصفته عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدري اللون لون عربي والجسم جسم اسرائيلي يملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً يرضى في خلافته اهل الارض واهل السماء والطير في الجو يملك عشرين سنة » اخرجه ابو نعيم في مناقب المهدي والطبراني في معجمه ، وفي مرفوع عمران بن حصين انه حين ذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا رسول الله كيف لنا بهذا حتى نعرفه فقال « هو رجل من ولدي كأنه من رجال بني اسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان كأن في وجهه الكوكب الدري في اللون في خده الايمن خال اسود ابن اربعين سنة » اخرجه الامام ابو عمرو الداني في سننه ، وعن ابي جعفر محمد بن الباقر قدس الله سره قال سئل امير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه عن صفة المهدي قال هو شاب مربوع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره ولحيته ورأسه ، وفي رواية اخرى عن علي رضي الله تعالى عنه ان المهدي كث اللحية اكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال اقنى اجلى في كتفه علامة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم [الفائدة الثانية] في سيرته قال اهل العلم يعمل بسنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوقظ نائماً و يقاتل على السنة لا يترك سنة الا اقامها ولا بدعة الا رفعها يقوم بالدين آخر الزمان كما قام به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اوله يملك الدنيا كلها يكسر الصليب و يقتل الخنزير و يرد الى المسلمين الفتهم ونعمتهم يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يحثو المال حثواً

حتى انه يأمر منادياً ينادي الا من له حاجة في المال فلا يأتيه الا رجل واحد فيقول انا فيقول ايت السادن اي الخازن فقل له المهدي يأمرك ان تعطيني مالاً فيقول له احث حتى اذا جعله في حجره وابرزه ندم فيقول كنت اجشع اي احرص امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اعجز عني ما وسعهم قال فيرده فلا يقبل منه ، تجري على يديه الملاحم يستخرج الكنوز و يفتح المدائن ما بين الخافقين و يرفع الربا والزنا وشرب الخمر وتطول الاعمار [الثالثة] في علامات ظهوره ، فمن علامات ظهوره كسوف القمر والشمس ونجم الذنب والظلمة وسماع الصوت برمضان وتحارب القبائل بذي القعدة وظهور الخسف والفتن ومعه قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه ورايته من مرط (١) مخملة معلمة سوداء فيها حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنشر حتى يخرج المهدي مكتوب على رأسها البيعة لله . كذا في الاشاعة ، و ينادي مناد من السماء ايها الناس ان الله قطع عنكم الجبارين والمنافقين واشياعهم وولاكم خير امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالحقوه بمكة فانه المهدي واسمه محمد بن عبد الله [الرابعة] في الاشارة الى بعض الفتن الواقعة قبل خروج المهدي قال جعفر الصادق لا يظهر المهدي الا على خوف شديد من الناس وزلازل وفتنة و بلاء يصيب الناس والطاعون قبل ذلك وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد في الناس وتشتت في دينهم وتغيير في حالهم حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساء من عظم ما يرى من كلب (٢) الناس واكل بعضهم بعضاً فحينئذ يخرج ، فيا طوبى لمن ادركه وكان من انصاره والويل لمن خالفه وخالف امره ، وعن علي رضي الله تعالى عنه قال تكون بالشام رجفة (٣) يهلك فيها اكثر من مائة الف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على المنافقين فاذا كان كذلك فانظروا الى اصحاب البراذين الشهب (٤) والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام وذلك عند الجوع الاكبر والموت الاحمر فاذا كان كذلك فانظروا خسف قرية من قرى دمشق يقال لها حرستا فاذا كان ذلك خرج ابن اكلة الاكباد من الوادي

---

(١) بالكسر كساء من صوف او خز كان يؤتزر به (٢) بفتحتين شدة الحرص على المحاربة (٣) الرجفة الزلزلة (٤) جمع البرذون الاشهب .

اليابس حتى يستوي على منبر دمشق فاذا كان كذلك فانظروا خروج المهدي ·

ومن اقوى علامات خروج المهدي خروج من يتقدمه من الخوارج السفياني والابقع والأصهب والاعرج الكندي * اما السفياني فاسمه عروة وكنيته ابو عتبة ملعون في السماء والارض وهو اكثر خلق الله ظلما قال علي رضي الله عنه يخرج من ناحية دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى يبقر بطون النساء و يقتل الصبيان ، والابقع يخرج من مصر ، والاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ، ثم يخرج الجرهمي من الشام ، ويخرج القحطاني من بلاد اليمن ، ويخرج الاعرج الكندي بالمغرب ويدوم القتال بينهم سنة [الخامسة] في مولده و بيعته ومدة ملكه اخرج نعيم بن حماد عن علي رضي الله تعالى عنه قال المهدي مولده بالمدينة ومهاجره بيت المقدس ، واما بيعته فيبايع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء واذا هاجر المهدي من المدينة الى بيت المقدس تخرب المدينة * وقد اختلفت الروايات في مدة ملك المهدي ففي بعضها يملك خمساً او سبعاً او ستاً بالترديد وفي بعضها تسعة عشر سنة واشهراً وفي بعضها عشرين سنة وفي بعضها ثلاثين وفي بعضها اربعين ، و يمكن الجمع على تقدير صحة الكل بان ملكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل الاكثر باعتبار مدة الملك منذ البيعة والاقل على غاية الظهور والاوسط على الاوسط ·

﴿ تنبيه ﴾ قد كثرت الاقوال في المهدي حتى قيل لا مهدي الا عيسى والصواب الذي عليه اهل الحق ان المهدي غير عيسى وانه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم وقد روى الامام الحافظ ابن الاسكاف بسند مرضي الى جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد كفر) وزعمت الكيسانية ان المهدي هو محمد ابن الحنفية وانه حي مقيم بجبل رضوي وهؤلاء الكيسانية احدى فرق الضلال كما مر في تعداد الفرق [تتمة] جاء عن ابي سيرين ان المهدي خير من ابي بكر وعمر قد كاد يفضل الانبياء وجاء عنه ايضا لا يفضل عليه ابو بكر وعمر وليس بصحيح فان الامة مجمعة على افضليتهما عليه بل وعلى جميع الصحابة خلافا للرافضة خذلهم الله تعالى

بل غيرهما من الصحابة افضل من المهدي ثم يستمر سيدنا المهدي حتى يسلم الامر لروح الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام

[العلامة الثانية] خروج الدجال، قد انذرت به الانبياء قومها وحذرت منه امما وحذر منه المصطفى وانذر، وقد قيل انه صافي ابن صياد وقيل بل هو شيطان موثق في بعض الجزائر او انه من اولاد شق الكاهن او هو شق نفسه وان امه كانت جنية عشقت اباه فاولدها اياه وكانت الشياطين تعمل له العجائب فحبسه سليمان بن داود عليهما السلام وهذا القول ليس بصائب ، وقال كعب الاحبار تلده امه بقوص من ارض مصر وبين مولده وخروجه اربعون سنة وفي الترمذي « انه يخرج من خراسان » وفي صحيح مسلم عن انس مرفوعاً « يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة » وفي مستدرك الحاكم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعا « يخرج الدجال من يهودية اصبهان ثم يخلق له عين والاخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم يشوي في الشمس سمكا و يتناول الطير من الجو له ثلاث صيحات يسمعها اهل المشرق والمغرب » ومن حليته انه شاب وفي رواية شيخ وسندهما صحيح جسيم احمر وفي رواية ابيض امهق قال ابن حجر اعور العين اليمنى كأنها عنبة طافئة، وفي رواية اعور العين اليسرى وجاء في رواية انه اعور العين مطموسة وليست جحزا [1] وهذا معنى طافئة مهموزا . ثم جمع القاضي عياض بين الروايات بان عينه اليمنى طافية بغير همز وممسوحة اي ذهب ضوؤها وعلى هذا [2] فهو اعور العينين معا فكل واحدة من عينيه عوراء وذلك ان العور عيب وكلا عيني الدجال معيبة احداهما بذهاب نورها والاخرى بنتوئها وخضرتها [3]. ومن اوصاف الدجال انه قصير افجج كما في سنن ابي داود وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان المسيح الدجال قصير افجج جعد اعور مطموس العين اي متباعد ما بين الساقين [4]. مكتوب بين عينيه ك ف ر حروفاً مقطعة يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب ولا يقرؤها الكافر ، ولا يدخل المدينة ولا مكة تتبعه اقوام كأن وجوههم المجان [5] المطرقة وسبعون الفا من يهود اصبهان عليهم التيجان وكلهم

---

(١) بجيم مضمومة ثم خاء ساكنة اي ليست عميقة (٢) اي اختلاف الروايتين المتقدمتين (٣) يقال عين خضراء اذا كانت تشبه النخاعة في الحائط (٤) هذا تفسير لافجج (٥) جمع مجن وهو الترس ا . ﻫ ش

ذو سيف محلى . ومن صفاته انه تنام عيناه ولا ينام قلبه ، له حمار اهلب وهو الشعر الغليظ يعني كثير الشعر ما بين اذنيه اربعون ذراعا يضع خطوه عند منتهى طرفه * واعلم ان العلماء قد اختلفوا في الدجال فقيل انه ليس بانسان وانما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن لا يعلم من اوثقه اهو سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام او غيره فاذا اراد الله ظهوره فك عن كل عام حلقة واذا ابرز اتته اتان عرض ما بين اذنيها اربعون ذراعا فيضع على ظهرها منبراً من نحاس فيقعد عليه وتتبعه قبائل الجن بخزائن الارض واول خروجه يدعي الايمان والصلاح و يدعو الى الدين فيتبع ويظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين و يعمل به فيتبع ويحب على ذلك ثم يدعي الالهية فتغشى عينه وتقطع اذناه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على مسلم فيفارق كل احد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من الايمان هكذا رواه الطبراني * وفي الحديث « ان قبل خروجه بثلاث سنين اول سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها ، والسنة الثانية تمسك ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها ، والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها ويهلك كل ذي ضرس وظلف و يسير ومعه جبلان احدهما فيه اشجار واثمار وماء واحدهما فيه دخان يقول هذه الجنة وهذه النار » رواه الحاكم عن ابن عمر مرفوعاً ، واتفق البخاري ومسلم من حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على هذه الرواية وهي قوله « ان الدجال يخرج وان معه ماء وناراً فاما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق واما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب فمن ادرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فانه ماء عذب طيب » وقد ذكر غير واحد من العلماء ان الذي معه من صورة الجنة والنار ونحوهما على طريق التخييل لا الحقيقة وقال جماعة منهم ابن العربي بل هي على ظاهرها امتحاناً من الله تعالى لعباده قال في الاشاعة كالعلامة الشيخ مرعي والتحقيق الاول * ومنها اي من علامات الساعة العظمى :

[العلامة الثالثة] ان ينزل من السماء السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ونزوله ثابت في الكتاب والسنة واجماع الامة — اما الكتاب فقوله تعالى « وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » اي ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى

وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة ابراهيم حنيفاً مسلماً — واما السنة ففي الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية الحديث » — واما الاجماع فقد اجمعت الامة على انه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وان كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها ويتسلم الامر من المهدي ويكون المهدي من اصحابه واتباعه كسائر اصحاب المهدي حتى اصحاب الكهف الذين هم من اتباع المهدي ٠

❊ فوائد ❊ في متعلقات السيد المسيح عليه الصلاة والسلام [الاولى] في حليته وسيرته اما حليته فعند البخارى من حديث عقيل بن خالد انه احمر اجعد عريض الصدر وفي رواية آدم كاحسن ما انت راء من ادم الرجال سبط ينطف اي يقطر ، زاد في رواية له لمة احسن ما انت راء من اللمم قد رجلها اي سرحها ، وفي رواية لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء ＊ واما سيرته فيكسر الصليب و يقتل الخنزير و يضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام و يتخذ الدين فلا يعبد الا الله تعالى و يترك الصدقة اي الزكاة لعدم من يقبلها وتظهر الكنوز في زمنه ويرفع الشحناء والتباغض ويرعى الذئب مع الشاة ويملأ الارض سلماً وينعدم القتال وتنبت الارض نبتها كعهد آدم وترخص الخيل و يغلو الثور و يكون مقرراً لشريعة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر و يكون قد علم احكام هذه الشريعة بامر الله تعالى وهو في السماء قبل ان ينزل [الثانية] في وقت نزوله ومحله وما يجري على يديه من الملاحم ، اما محل نزوله فعند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعاً كفيه على اجنحة ملكين ويكون نزول سيدنا عيسى عليه السلام لست ساعات مضت من النهار حتى يأتي مسجد دمشق ويقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود وكلهم يرتجونه حتى لو القي شيء لم يصب الا رأس انسان من كثرتهم ويأتي مؤذن المسلمين وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقترعون فلا يخرج الا سهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنهم و يخرج اليهود والنصارى من المسجد و يصلي

بالمسلمين صلاة العصر ثم يخرج بمن معه من اهل دمشق في طلب الدجال [الثالثة] في مقدار مدته ووفاته ، اما مدته ووفاته فقد ورد في حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عند الطبراني وابن عساكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال « ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس اربعين سنة » وعند الامام احمد انه يمكث اربعين سنة ثم يتوفى و يصلي عليه المسلمون و يدفنونه عند نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وورد في رواية انه انما يمكث سبع سنين — والى قتل سيدنا عيسى للدجال اشار بقوله :

❊ وانه يقتل للدجال ببابِ لدّ خل عن جدالي ❊

(وانه) اي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام (يقتل) بامر الله له ومعونته (الدجال) اي الكذاب [تنبيه] انما سمي الدجال مسيحاً لان احدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها واما تسمية سيدنا عيسى عليه السلام مسيحاً فقيل لانه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ وقيل المسيح الصديق وتقدم ان سيدنا عيسى يصلي بالمسلمين صلاة العصر بمسجد دمشق ثم يخرج بمن معه من اهلها في طلب الدجال — و يمشي وعليه السكينة والارض تقبض له وما ادرك نفسُه من كافر الا وقتله و يدرك حيث ما ادرك بصره الى ان يأتي بيت المقدس فيجده مغلقاً قد حصره الدجال فيصادف ذلك صلاة الصبح فيدركه (بباب) متعلق بيقتل اي يقتله بباب (لد) بضم اللام بوزن مد بلد مشهورة فيقتله هناك فيضربه بمقرعته وفي رواية بحربته التي نزل بها من السماء (خل) اي اترك ونح وتفرغ (عن جدالي) في ذلك فانه امر سمعي اخبر عنه المعصوم .

❊ تنبيهات ❊ الاول اذا قتل سيدنا عيسى عليه السلام الدجال انهزم جنوده الذين هم اليهود ومن معه فلا يبقى شيءٌ مما خلق الله يتوارى به يهودي الا انطق الله ذلك الشيءَ لا شجر ولا حجر الا قال ياعبد الله هذا يهودي ، وفي لفظ هذا دجالي فتعال اقتله الا العرقد فانه من شجر اليهود لا ينطق [الثاني] في قدر لبثه في الارض وكيفية النجاة منه ، اما قدر لبثه ففي خبر النواس بن سمعان عند مسلم والترمذي « انه يمكث اربعين يوماً يوم كسنة و يوم كشهر و يوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم »

واما كيفية النجاة منه فقد صح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من الدجال ، وفي رواية من آخر الكهف [الثالث] اسم الدجال عند اليهود المسيح بن داود قالوا يخرج آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا وقد كذبوا في زعمهم * واعلم ان الكلام على المهدي والدجال والمسيح ابن مريم طويل شهير افردت في ذلك الكتب المبسوطة وذكرنا في كتابنا البحور الزاخرة من ذلك طرفا صالحا .

❋ العلامة الرابعة ❋ خروج يأجوج ومأجوج واليها الاشارة بقوله :

❋ وامر يأجوج ومأجوج اثبت   فانه حق كهدم الكعبة ❋

(وامر يأجوج ومأجوج) يهمزان ولا يهمزان سموا بذلك لكثرتهم وشدتهم ، قال مقاتل هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ، وقال الضحاك هم من الترك ، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء لانهم لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه يحملون السلاح فمنهم من طوله مائة وعشرون ذراعا او خمسون ذراعا ومنهم من طوله وعرضه كذلك ومنهم من يلتحف باحدى اذنيه و يفترش الاخرى ، والمراد بامرهم خروجهم وهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة فلهذا قال (اثبت) اي اعتقد ثبوته اما الكتاب فقوله تعالى « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون »[1] واما السنة ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « ان الله تعالى يوحي الى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور و يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه ماء ويحصرون عيسى عليه السلام واصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار » الحديث (فانه) اي امر يأجوج ومأجوج يعني خروجهم من وراء السد على الناس (حق) ثابت لوروده في الذكر ولم يحله عقل فوجب اعتقاده ،

---

(١) حدب اي مرتفع من الارض و ينسلون اي يسرعون اه جلالين .

وفي مسلم ، ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام واصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النغف ، بفتح النون والغين المعجمة ففاء ، وفي رواية ابي داود كالنغف في اعناقهم وهو دود يكون في انوف الابل والغنم ، فيصبحون موتى كموت نفس واحدة

❊ العلامة الخامسة ❊ من العلامات العظمى هدم الكعبة المشرفة واليها اشار بقوله (ك) بما ان امر يأجوج ومأجوج حق ثابت يجب اعتقاد وقوعه فكذا يجب اعتقاد وقوع (هدم الكعبة) المعظمة وسلبها حليها واخراج كنزها لما اخرجه مسلم والبخاري والنسائي من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » قوله ذو السويقتين اي صاحبهما وهما تصغير ساقين اي دقيق الساقين . قال العلامة الشيخ مرعي في بهجة الناظرين جاء عن الثقات الحفاظ يمكث الناس ما شاء الله تعالى في الخصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة ثم تخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لا تعمر بعدها ابدا وهم الذين يستخرجون كنوز مصر ثم يجتمع بقايا المسلمين فيقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشي بعباءة ، فتبين ان هدم الكعبة بعد الآيات كلها وان كان لا يخلو من تأمل والله تعالى اعلم

❊ العلامة السادسة ❊ من علامات الساعة واشراطها العظمى ما اشار اليها بقوله

❊ وان منهـا آيـة الدخان   وانـه يُذْهَبُ بالقرآن ❊

(وان منها) اي من اشراط الساعة التي ورد النص بها وانها حق يجب الايمان به (آية) اي علامة (الدخان) كرمان وغراب لغتان قال العلماء آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة . اما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » قال ابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في اسماع الكفار والمنافقين ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ولم يأت بعد وهو آت . واما السنة فاخرج مسلم من حديث حذيفة

بن اسيد رضي الله تعالى عنه قال طلع علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا الساعة يارسول الله قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر منها الدخان ورواه الترمذي وابن ماجه وانه يمكث في الارض اربعين يوماً

﴿ العلامة السابعة ﴾ رفع القرآن العظيم واليه الاشارة بقوله (وانه) اي الشأن والامر (يذهب) بضم التحتية مبنيا لما لم يسم فاعله اي يذهب الله تعالى (بالقرآن) العظيم من المصاحف والصدور وهي من اشد معضلات الامور فاخرج الديلمي من حديث ابي هريرة وحذيفة رضي الله تعالى عنهما مرفوعا « يسري على كتاب الله ليلاً فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف الا نسخت » واخرج ابن ماجه من حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه مرفوعا « يدرس الاسلام حتى ما يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسري على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية ·

﴿ العلامة الثامنة ﴾ اشار اليها بقوله ، ومنها :

﴿ طلوع شمس الافق من دَبور   كذات اجياد على المشهور ﴾

(طلوع شمس الافق) والافق بالضم وبضمتين الناحية والافق ايضا ماظهر من نواحي الفلك وهو المراد هنا وقوله (من دبور) بفتح الدال وضم الموحدة مخففة جهة المغرب لأنها تدابر باب الكعبة قال العلماء طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة والاخبار الصريحة بل وبالكتاب المنزل قال الله تعالى « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل الآية » اجمع المفسرون او جمهورهم على انها طلوع الشمس من مغربها ، وحاصل ذلك المقصود من الآية الكريمة ان من لم يكن ايمانه متحققاً اذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفعه تجديد الايمان ولم ينفعه فعل بر من جميع الاعمال لانه فقد الايمان الذي هو الاساس ، ومن ذلك ما اخرجه الشيخان وغيرهما من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً ايمانها » الآية ، واخرج ابن مردُويه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى

عنها مرفوعاً « خلق الله باباً للتوبة ، وفيه ، فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربها ، الى ان قال ، فاذا اغلق باب التوبة لم تقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك الا ما كانت قبل ذلك فانه يجري لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجري لهم قبل ذلك فذلك قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك ، الى قوله ، خيراً » الحديث بطوله قال بعضهم والحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما قال للنمرود « ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر » وان السحرة والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك و يقولون هو غير كائن — اطلعها الله تعالى يوماً من المغرب ليُرِي المنكرين عظيم قدرته و باهر حكمته وان الشمس في ملكه ان شاء اطلعها من المشرق او المغرب او لا ولا * والذي يظهر والله تعالى اعلم ان اول الآيات خروج المهدي ، ثم الدجال ، ثم نزول عيسى ، ثم خروج يأجوج ومأجوج ، ثم هدم الكعبة ، ثم الدخان ، ثم ارتفاع القرآن ثم طلوع الشمس . ويحتمل ان طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها في يومها او قريباً منها ، وهذا هو النسق الذي مشينا عليه واخترناه .

﴿ العلامة التاسعة ﴾ خروج دابة الارض واليها الاشارة بقوله (كذات) اي صاحبة (اجياد) واجياد اسم ارض بمكة او جبل بها وقوله (على) القول (المشهور) من اضافتها الى اجياد لكونها تخرج منه * والحاصل ان في المحل الذي تخرج منه الدابة اقوالاً من اشهرها اجياد كما اشرنا اليه وقد جمع بعضهم بين الروايات بان الدابة ثلاث خرجات ففي بعض خرجاتها تخرج من مدينة قوم لوط وفي بعضها تخرج من بعض اودية تهامة والمرة الثالثة تخرج من مكة وهي من كبرها وعظم جثتها وطولها يمكن ان تخرج من بين المروة والصفا واجياد فانها تمتد مقدار ثلاثة ايام واكثر وحينئذ يصدق عليها انها خرجت من المروة ومن الصفا ومن اجياد ومن المسجد ومن البادية التي بقرب مكة وجمع بعضهم بانها تخرج من جميع تلك الاماكن في آن واحد خرقاً للعادة في صور متباينة ومنها عصى موسى وخاتم سليمان عليهما

السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب * اذا علمت ذلك فخروج الدابة المذكورة ثابت بالكتاب والسنة ، اما الكتاب فقوله تعالى « واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » واما السنة فكثيرة منها ما اخرجه الامام احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصى موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر [1] بالخاتم حتى ان اهل الخوان [2] ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر » وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان لها عنقاً مشرفا اي طويلاً يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب ، ولها وجه كوجه الانسان ومنقار كمنقار الطير ذات وبر وزغب فيها من الوان الدواب كلها وفيها من كل امة سيمة وسيماها من هذه الامة انها تكلم الناس بلسان عربي مبين وتكلمهم بكلامهم .

❊ العلامة العاشرة ❊ خروج النار التي تخرج من قعر عدن تحشر الناس الى محشرهم واشار اليها بقوله

❊ وآخر الايات حشر النار كما اتى في محكم الاخبار ❊

(وآخر الايات) العظام (حشر النار) للناس من المشرق الى المغرب ومن اليمن الى مهاجر ابراهيم عليه السلام وهو ارض الشام (كما اتى) ذلك مصرحاً به (في محكم الاخبار) اخرج الامام احمد والترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً « ستخرج نار من حضرموت او من بحر حضرموت قبل يوم القيمة تحشر الناس قالوا يا رسول الله فما تأمرنا قال عليكم بالشام » واخرج الطبراني وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً « لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة في واد يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب اليم تأكل الانفس والاموال تدور الدنيا كلها في ثمانية ايام تطير طير الريح والسحاب حرها بالليل اشد من حرها بالنهار ولها بين السماء والارض دوي كدوي الرعد القاصف

---

(١) اي تصيب خطمه وهو مقدم الانف والفم (٢) الخوان بالكسر هو الذي يؤكل عليه والضم لغة فيه ا ه ش

هي من رؤوس الخلائق ادنى من العرش قيل يا رسول الله اسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات قال وابن المؤمنون والمؤمنات يومئذ شر من الحمر يتسافدون كما تتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول مه مه »

(تنبيه) ثبت بالسنة الصحيحة ان اهل الارض يكفرون و يعبدون الاوثان وانه لا تقوم الساعة الا على شرار الناس فقد اخرج الامام احمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « تجيء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام فلا تبقي على وجه الارض احداً في قلبه مثقال ذرة من ايمان الا قبضته حتى لو ان احدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير واحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقولون ما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان فيعبدونها وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور* قال القرطبي في تذكرته عن بعض العلماء اذا اراد الله تعالى انقراض الدنيا وتمام لياليها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم وتقيل حتى يجتمع الخلق بالمحشر الانس والجن والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وخشاش الارض وكل ذي روح ، ثم ذكر النفخة .

❋ فكلها صحت بها الاخبار   وسطرت اثارها الاخيار ❋

(فكلها) اى اشراط الساعة المذكورة (صحت بها الاخبار) عن النبي المختار واصحابه الابرار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار (و) كلها قد (سطرت) اي كتبت (اثارها) مفعول سطرت اي الآثار الدالة عليها والمتضمنة لاثباتها ومجيئها (الاخيار) فاعل سطرت .

فصل في امر المعاد

اعلم ان المعاد الجسماني حق واقع دل عليه النقل الصحيح ولم يمنعه العقل فوجب الايمان والتصديق بموجبه ، وهوان يبعث الله تعالى الموتى من القبور بان يجمع اجزاءهم الاصلية ويعيد الارواح اليها لقوله تعالى « قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو

بكل خلق عليم » الى غير ذلك من النصوص القرآنية القطعية والاحاديث النبوية وقد انكره الطبايعيون والدهرية والملحدة وفيه تكذيب للنقل الصحيح والعقل الصريح وانكرت الفلاسفة المعاد الجسماني بناء على امتناع اعادة المعدوم بعينه ووافق المعتزلة اهل الحق على المعاد الجسماني ، وللمتكلمين في جواز اعادة الاعراض قولان جواز اعادتها وهو الحق لأنه تعالى على كل شيء قدير والثاني قول الفلاسفة ومن وافقهم من المعتزلة قال

واجزم بامر البعث والنشور   والحشر جزما بعد نفخ الصور

(واجزم) جزم ايقان واذعان واعتقاد (بامر البعث) بعد الموت (والنشور) من القبور (والحشر) لأجل الجزاء وفصل القضاء (جزما) مصدر مؤكد وذلك كله واقع (بعد نفخ الصور) المراد نفخة البعث * وحاصل ماذكر في هذا البيت اربعة اشياء البعث والنشور والحشر والنفخ في الصور ، اما البعث فالمراد به المعاد الجسماني فانه المتبادر عند الاطلاق اذ هو الذي يجب اعتقاده ويكفر منكره قال الجلال الدواني هو باجماع اهل الملل وبشهادة نصوص القرآن بحيث لا يقبل التأويل وقد اخرج ابن جرير وابن المنذر وابو حاتم والاسماعيلي في معجمه والحافظ الضياء في المختارة وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته بيده فقال يامحمد يحيي الله هذا بعد ما أرم (١) قال « نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم » فنزلت الآيات من آخر يس اولم ير الانسان الى آخر السورة . وهذا نص صريح في الحشر الجسماني يقلع عرق التأويل بالكلية ، واما النشور فهو يرادف البعث في المعنى يقال نشر الميت اذا عاش وانشره الله احياه ، واما الحشر فهو في اللغة الجمع والمراد به جمع أجزاء الانسان بعد التفرق ثم احياء الابدان بعد موتها * واعلم انه يجب الجزم شرعاً ان الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بعد ايجادهم بجميع اجزائهم الاصلية وهي التي من شأنها البقاء من اول العمر الى آخره ويسوقهم الى محشرهم لفصل القضاء فان هذا حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع سلف الامة

---

(١) قوله ارم اي بلي

فمن زعم عدم اعادة المعدوم الزم بالمبدأ فان المعاد مثل المبدأ بل هو عينه او أيسر كما لايخفى لأنه اما ايجاد ما انعدم او جمع ماتفرق او حيي بعد ما أميت وهذه كلها ممكنة لااحالة في شيء في ذلك اصلا مع ما تواتر من اخبار الانبياء والكتب السماوية ولا سيما في القرآن العظيم مالا مزيد عليه [تنبيهان] الاول اختلف الناس هل البعث اعادة بعد تفريق او ايجاد بعد معدوم قال العلامة الشيخ مرعي قال العلماء ان الله تعالى يجمع ما تفرق من اجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء و بطن الارض وما اصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق ، واما ما ابلته الشمس وذرته الرياح فاذا جمعها واكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فارسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح الى جسدها فاذا هم قيام ينظرون . والحاصل ان اعادة الاجسام حق يجب الايمان به ثم هذه الاعادة هل هي للعدم المحض او التفريق المحض والمشهور انه جمع متفرق والاصح انه ايجاد بعد عدم ونص عليه علماء السنة وكذا المعتزلة وهو مذهب المحققين [الثاني] اختلف في اعادة الاعراض التي كانت قائمة بالاجساد في الدنيا فمذهب الاكثرين انها تعاد باشخاصها التي كانت قائمة بالجسم حال الحياة واليه ميل الاشعري من غير فرق فيها بين الاعراض التي يطول بقاء نوعها كالبياض وبين غيرها كالاصوات وسواء كان مقدورا للعبد كالضرب اولا كالعلم والجهل لأن نسبتها الى قدرته تعالى كنسبة الاعيان وقد قام الدليل على اعادتها فكذا اعراضها وقيل تمتنع اعادة الاعراض مطلقا كما ذهب اليه بعض الاشاعرة وذهب اكثر المعتزلة الى امتناع الاعراض التي لا تبقى كالاصوات والارادات ، وقد نقل الاجماع غير واحد من العلماء من آخرهم العلامة الشيخ مرعي وغيره من اهل السنة ان الاجساد الدنيوية تعاد باعيانها واعراضها والله تعالى اعلم — واما النفخ في الصور فالمراد به نفخة البعث والنشور * واعلم ان النفخ في الصور ثلاث نفخات [الاولى] نفخة الفزع وهي التي يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه ، وهي المشار اليها في قوله تعالى « ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله » وانما يحصل الفزع لشدة ما يقع من هول تلك النفخة ، فقد اخرج ابن جرير والطبراني في المطولات وابو يعلى في مسنده والبيهقي في البعث وابو موسى المديني في

المطولات وابو الشيخ عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قلت يا رسول الله وما الصور قال القرن قلت اي شيء هو قال عظيم ان عظم دارة فيه كعرض السماء والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فينفخ فيفزع اهل السماء والارض الا من شاء الله فيأمره فيمدها ويطيلها ولا يفتر ، وهي التي يقول الله تعالى « وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق (١) فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترتج الارض باهلها رجاً فتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الامواج او كالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الارواح (٢) ، وهي التي يقول الله تعالى « يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة » فتميل الارض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الاقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا ، وهو الذي يقول الله تعالى « يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم » فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض فانصدعت من قطر الى قطر فرأوا امراً عظيما ثم نظروا الى السماء فاذا هي كالمهل ثم انشقت فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها والاموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك قلت يا رسول الله من استثنى الله تعالى في قوله « الا من شاء الله » قال اولئك الشهداء وانما يتصل الفزع الى الاحياء وهم احياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه الحديث » * [النفخة الثانية] نفخة الصعق وفيها هلاك كل شيء قال تعالى « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله » وقد فسر الصعق بالموت وفي الحديث المتقدم الذي رواه ابن جرير ومن عطف عليه من حديث ابي هريرة رضي

---

(١) بضم الفاء وفتحها اي رجوع ا ه جلالين (٢) ترجحه اي تمرجحه والارواح جمع ريح ا ه ش

الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق اهل السموات والارض الا من شاء الله فيقول ملك الموت قد مات اهل السموات والارض الا من شاء الله فيقول الله وهو اعلم فمن بقي فيقول اي رب بقيت انت الحي القيوم الذي لا يموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وبقيت انا فيقول الله تعالى فليمت جبريل وميكائيل فيموتان ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله تعالى فليمت حملة العرش فيموتون ويأمر الله العرش ان يقبض الصور من اسرافيل ثم يقول ليمت اسرافيل فيموت ثم يأتي ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات حملة العرش فيقول وهو اعلم فمن بقي فيقول بقيت انت الحي الذي لا يموت وبقيت انا فيقول انت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار طوى السماء والارض كطي السجل للكتاب وقال انا الجبار لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلم يجبه احد ثم يقول لنفسه لله الواحد القهار وتبدل الارض غير الارض والسموات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الاديم لا ترى فيها عوجا ولا امتا[1] الحديث » * النفخة الثالثة نفخة البعث والنشور وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها كقوله تعالى « ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون » وقوله « ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون » وقوله تعالى « واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق الآية » قال المفسرون المنادي هو اسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء * وقيل ينفخ اسرافيل وينادي جبريل والمكان القريب صخرة بيت المقدس وبين النفختين اربعون عاما ، وفي تفسير الثعلبي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً « ان الله تعالى يرسل مطراً على الارض فينزل عليها اربعين يوما حتى يكون[2] فوقهم اثني عشر ذراعا فيأمر الله تعالى الاجساد ان تنبت كنبات البقل حتى اذا تكاملت اجسادهم كما كانت قال الله تعالى ليحي حملة العرش ليحي جبريل وميكائيل وعزرائيل ثم يأمر الله تعالى اسرافيل

---

(١) اي انخفاضا ولا ارتفاعا (٢) اي المطر المجموع ١٠ ش

فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يدعوالارواح فيوءتى بهافتوهج ارواح الموءمنين نوراً والاخرى ظلمة فيقبضها جميعاً ثم يلقيها في الصور ثم يأمره ان ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كلها كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض ثم يقول الله تعالى وعزتي وجلالي لترجعن كل روح الى جسدها فتدخل الارواح من الخياشيم ثم تمشي مشي السم في اللديغ ثم تشقق الارض عنهم سراعا فانا اول من تنشق عنه الارض فيخرجون منها الى ربكم تنسلون » وروى الامام احمد وابن حبان في صحيحه من حديث ابي سعيد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يأكل التراب كل شيء من الانسان الا عَجْب ذنبه قيل وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه تنبتون »

﴿ كذا وقوف الخلق للحساب　　والصحف والميزان للثواب ﴾

(كذا) اي كما يجب الجزم بالبعث والنشور والحشر بعد النفخ في الصور يجب ان نجزم بامر (وقوف الخلق) من الانس والجن والدواب والطير وغيرهم قال تعالى « وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا » والحاصل ان الله تعالى يجمع في ذلك اليوم الاولين والآخرين حتى لا يدري الشخص اين يضع قدمه لشدة الزحام * واعلم ان ليوم الوقوف اهوالا عظيمة وشدائد جسيمة تذيب الاكباد ، وتذهل المراضع وتشيب الاولاد ، وهو حق ثابت ورد به الكتاب والسنة وانعقد عليه الاجماع وهو يوم القيمة ، روى ابو يعلى باسناد صحيح وابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « يوم يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين الف سنة فيهون ذلك على الموءمن كتدلي الشمس للغروب الى ان تغرب » قيل انما سمي يوم القيمة لقيام الملائكة والروح فيه صفا ، واخرج الشيخان عن ابي هريره رضي الله تعالى عنه مرفوعاً « يعرق الناس يوم القيمه حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا و يلجمهم حتى يبلغ آذانهم » واخرج مسلم عن المقداد رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا كان يوم القيمة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل او ميلين قال

فتصهرهم (١) الشمس فيكونون في العرق كقدر اعمالهم منهم من يأخذه الى عقبه ومنهم من يأخذه الى حقويه (٢) ومنهم من يلجمه الجاما ، قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الارض كلها نار يوم القيمة والجنة من ورائها كواعبها واكوابها (٣) قال الحفاظ قد صح ان الفقراء يدخلون الجنه قبل الاغنياء بخمسمائة عام فيكونون قد سلموا من تلك الاهوال . وهذا الوقوف مع مامر (للحساب) الثابت بالكتاب والسنة واجماع اهل الحق قال تعالى « فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون » وقال في حق اعدائه « اولئك لهم سوء الحساب — فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » والحساب اصطلاحا توقيف الله تعالى عباده قبل الانصراف من المحشر على اعمالهم خيرا كانت او شرا تفصيلا لا بالوزن الا من استثني منهم ، اخرج الترمذي من حديث ابي برزة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسئل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه ».

❊ تنبيهات ❊ الاول كيفيات الحساب مختلفة واحواله متباينة فمنه العسير ، ومنه اليسير ، ومنه العدل والجهد ، ومنه التكريم ، ومنه التوبيخ والتبكيت ، ومنه الفضل والصفح ، ومتولى ذلك اكرم الاكرمين وارحم الراحمين (الثاني) اول ما يحاسب العلماء والمغازون وارباب الاموال والسعة واول ما يحاسب عليه العبد الصلاة اخرج النسائي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « اول ما يحاسب عليه العبد صلاته واول ما يقضى بين الناس في الدماء » (الثالث) اختلف في المسئول عنه والمسئول فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن لا اله الا الله وقال الضحاك عن خطاياهم وقال القرطبي عن جميع اقوالهم وافعالهم « ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا » قال النسفي في بحر الكلام الانبياء لاحساب عليهم وكذلك اطفال المؤمنين وكذلك العشرة المبشرون

---

(١) الصهر الاذابة من باب فتح (٢) تثنية حقو وهو موضع الازار (٣) الكواعب الجواري جمع كاعب والاكواب اقداح لاعرى لها جمع كوب . ا . ش

بالجنة هذا في حساب المناقشة . وعموم الايات الكريمه مخصوص باحاديث من يدخل الجنة بغير حساب * ولهذا قال علماؤنا في عقائدهم ويحاسب المسلمون المكلفون الا من شاء الله تعالى ان يدخل الجنة بغير حساب وكل مكلف مسؤل ، ويسأل من شاء من الرسل عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل قال البلباني فالكفار لا يحاسبون يعني ان صحائف اعمالهم لا توزن ، وان فعل كافر قربة من نحو عتق او صدقة او ظلمه مسلم رجونا له ان يخفف عنه العذاب انتهى ولعل مراده غير عذاب الكفر (الرابع) ثبت في عدة اخبار عن النبي المختار صلى الله تعالى عليه وسلم ما كر الليل والنهار ان طائفة من هذه الامة بلا ارتياب يدخلون الجنة بغير حساب ، فقد اخرج الشيخان وغيرها عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « عرضت على الامم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط فرأيت سواداً كثيرا فرجوت ان تكون امتى فقيل لي هذا موسي وقومه ، ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً فقيل لي هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب» فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء ابناؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال انا منهم وفي لفظ ادع الله ان اكون منهم يا رسول الله قال نعم ، ثم قام اخر فقال انا منهم فقال « سبقك بها عكاشه » واخرج الامام احمد وابو يعلى عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعطيت سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين الفا » قال ابو بكر فرأيت ان ذلك يأتي على اهل القرى ويصيب من حافات البوادي * ولما انهينا الكلام على الحساب ثنينا بالعطف على شرح الصحف والميزان المشار الى ذلك في قوله (و) كذا وقوف الخلق لاخذ (الصحف)

جمع صحيفة وهي الكتب التي كتبتها الملائكة واحصوا ما فعله كل انسان من سائر اعماله في الدنيا القولية والفعلية قال الله تعالى « واذا الصحف نشرت » وانما يؤتى بالصحف الزاما للعباد ورفعا للجدال والعناد قال تعالى « فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا و ينقلب الى اهله مسرورا ، واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا [١] ويصلى سعيرا » والحاصل ان نشر الصحف واخذها باليمين والشمال مما يجب الايمان به وعقد القلب بانه حق لثبوته بالكتاب والسنة والاجماع فقد اخرج العقيلي عن انس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « الكتب كلها تحت العرش فاذا كان يوم القيمة يبعث الله ريحا فتطيرها بالايمان والشمائل اول خط فيها « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » [٢] قال قتادة سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا(و) كذا وقوف الخلق لاجل (الميزان) اعلم ان مراتب المعاد البعث والنشور ثم الحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض ثم تطاير الصحف ثم السؤال والحساب ثم الميزان (للثواب)اي ثواب الاعمال الصالحة وغب [٣] السيئات الفاضحه * قال علماؤنا كغيرهم نؤمن بان الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق ، قالوا وله لسان و كفتان توزن به صحائف الاعمال ، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما توزن الحسنات في احسن صورة والسيئات في اقبح صورة قال العلماء اذا انقضي الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال الله تعالى« ونضع الموازين القسط [٤] ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها و كفى بنا حاسبين » والحق ان الكفار لا يقيم الله تعالى لهم وزنا لقوله تعالى « فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا » ومن قال توزن اعمالهم لوروده في ظواهر عموم الآيات والاحاديث يجيب عن الآية الكريمة بانه تعالى لا يقيم لهم وزنا نافعا والحق ان مؤمني الجن كالانس في الوزن و كافرهم ككافرهم ، وقد دلت الآثار على انه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان وصرح بذلك علماؤنا والاشعرية وغيرهم وقد بلغت

---

(١) اي يتنادي هلاكه بقوله ياثبوراه (٢) اي محاسبا (٣) اي عاقبة (٤) اي العادلة

احاديثه مبلغ التواتر وانعقد اجماع اهل الحق من المسلمين عليه ٠

﴿ تنبيهات ﴾ الاول اختلف في الميزان هل هو واحد او اكثر فالاشهر انه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال كفتاه كاطباق السموات والارض، وقيل انه لكل امة ميزان ، وقال الحسن البصري لكل واحد من المكلفين ميزان ، قال بعضهم الاظهر اثبات موازين يوم القيمة لا ميزان واحد لقوله تعالى « ونضع الموازين » وقال بعضهم انما جمع الموازين في الآية الكريمة لكثرة من توزن اعمالهم وهو حسن [الثاني] اختلف في الموزون قيل يوزن العبد مع عمله وقيل توزن نفس الاعمال فتصور الاعمال الحسنة بصورة حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمين المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه وتعالى وتصور الاعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح في الكفة المظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخفف بعدل الله سبحانه وتعالى كما جاء به الحديث ، والحق ما قدمناه ان الموزون صحف الاعمال وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما ، وصرح به الشيخ مرعي في بهجته وذهب اليه جمهور المفسرين [الثالث] ان قيل ما الحكمة في الموزون مع ان الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء اجاب الثعلبي بان الحكمة في ذلك تعريف الله تعالى عباده مالهم عنده من الجزاء من خير او شر ، وقال العلامة الشيخ مرعي بل الحكمة فيه اظهار العدل و بيان الفضل حيث انه يزن مثاقيل الذر من خير او شر « وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجراً عظيما » [الرابع] ظواهر الآثار واقوال العلماء ان كيفية الوزن في الاخرة خفة وثقلا مثل كيفيته في الدنيا ما ثقل نزل الى اسفل ثم يرفع الى عليين وما خف طاش الى اعلى ثم نزل الى سجين و به صرح جموع وذكر بعضهم في صفة الوزن ان تجعل جميع اعمال العباد في الميزان في مرة واحدة الحسنات في كفة النور وهي عن يمين العرش جهة الجنة والسيئات في كفة الظلمة وهي عن يساره جهة النار ويخلق الله تعالى لكل انسان علما ضروريا يدرك به خفة اعماله وثقلها * ولما انتهى الكلام على الوقوف والحساب وتطاير الصحف والميزان للثواب اعقب ذلك بذكر الصراط فقال

﴿ كذا الصراط ثم حوض المصطفى فيا هنا لمن به نال الشفا ﴾

و (كذا) اجزم بثبوت (الصراط) فـانه حق ثابت وهو في الشرع جسر ممدود على متن جهنم يرده الاولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار وخلق من حين خلقت جهنم * قال العلماء الصراط ادق من الشعرة واحد من السيف واحمى من الجمرة فقد اخرج الطبراني باسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة اي مزلقة مزلة اي لا تثبت عليه قدم بل تزل عنه الا من يثبته الله تعالى ، عليه كلاليب من نار تخطف اهلها فتمسك بهواديها [1] و يستبقون عليه باعمالهم فمنهم من شده [2] كالبرق ومنهم من شده كالريح ومنهم من شده كالفرس الجواد ومنهم من شده كهرولة الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشي الرجل وآخر من يدخل الجنة رجل قد لوحته [3] النار فيقول الله له سل وتمن فاذا فرغ قال لك ما سألت ومثله معه ، واخرج ابن عساكر عن الفضل بن عياض قال بلغنا ان الصراط مسيرة خمس عشرة الف سنة ، خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط وخمسة آلاف مستوي (ثم) اجزم بثبوت (حوض) النبي (المصطفى) صلى الله تعالى عليه وسلم فانه حق ثابت باجماع اهل الحق قـال الله تعالى « انا اعطيناك الكوثر » قال السيوطى ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الاربعة الراشدون وحفاظ الصحابة المكثرون وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم ذكر الاحاديث عنهم واحداً واحداً قال القرطبي ذهب صاحب القوت الى ان الحوض بعد الصراط قال والصحيح انه قبله وكذا قال الغزالي ، وقال القرطبي في التذكرة الصحيح ان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا ولا يخطر ببالك ان هذا الحوض يكون على وجه هذه الارض وانما يكون وجوده على الارض المبدلة على مسافات هذه الاقطار وفي المواضع التي تكون بدلا من هذه المواضع في هذه الارض وهي ارض بيضـاء كالفضة لم يسفك عليهـا دم ولم يظـلم على ظهرهـا احد قط ، اخرج الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص

(١) الهوادي هي الجوانب (٢) الشد هو العدو (٣) اي غيرته ا ه ش

رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه [١] كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ ابداً » ومن ثم قال (فيا هنا) قال في القاموس الهناء والمهنأ ما اتاك بلا مشقة وهو هنيء سائغ كأنه يقول ايها الشراب السائغ الهني الاتي بلا مشقة اقبل (لمن) اي على شخص من ذكروانثى (به) اي بسبب الشرب منه (نال) اي اعطي (الشفا) من ظمأ ذلك اليوم والشفاء هو الدواء .

﴿ عنه يذاد المفتري كما ورد ومن نحا سبل السلامة لم يرد ﴾

(عنه) اي عن حوض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الشرب منه (يذاد) بضم التحتية وفتح الذال المعجمة مبني لما لم يسم فاعله اي يطرد (المفتري) نائب الفاعل من الفرية يقال افترى اذا كذب ، اخرج الحكيم في نوادر الاصول عن عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل ان يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيمة » واخرج الطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « ليرفعن لي رجال من اصحابي حتى اذا رأيتهم اختلجوا [٢] دوني فاقول اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك » فهذا معنى قوله (كما ورد) ذلك في الاحاديث مما ذكرنا ومما لم نذكر ، قال القرطبي قال علماؤنا كل من ارتد عن دين الله او احدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذنه به فهو من المطرودين عن الحوض واشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة وكذا الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق واذلال اهله والمعلنون لكبائر الذنوب المستخفون بالمعاصي وجماعة اهل الزيغ والبدع ، ثم الطرد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة ان كان التبديل في الاعمال ولم يكن في العقائد ، (ومن) اي واي شخص من هذه الامة (نحا) اي قصد (سبل) بضم السين المهملة جمع سبيل وهو الطريق (السلامة) من الكلمات الجامعة لخيري الدنيا والاخرة قال في القاموس السلامة البراءة من العيوب يعني ان من نهج منهج الحق وسلك طريق السنة وسلم من

---

(١) جمع كوز (٢) اي اخذوا بسرعة اهـ من الاصل

البدع وكبائر الذنوب فانه يرد على حوض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويشرب منه (ولم يرد) عن الشرب منه ولم يطرد [تنبيهان] الاول خالفت المعتزلة فلم تقل باثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصريحة الصحيحة فكل من خالف في اثباته فهو مبتدع ، واما ثبوته بالقرآن فاحتمال وليس بصريح واما قوله تعالى « انا اعطيناك الكوثر » ففيه اختلاف هل هو الحوض او الخير الكثير او النهر الذي في الجنة لكن الحوض ثابت بالسنة المتواترة وظاهر الكتاب (الثاني) جاء في الاخبار ان لكل نبي حوضاً فأخرج الترمذي من حديث سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا ترده امته وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني ارجو ان اكون اكثرهم واردة ٠

❊ فكن مطيعا واقف اهل الطاعه ٭ في الحوض والكوثر والشفاعه ❊

(فكن) ايها الناظر لنظامي السامع لكلامي (مطيعا) لما جاءت به الاخبار (واقف) امر من قفوته تبعته اي اتبع في اعتقادك (اهل الطاعة) من فرقة اهل السنة والجماعة (في) اعتقاد اثبات (الحوض) الذي تقدم ذكره (و) اقف اهل الطاعة في اثبات (الكوثر) وفي صحيح البخاري عن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك قال فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر (و) اقف اهل الطاعة واتبع اهل السنة والجماعة في (الشفاعة) وهي لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير للغير ٭ واعلم ان للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات الاولى العظمى التي يشفع بها لاهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد ان يتدافعها الانبياء اصحاب الشرائع آدم الى نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وهي المقام المحمود ، وقد وردت من حديث الصديق الاعظم وانس وابي هريرة وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعقبة بن عامر وابي سعيد الخدري وسلمان الفارسي هؤلاء ورد امر الشفاعة في احاديثهم مطولا وورد مختصراً من حديث أبي بن كعب وعبادة بن الصامت وجابر بن عبد الله وعبد الله بن سلام وغيرهم رضي الله تعالى عنهم ٠

﴿ فائدتان ﴾ الاولى هذه الشفاعة العامة التي خص بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بين سائر الانبياء هي المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي » وهذه الشفاعة لاهل الموقف انما هي لأجل حسابهم ويراحوا [1] من الموقف قال السيوطي وحديث لكل نبي دعوة الى اخره متواتر [الثانية] شفاعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نوع من السمعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي وانعقد عليها اجماع اهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها لم ينكرها احد ممن يقول بالحشر اذ هي للاراحة من طول الوقوف حين يتمنون الانصراف من موقفهم ذلك ولو الى النار .

﴿ فانها ثابتة للمصطفى كغيره من كل ارباب الوفا ﴾

﴿ من عالم كالرسل والابرار سوى التي خصت بذي الانوار ﴾

(فانها) اي الشفاعة العظمى وغيرها من الشفاعات الاتي ذكرها (ثابتة للمصطفى) صلى الله تعالى عليه وسلم (كغيره) اي غير نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (من كل ارباب) اي اصحاب (الوفا) بامتثال الاوامر والانتهاء عن الزواجر . ثم اخذ في بيان ما اجمل من ارباب الوفا بقوله (من عالم) عامل بعلمه معلم لغيره وهم الربانيون وهؤلاء ورثة الانبياء كما نفعوا الناس في الدنيا بالدلالة والتعليم ، كذلك ينفعونهم بالشفاعة لهم عند المولى الكريم ، فيقبل شفاعاتهم ، و يعلي درجاتهم ، (كالرسل) جمع رسول وكذا الانبياء (والابرار) جمع بار وهم الاتقياء الاخيار * والحاصل انه يجب ان يعتقد ان غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سائر الرسل والانبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والاولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون وبقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون لثبوت الاخبار بذلك وهو امر جائز غير مستحيل فيجب تصديقه والقول بموجبه لثبوت الدليل ، فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم « انا اول شافع واول مشفع » اخرجه مسلم واخرج البيهقي وابن ماجه عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه

(١) منصوب بان مضمرة اي لأجل حسابهم واراحتهم ا . ش

وسلم قال « يشفع يوم القيمة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء » واخرج البزار في آخره ثم المؤذنون . (١) . والحاصل ان للناس شفاعات والقرآن يشفع لأهله والاسلام يشفع لاهله والحجر الاسود يشفع لمستلمه ولكن لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » (سوى) الشفاعات (التي خصت بذي) اي صاحب (الانوار) نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما دارت الادوار وتعاقب الليل والنهار فلا يشاركه فيها نبي مرسل ولا ملك مقرب لانها مختصة بجنابه الرفيع * والشفاعات المختصة به عدة اولها لفصل القضاء وهي اعظمها * ثانيها يشفع عند ربه في ادخال قوم من امته الجنة بغير حساب . فان هذه ايضاً خاصة به صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله القاضي عياض والنووي وتردد ابن دقيق العيد في الاختصاص وتبعه الحافظ ابن حجر ، وقد روى حديث هذه الشفاعة مسلم في صحيحه ، وجزم بالاختصاص السيوطي *ثالثها شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم في قوم استوجبوا النار باعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها وهذه جزم القاضي وابن السبكي بعدم اختصاصها به صلى الله تعالى عليه وسلم وتردد النووي في ذلك ، وجزم السيوطي بانها من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم * رابعها في رفع درجات ناس في الجنة وهذه لا تنكرها المعتزلة كالاولى الا أن النووي جوز اختصاصها به عليه الصلاة والسلام وجزم في كتاب الانتقاد له باختصاصها به * خامسها الشفاعة في اخراج عموم امته من النار حتى لا يبقى منهم احد ذكره السبكي وبالشفاعة (٢) لجماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات ذكره القزويني

[تنبيه] الشفاعة التي تنكرها المعتزلة هي فيمن استحق النار من المؤمنين ان لا يدخلها وفيمن دخلها منهم ان يخرج منها فكذبت بها المبتدعة ونفتها مع ثبوت ادلتها

—※ فصل في الكلام على الجنة والنار ※—

ولما انتهى الكلام على الشفاعة اعقب ذلك بذكر العظيمتين وهما الجنة والنار فقال

---

(١) اي المحتسبون لان الاخبار التي وردت في فضلهم انما يراد بها من اذن محتسبا ا . ش (٢) كذا ولعل الباء زائدة . ج

﴿ وكل انسان وكل جنه ... في دار نار او نعيم جنه ﴾
﴿ هما مصير الخلق من كل الورى ... فالنار دار من تعدى وافترى ﴾

(وكل انسان) من بني آدم (وكل جنة) بكسر الجيم وتشديد النون طائفة الجن والجان اسم جمع للجن اي كل واحد من الثقلين اللذين هما الانس والجن لا بد ان يكون (في) احدى الداوين اما في (دار نار) وهي دار البوار ومقر الكفار وهي جسم لطيف محرق يطلب العلو ، والنار سبع طباق اعلاها جهنم فلظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ... و باب كل واحدة منها من داخل الاخرى على الاستواء كما قاله ابن عطية وغيره (او) في دار (نعيم) مقيم ، في (جنة) المولى الكريم ، فكل واحدة من الجنة والنار حق ثابتة بالكتاب والسنة واجماع الامة وكل ما هو كذلك فالايمان به واجب واعتقاد وجوده حق والمراد من الجنة دار الثواب ومن النار دار العقاب (هما) اي الجنة والنار (مصير الخلق) من الانس والجن بل ومن الملائكة فانهم يكونون في الجنة (من كل الورى) الخلق (فالنار) التي هي دار الهوان والبوار فهي (دار من) اي كل شخص من انس وجن (تعدى) طوره وخالف مولاه فكفر به او باحد من رسله او بكتاب من كتبه او بشرع شرعه على لسان نبي بعثه ولم ينسخه (وافترى) فيما عبد واجترى فيما قصد ، فكل من حكم الشرع بكفره من كافر اصلي من اهل الشرك وعبدة الاوثان ، والكواكب والنيران ، واهل الشرائع المنسوخة بعد النسخ والتبديل ، من اهل التوراة والانجيل فهم خالدون مخلدون في النار

﴿ ومن عصى بذنبه لم يخلد ... وان دخلها يا بوار المعتدى ﴾
﴿ وجنة النعيم للابرار ... مصونة عن سائر الكفار ﴾

(ومن) اى وكل عبد مؤمن بالله تعالى ورسوله ولو مبتدعا لم يحكم الشرع بكفره (عصى) بمخالفة ربه وتعدى حدوده (بذنبه) ولو كان ذنبه من اكبر الكبائر كالقتل والزنا واكل الربا ومات على الايمان ولو لم يتب (لم يخلد) في النار (وان

دخلها) ليتطهر من الاوزار فانه يخرج منهـا اما بشفاعة الشافعين او رحمة ارحم الراحمين (يابوار) اي ياهلاك (المعتدي) اشارة الى تقبيح ما ذهبت اليه المعتزلة من زعمهم ان من دخل النار فهو خالد فيها لأنه اما كافر او صاحب كبيرة مات بلا توبة على ما سبق من اصولهم وتقدم الكلام على ذلك بما فيه كفاية (وجنة النعيم) اعلم ان للجنة عدة اسماء باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه ، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه فالاسم العام الجنة المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من النعيم ومن اسماء الجنة جنات النعيم وقوله (للابرار) اشارة الى ان هذه اللام لام الاختصاص والاستحقاق فلا يدخلها ويسكنها غيرهم والابرار جمع بار وهو كثير البر والبر اسم جامع للخير وقد ذكر الله تعالى في كتابه عدة آيات يخص الجنة باهل الايمان والتقوى كقوله تعالى « اعدت للمتقين — وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار » وهذا في القرآن كثير ومداره على ثلاث قواعد ايمان وتقوى وعمل خالص لله عز وجل على موافقة السنة ، فاهل هذه الثلاثة هم الابرار وهم اهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق (مصونة) اي جنة النعيم محفوظة ومحمية (عن سائر) اي جميع (الكفار) فالجنة لا تدخلها الا نفس مؤمنة باجماع اهل الحق

❊ واجزم بان النار كالجنة في وجودها وانها لم تتلف ❊

(واجزم بان النار) وما فيها من انواع العذاب موجود الآن ومن قبل الآن (كالجنة) وما فيها من النعيم (في وجودها) الآن فهما موجدتان * قال المحقق لم يزل اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهم والتابعون وتابعوهم واهل السنة قاطبة على اعتقاد ذلك واثباته مستندين الى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من اخبار الرسل كلهم من اولهم الى آخرهم فانهم دعوا الامم اليها واخبروا بها الى ان نبعت نابعة من القدرية والمعتزلة فانكرت ان تكون الجنة كالنار الآن مخلوقة وقالوا بل الله تعالى ينشئهما يوم المعاد وحملهم على ذلك اصلهم الفاسد وقالوا خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة ، ولهذا صار السلف الصالح ومن نحا نحوهم يذكرون في عقائدهم ان الجنة والنـار

مخلوقتان وقد رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سدرة المنتهى ورأى عندها الجنة كما في الصحيحين في صفة الاسراء وفي آخره قال ثم دخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك • وقد رأى صلى الله تعالى عليه وسلم الجنة في صلاة الكسوف حتى هم ان يتناول عنقوداً من عنبها ورأى النار فلم ير منظراً افظع من ذلك وهذا في الصحيحين ايضاً (و) اجزم ايضاً بـ (انها) اي النار (لم تتلف) اي لم تهلك وتبيد يعني ان النار لا تفنى ولا يفنى ما فيها كالجنة وما فيها قال المحقق اما ابدية الجنة وانها لا تفنى ولا تبيد فما يعلم بالاضطرار ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر به قال تعالى « واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » اي غير مقطوع ولا تنافي بين هذا و بين قوله الا ما شاء ربك ، نعم اختلف السلف في هذا الاستثناء فقال الضحاك هو في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه انهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والارض الا مدة مكثهم في النار وقالت فرقة اخرى المراد بالسموات والارض سماء الجنة وارضها وهما باقيتان ابداً وقيل غير ذلك ، وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد الخدرى رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « يجاء بالموت في صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يااهل الجنة فيطلعون مشفقين و يقال يااهل النار فيطلعون فرحين فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار و يقال يااهل الجنة خلود ولا موت فيها و يااهل النار خلود ولا موت فيها ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون واشار بيده الى الدنيا » وفي هذا عدة احاديث وعلى هذا اجماع اهل السنة والجماعة فاجمعوا على ان عذاب الكفار لا ينقطع كما ان نعيم اهل الجنة لا ينقطع ودليل ذلك الكتاب والسنه ، وزعمت الجهميه ان الجنة والنار يفنيان وقال هذا امامهم وليس له في ذلك سلف قط نعم حكى بعض العلماء في ابدية النار قولين * وقد ألف العلامة الشيخ مرعي الحنبلي رسالة توقيف الفريقين على خلود اهل الدارين

[تنبيه] ذهب جماعة الى ان الموت عرض ومعنى والاعراض لا تنقلب اجساماً

بل زعم بعضهم ان الموت عدم محض واجابوا عن قوله تعالى « خلق الموت والحياة» بان الخلق في هذه الآية التقدير ، فان قيل فعلى هذا كيف يأتي الموت في صورة كبش فيذبح فالجواب نقل الحكيم الترمذي ان مذهب السلف في هذا الحديث الوقوف عن الخوض في معناه فنؤمن به ونكل علمه الى الله تعالى ، وذهب جماعة الى ان الموت جسم لا عرض وانه مخلوق في صورة كبش والحياة في صورة فرس قال الاشعري الموت امر وجودي لقوله تعالى « خلق الموت والحياة » والعدم لا يخلق انتهى وقال مقاتل والكلبي خلق الموت في صورة كبش لا يمر على احد الا مات وخلق الحياة في صورة فرس لا يمر على شيء الا حيي * قلت الذي نذهب اليه ان الموت امر وجودي وانه جسم لا عرض وانه مخلوق في صورة كبش املح وان الحياة في صورة فرس كما صحت بذلك الاخبار ، على ان كثيراً من العلماء اشار الى ان جميع المعاني المعقولة عندنا مصورة عند الله تعالى بصور الاجسام ومشخصة بهيئة الاشخاص وان كنا لا نحس ذلك لكوننا محجوبين عنه والاحاديث النبوية ناطقة بذلك فانه قد ورد في عدة اخبار ان الاعمال تعرض في صورة اشخاص الاسلام والصلاة والصيام والمعروف والذكر فهذا كله يدل على ما ذكرنا .

[تتمة] في ذكر مكان الجنة والنار واين هما ، اعلم ان الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن كما قال جل شأنه « ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » وقد ثبت ان سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فوق السماء السابعة وسميت بذلك لانها ينتهي اليها ما ينزل من عند الله تعالى فيقبض منها وما يصعد اليه فيقبض منها ، وقد اخرج ابو نعيم عن عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه قال قال اكرم خليقة الله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم « ان الجنة في السماء » وقال مجاهد قلت لابن عباس رضي الله تعالى عنهما اين الجنة قال فوق سبع سموات قلت فاين النار قال تحت سبعة ابحر مطبقة رواه ابن منده وفي الصحيحين انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض » وهذا يدل على انها في

غاية العلو والارتفاع . قال في حادي الارواح والجنة مقببة اعلاها اوسعها ووسطها الفردوس وسقفه العرش ، واخرج ابو نعيم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان جهنم محيطة بالدنيا وان الجنة وراءها » فلهذا كان الصراط على جهنم طريقا الى الجنة ، واخرج جو يبر في تفسيره عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اين يجاء بجهنم يوم القيمة قال يجاء بها من الارض السابعة لها سبعون الف زمام معلق بكل زمام سبعون الف ملك تصيح الى اهلي الى اهلي فاذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه يقول رب نفسي نفسي ، وقيل ان النار في السماء كالجنة . والحاصل ان الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش وان النار في الارض السابعة على الصحيح المعتمد و بالله تعالى التوفيق . ولما انهى الكلام على الجنة والنار اعقب ذلك بقوله :

﴿ فنسأل الله النعيم والنظر   لربنا من غير ماشين غبر ﴾

﴿ فانه ينظر بالابصار   كما اتى في النص والاخبار ﴾

(فنسأل الله) العظيم (النعيم) المقيم في جنات النعيم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (و) نسأل الله العظيم (النظر لربنا) مع اهل الطاعة والنجاة يوم القيمة (من غير ما) زائدة لمزيد النفي اي من غير (شين) اي عذاب ومناقشة حساب وتو بيخ وعتاب والشين ضد الزين والمشاين المعايب (غبر) اي ذهب والمراد سبق يعني من غير سابق عذاب واما النظر الى مولانا الكريم فهو من اصول اهل الحق خلافا لاهل الضلال ومن ثم قال (فانه) سبحانه وتعالى (ينظر بالابصار) في دار المقامة والقرار باتفاق ائمة الدين وسلف الامة (كما اتى) اي جاء (في النص) القرآني ، اصل النص اقصى الشيء وغايته ومنه قول الفقهاء نص القرآن ونص السنة اي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الاحكام (و) كما اتى في (الاخبار) النبوية والآثار السلفية واجمع عليه اهل الحق * ورؤية الله رب العالمين اعظم واجل واشرف وانعم نعيم الجنة قدرا وهي الغاية

القصوى التي شمر لها السابقون وتنافس فيها المتنافسون واتفق الانبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وائمة السلف والدين على ثبوتها في دار القرار من غير شك ولا انكار قال الله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » وقال في حق اهل الكفر « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » ، واخرج مسلم والترمذي وابن ماجه عن صهيب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا هذه الاية « للذين احسنوا الحسنى وزيادة » يعني انه يرفع الموانع عن الادراك عن ابصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال فذكر الحجاب انما هو في حق الخلق لا الخالق كذا قال القرطبي في تذكرته ، واخرج اللالكائي في السنة من طريق مفضل بن غسان قال سمعت يحيى بن معين يقول عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية كلها صحاح ولهذه الاخبار اشار بقوله :

❊ لأنه سبحانه لم يحجب الا عن الكافر والمكذب ❊

(لأنه) اي الرب (سبحانه) وتعالى (لم يحجب) بضم التحتية مبنيا لما لم يسم فاعله اي لم يمتنع سبحانه وتعالى من ان يمكن عباده من رؤيته في دار القرار (الا عن الكافر) بالله سبحانه وتعالى فكل من حكم الشرع بكفره فهو محجوب عن رؤية ربه (و) يحجب ايضا تعالى عن (المكذب) برؤيته وبتكليمه لعباده المتقين كما اشار اليه عبد الله بن المبارك في قوله تعالى « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون » قال بالرؤية كما ذكره ابن ابي الدنيا وقال سيدنا الامام احمد من لم يقل بالرؤية فهو جهمي .

❊ فوائد ❊ الاولى قال العلامة ابن حمدان كسائر علماء السنة : ونجزم بان المؤمنين يرون ربهم تعالى يوم القيمه بالابصار ويكلمهم على ما يليق به فيها ولا يراه الكفار ولا يكلمهم ومن أنكر الرؤية كفر نص عليه الامام احمد انتهى . وفي حادي الارواح الرب سبحانه وتعالى يُرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو

الذي فهمه الصحابة والائمة رضي الله تعالى عنهم من قوله تعالى « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار » [الثانية] ذهب جماعة من العلماء الى ان النساء لا يرين الله تعالى في الآخرة وذهب جماعة الي ان الملائكة لا يرون الله تعالى ايضــا في الجنة وهذا خلاف التحقيق فان النص الصريح الصحيح يرد هذا و يبعده فعند الدارقطني مرفوعا « اذا كان يوم القيمة رأى المؤمنون ربهم عزوجل فاحدثهم عهداً بالنظر اليه في كل جمعة ويراه المؤمنات يوم الفطر و يوم الاضحى » اي في مثل يوم الفطر والاضحى وعموم الاحاديث الصحيحة شاملة للنساء من غير توقف * وقد نص البيهقي فقال في كتاب الرؤية : ذكر ما جاء في رؤية الملائكة ربهم فاخرج عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال خلق الله الملائكة لعبادته اصنافا وان منهم لملائكة قياما صافين من يوم خلقهم الى يوم القيمة وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم الى يوم القيمة فاذا كان يوم القيمة تجلى لهم تبارك وتعــالى فاذا نظروا الى وجهه الكريم قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ، والحق الذي لا مرية فيه انهم يرونه تعالى بل ومؤمنوا الجن يرونه اما في الموقف فجزماً مع سائر المؤمنين واما في الجنه ففي بعض الاوقات على مايظهر بل الظاهر انهم يرونه الا انهم دون مؤمني الانس في الرؤية في كل جمعة * والحــاصل ان رؤية الرب جل جلاله في الموقف حاصلة حتى لمنافقي هذه الأمة على الاصح ، واما الرؤية في الجنة فاجمع اهل السنة على انها حاصلة للأنبياء والرسل والصديقين من كل امة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الامة واختلف في غيرهم [الثالثة] اختلف العلماء في رؤية خاتم الانبياء لربه في ليلة المعراج فاثبتها ابن عبــاس رضي الله تعالى عنهما ورجحه النووي ، وقال القاضي عياض واما في الدنيا فقال مالك انما لم ير سبحانه في الدنيا لانه باق والباقي لا يرى بالفاني فاذا كان في الاخرة رزقوا ابصاراً باقية فرأوا الباقي بالباقي قالــــ القــاضي وليس في الكلام استحالة الرؤية الا من حيث القدرة فاذا اقدر الله من يشاء من عباده عليها لم يمتنع ، وقد وقع في صحيح مسلم مايؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه : واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا • لكن من اثبتهــا للنبي صلى الله عليه وسلم له ان يقول المتكلم لا يدخل في

عموم كلامه * والحاصل ان في هذه المسئلة ثلاثة اقوال [احدها] ثبوت روءية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لربه وهو قول ابن عباس واتباعه وهو ظاهر ما ذهب اليه الامام احمد [الثاني] منع ذلك في الدنيا وهو قول ام المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما ، ووافق عائشة رضي الله تعالى عنها جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم [الثالث] الوقف عن القطع بالنفي او الاثبات في هذه المسئلة وقد رجح هذا جماعة منهم القرطبي في شرح مسلم فانه قال الوقف ارجح وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وليست المسئلة من العمليات وانما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها الا بالدليل القطعي ٠

الباب الخامس

في ذكر النبوة وذكر نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر بعض الانبياء وفضله وفضل اصحابه وامته صلى الله تعالى عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين وسلم وعظم وكرم * اعلم ان حاجة الخلق الى ارسال الرسل وبعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورية لا ينتظم لهم حال ولا يصلح لهم دين ولا بال الا بذلك فهم اشد احتياجاً الى ذلك من ارسال المطر والهواء بل ومن النفس الذي لا بد لهم منه وزعمت البراهمة وهم طائفة من المجوس ان ارسال الرسل عبث لاغناء العقل عن الرسل وقالت المعتزلة بوجوب ذلك على الله تعالى بالنظر الى ذاته ٠ والحق انه جائز عقلا في حقه تعالى واجب سمعا وشرعاً والى ذلك اشار بقوله :

ومن عظيم منة السلام	ولطفه بسائر الانام
ان ارشد الخلق الى الوصول	مبينا للحق بالرسول

(ومن عظيم منة) الرب (السلام) المنة مأخوذة من المن وهو الاحسان الى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه ومن اسماء الله تعالى المنان وهو المنعم المعطي من المن وهو العطاء والسلام من اسمائه تعالى ومعناه ذو السلامة من كل عيب ونقيصة (و) من عظيم (لطفه) تعالى اي رفقه (بسائر) اي جميع (الانام) كسحاب الخلق (ان) بفتح الهمزة وسكون النون حرف مصدري تسبك مع ما بعدها بمصدر (ارشد)

اي هدى ودل ودعا والرشد الاستقـامة على طريق الحق مع تصاب فيه وان وما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ والخبر قوله في البيت قبله ومن عظيم الى آخره والتقدير رشد الخلق الى الوصول كائن من عظيم منة السلام (الخلق) من الثقلين الانس والجن (الى الوصول) الى معرفة الله تعالى وعبـادته والقيام بما شرعه من التكليف الذي ثمرته الفوز بالسلامة الأبدية (مبينا) اي مظهراً وموضحاً (للحق) وهو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك و يقابله الباطل ، واما الصدق فقد شاع في الاقوال ويقابله الكذب و يفرق بين الحق والصدق بان المطـابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع والصدق من جانب الحكم فعلى هـذا معنى صدق الحكم مطابقته الواقع ومعنى حقيته مطابقة الواقع اياه والمشهور فيهما مطابقة كل واحد منهما للواقع (بالرسول) متعلق بمبين ، سئل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما في صحيح ابن حبان عن عدد الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفاً الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وفي رواية واربعة عشر ، والاولى عدم حصرهم في عدد معين لأن الحديث ضعيف واولوا العزم منهم خمسة محمد وابراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام .

[تنبيهات] الاول في قوله ومن عظيم منة السلام الى آخر البيتين اشارة الى ان ارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرائع منة من الله تعالى وفضل لا واجب عليه ذلك وانما هو على سبيل اللطف بالخلق ليبلغوهم عنه تعالى امره ونهيه ووعده ووعيده و يبينوا لهم عنه سبحانه ما يحتاجون اليه من امور المعاش والمعاد حتى تقوم الحجة عليهم بالبينات و ينقطع عنهم سائر التعللات كما قال تعالى « ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى » وقوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » وقوله « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » فلولا اعذاره تعالى اليهم على السنة الرسل واقامة الحجة عليهم ببعثه اهل خيرته من ذوي النبوة والفضل لتوهموا ان لهم حجة سائغة ومعذرة بالغة لوجوه احدها ان يقولوا انما خلقنا ربنا لعبادته وما بين لنا العبادة التي يريدها منا ما هي ولا كيف هي ، ثانيها ان يقولوا قد ركبنا ربنا في هيا كل واجسام تقبل

السهو والغفلة وسلط علينا الشيطان والشهوة والهوى فكان ينبغي ان يؤيدنا بمن اذا سهونا نبهنا واذا مال بنا الهوى ردنا ، ثالثها ان يقولوا هب انا نعلم بعقولنا حسن الايمان وقبح الكفر والعصيان لكنا لم يصل ادراك عقولنا الى ان من فعل القبيح عذب [التنبيه الثاني] ان الرسالة ضرورية للعباد فان الرسالة روح العالم ونوره وحياته والدنيا مظلمة ملعونة الا ما طلعت عليه شمس الرسالة فمن اعظم نعم الله تعالى على عباده ان ارسل اليهم رسله ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الانعام وشر حالاً منها فمن قبل رسالة الله تعالى واستقام عليها فهو من خير البرية ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية ولا بقاء لأهل الارض الا ما دامت آثار الرسالة موجودة فيهم فاذا درست اخرب الله العالم واقام القيامة [الثالث] اعلم ان الايمان بالله سبحانه وتعالى وملائكته وكتبه ورسله مما اتفقت على وجوبه جميع الانبياء والمرسلين فيجب الايمان بجميع الانبياء والمرسلين وتصديقهم في كل ما اخبروا به من الغيب وطاعتهم في كل ما امروا به ونهوا عنه ولهذا اوجب سبحانه الايمان بكل ما اتوا به قال تعالى « قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » فاتفق علماء الملة على كفر من كذب نبيا معلوم النبوة لأن الايمان واجب بجميع الانبياء وان لا نفرق بين احد منهم .

❋ وشرط من اكرم بالنبوه　　حرية ذكورة كقوه ❋

(وشرط) مبتدأ (من) اي كل انسان (اكرم) بضم الهمزة مبنيا لما لم يسم فاعله اي اكرمه الله تعالى (بالنبوة) بضم النون والباء يجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه اما مشتق من النبأ اي الخبر لانه ينبئ عن الله تعالى اي يخبر واما من النبوة وهي الشيء المرتفع لان النبي مرتفع الرتبة على سائر الخلق (حرية) خبر المبتدأ وذلك لأن الرق وصف نقص لا يليق بمقام النبوة والنبي يكون داعياً للناس آناء الليل واطراف النهار والرقيق لا يتيسر له ذلك ، وايضاً الرقية وصف نقص يأنف الناس ويستنكفون من اتباع من اتصف بها وان يكون اماما لهم وقدوة وهي اثر الكفر والانبياء منزهون عن ذلك . وشرط من اكرمه الله تعالى بالنبوة ايضاً (ذكورة) اي ان يتصف

بالذكورية لقوله تعالى « وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم » فاثبت الرسالة للرجال الموحى اليهم واشعر بنفي ذلك عن غيرهم فلا تكون انثى نبية خلافا لاهل التوراة الزاعمين نبوة مريم ابنة عمران اخت موسى وهارون (١) عليهما السلام وقد خالف في اشتراط الذكورية الاشعري ثم القرطبي وتبعهما على ذلك اناس من العلماء ، والحق اعتبار الذكورية لأن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة والانوثة تقتضي التستر و تنافي الاشتهار ، وقد حكى ابن الملقن خلافاً في نبوة مريم وآسية وسارة وهاجر وام موسى عليه السلام . وقوله (كقوة) اي كما يعتبر فيمن اكرمه الله تعالى بالنبوة ان يكون قويا باعباء ما حمل من ثقل النبوة ، والقوة الطاقة ، ذا عقل صحيح وفهم رجيح وعلم بالامور الدينية حسن الخلق والخلق ليسهل عليه تحمل الخلق في مخالطاتهم وتعليمهم لامور الديانة فان الانبياء منزهون عن جميع الرذائل من البخل والجبن واللهو واللغو وسائر الاخلاق الذميمة كما انهم مبرؤن من لؤم النسب وشره القلب وحرص النفس على الدنيا ولهذا لم يبعث الله تعالى نبيا الا في اشرف نسب امته فلم يبعث نبيا من ذي نسب مبذول كما لم يبعث نبياً عبداً ولا لثيما ولا امرأة لعلو مرتبة الذكورة على الانوثة * والحاصل اختصاص النبوة باشرف افراد النوع الانساني من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي ولو في الصبي كعيسى و يحيى عليهما السلام والسلامة عن كل ما ينفر عن الاتباع كدناءة الآباء وعهر الامهات والغلظة و الفظاظة والعيوب المنفرة للطباع كالبرص والجذام والامور المخلة بالمروءة كالأكل على الطريق والحرف الدنيئة كالحجامة وكل ما يخل بحكمة البعثة ونحو ذلك و بالله تعالى التوفيق * ولما ذكر ما اشعر بانفراد كمل النوع الانساني بالنبوة خشي ان يتوهم متوهم بان ذلك يدرك بالرياضة والتهذيب والجد والاجتهاد فنفى ذلك الوهم بقوله :

* ولا تنال رتبة النبوة   بالكسب والتهذيب والفتوة *
* لكنها فضل من المولى الاجل   لمن يشا من خلقه الى الاجل *

---

(١) اي اختهما في الصيانة والديانة وليس المراد النسب ا ه ش

(ولا تنال) بضم التاء مبنياً لما لم يسم فاعله اي لم تعط (رتبة) بالرفع نائب الفاعل والرتبة المنزلة (النبوة) بالجر لاضافتها الى الرتبة وهي عبارة عن صفة عالية ينكشف بها من الغيوب التي هي مطلوبات الله تعالى من عباده واحكامه التي يكلفهم بها انكشافاً يناسب انكشاف النار للذهن برؤية الدخان والمراد بها هنا مايعم الرسالة كما لايخفى (بالكسب) متعلق بلاتنال (والتهذيب) اي تنقية البدن وتصفية الاخلاق وخلوص البنية من الاخلاق الرذيلة وتبقية الاوصاف الجميلة (والفتوة) اي كرم النفس وتخليصها من الاوصاف المذمومة الى الاوصاف المحمودة فمذهب اهل الحق ان النبوة لاتنال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد ورياضة نفسه وبدنه وتهذيب ذلك (لكنها) اي النبوة والرسالة (فضل من المولى الاجل) سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء من عباده ممن سبق علمه وارادته الازليان باصطفائه لها فالله اعلم حيث يجعل رسالاته وهذا خلاف قول الفلاسفة المشائين المجوزين اكتساب النبوة بزعمهم ان من لازم الخلوة والعبادة وداوم المراقبة وتناول الحلال انصقلت مرآة باطنه وفتحت بصيرة لبه وتهيأ لما لا يتهيأ له غيره من التجلي بالنبوة وعندهم القرآن كلام النبي وهذا من اعظم الكفر . والحاصل ان النبوة فضل من الله تعالى وموهبة ونعمة يمن بها سبحانه ويعطيها (لمن يشا) ء ان يكرمه بالنبوة فلا يبلغها احد بعمله بل يخص بها من يشاء (من خلقه) ومن زعم انها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله لانه يقتضي كلامه واعتقاده ان النبوة لاتنقطع وهو مخالف للنص القرآني والاحاديث المتواترة بان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين عليهم السلام ولهذا قال (الى الاجل) يعني ان النبوة فضل من الله تعالى يمن بها على من يشاء وكان ذلك ممتداً من عهد آدم عليه الصلاة والسلام الى ان بعث النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولهذا قال :

❋ ولم تزل فيما مضى الانباء   من فضله تأتي لمن يشاء ❋

❋ حتى اتى بالخاتم الذي ختم   به واعلانا على كل الامم ❋

(ولم تزل فيها) اي في الزمن الذي (مضى الانباء [1] جمع نبي (من فضله) تعالى (تأتي) بابلاغ الشرائع (لمن) اي لكل اهل زمن من الامم الماضية (يشاء) الله سبحانه وتعالي فلم تخل الارض من داع يدعو الى الله تعالي من لدن آدم الى ان بعث محمداً صلي الله تعالى عليه وسلم وكان مجيء الرسل والانبياء مستمراً من لدن الاب الاول الصفي عليه السلام (حتى) اي الي ان (اتى بالخاتم) نبينا صلي الله تعالى عليه وسلم (الذي ختم) الله (به) النبيين والمرسلين ، واكمل بدينه كل دين ، قال تعالى «ما كان محمداً ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» اي الذي ختمهم وختموا به فلا نبي بعده واخرج الامام احمد من حديث العرباض بن سارية السلمي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « اني عند الله في ام الكتاب لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل [2] في طينته » الحديث وقوله (اعلانا) معشر امة هذا النبي الكريم الرب ُالرحيم (على كل الامم) الماضية بشاهد قوله تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس — وكذلك جعلناكم امة وسطاً » وروي البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه في قوله « كنتم خير امة اخرجت للناس » قال خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام ، واخرج ابو داود من حديث ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « امتي امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة عذابها في الفتن والزلازل والقتل » ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب ، وفي الصحيحين من حديث ابي هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الاخرون السابقون يوم القيمة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم » وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الأولون يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة ، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث انس رضي الله تعالى عنه انتم شهداء الله في الارض

---

(١) الانباء باسقاط الياء لضرورة البيت جمع نبي وليست جمع نبأ (٢) اي لطريح ملقى ام افاده العلامة العم ا . ش

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما ترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبر ثم قال اما ترضون أن تكونوا ثلث اهل الجنه قال فكبر ثم قال اني لارجو ان تكونوا شطر اهل الجنة وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون في الكفار الا كشعرة بيضاء في ثور اسود او كشعرة سوداء في ثور ابيض » هذا لفظ مسلم ، وروي الامام احمد والترمذي باسناد على شرط الصحيح من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « اهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الامة منها ثمانون صفاً » ورواه الطبراني في معجمه ، وروي الدارقطني من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي » قال المحقق فهذه الامة اسبق الامم خروجا من الارض واسبقهم الى اعلى مكان في الموقف واسبقهم الى ظل العرش واسبقهم الي الفصل والقضاء بينهم واسبقهم الي الجواز على الصراط واسبقهم الى دخول الجنة وكل هذا انما هو بسبب كرامة نبينا على الله وجز يل فضله عند الله وقربه من الله والحمد لله على ما انعم وفضل وكرم والله تعالى اعلم

فصل

في بعض خصائص النبي الكريم واشار الي اولها بقوله :

وخصه بذاك كالمقام	وبعثه لسائر الانام
ومعجز القرآن كالمعراج	حقا بلا مين ولا اعوجاج

(وخصه) اي خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم دون سائر الانبياء (بذاك) اي بكونه ختم به النبوة والرسالة ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام انه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشريعته واما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفاً بنبوته السابقة فلا ينافي ذلك ، على ان عيسى اذا نزل انما يتعبد بشريعة نبينا صلي الله تعالى عليه وسلم دون شريعته المتقدمة

لانها منسوخة فلا يتعبد الا بهذه الشريعة اصولاً وفروعاً فيكون خليفة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وحاكماً من حكام ملته بين امته بما علمه الله تعالى في السماء قبل نزوله و بنظره في كتاب الله تعالي الذي هو القرآن وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا يقصر عن رتبة الاجتهاد المؤدي الى استنباط ما يحتاج اليه ايام مكثه في الارض من الاحكام وكسر الصلبان وقتل الخنزير ووضع الجزية وعدم قبولها مما علم من شريعتنا ، لايقال هذا نسخ لشرعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانا نقول بل هذا من شرعة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مُغَيًّى الى نزول عيسى عليه السلام فاذا نزل انتهى ذلك * والثانية ما اشار اليها بقوله (كالمقام) المحمود وهو الشفاعة العظمى كما تقدم * (و) الثالثة انه سبحانه وتعالى خص نبيه محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم بـ (بعثه) نبياً ورسولاً (لسائر) اي جميع (الانام) الخلق من الانس والجن بالاجماع واختلف في ارساله الى الملائكة على قولين احدهما انه لم يكن مرسلاً اليهم و بهذا جزم جمع محققون وهو ظاهر كلام علمائنا ، والقول الثاني انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث الى الملائكة ايضاً ورجحه السيوطي في الخصائص والسبكي قبله وزاد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « بعثت للناس كافة » شامل لهم من لدن آدم الي قيام الساعة ورجح هذا القول البارزي وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات واستدل على ذلك بشهادة الضب له بالرسالة و بشهادة الحجر والشجر له ايضاً بذلك قال السيوطي وازيد الي ذلك انه مرسل الى نفسه ، فان قلت قد علم يقيناً ان قوم نوح بعد الطوفان كانوا جميع اهل الارض ورسالة نوح عامة لهم فالجواب ان عمومها امر اتفاقي اذ لم يسلم من الهلاك الا من كان معه في السفينة فالعموم صار ثانياً وبالعرض على انه لم يبعث للجن * (و) الرابعة المشار اليها بقوله وخصه بـ (معجز القرآن) الذي اذعن لاعجازه الثقلان كما تقدم الكلام على ذلك * والخامسة من خصائصه صلى الله عليه وسلم ما اشار اليها بقوله (كـ) ما اختصه الله سبحانه وتعالى بـ (المعراج) الى السموات العلى * قال الواقدي عن رجاله كان المسري والمعراج في ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان في

السنة الثانية عشر من المبعث قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ، قال ابن الجوزي سمعت شيخنا ابا الفضل يقول قال قوم كان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقال آخرون بثمانية اشهر وقال آخرون بستة اشهر ، فمن قال بسنة فيكون ذلك في ربيع الاول ومن قال بثمانية اشهر فيكون ذلك في رجب ومن قال بستة فيكون ذلك في رمضان ، وقد قيل انه كان في ليلة سبع وعشرين من رجب ، قلت واختار هذا القول الحافظ عبد الغني المقدسي وعليه عمل الناس . وكان المعراج الى السماء بجسده الشريف وروحه المقدسة ، كالاسراء من مكة المشرفة الى المسجدالاقصى ثم عرج به من بيت المقدس الى السماء . حق هذا (حقا) ثابتاً (بلامين) اي بلا امتراء ولا كذب (ولا اعوجاج) يقال اعوج اذا كان غير مستقيم . واعلم ان الاسراء لا خلاف فيه اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت السنة الثابتة بتفصيله فورد عن عدة من الصحابة الكرام نحو الثلاثين رضى الله تعالى عنهم اجمعين ، واما ليلة المعراج فاختلف فيها فقيل ليلة الجمعة وقيل السبت كما تقدم وقال ابن دحية تسفر تلك الليلة عن يوم الاثنين ان شاء الله تعالى ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة فانه صلي الله تعالي عليه وسلم ولد يوم الاثنين و بعث يوم الاثنين وهاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين . وقد اخرج الامام احمد والبخاري ومسلم وغيرهم من حديث انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان مالك ابن صعصعة رضي الله تعالى عنه حدث ان نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم حدثهم عن ليلة الاسراء قال « بينا انا نائم في الحطيم ، وربما قال قتادة في الحجر ، مضطجع اذ اتاني آتٍ فجعل يقول لصاحبه الاوسط بين الثلاثة ، قال فاتاني فقد ، وقال مرة فشق ، ما بين هذه وهذه ، قال قتادة فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني ، قال من ثغرة نحره الى شعرته ، وقد سمعته يقول من قصه الى شعرته ، قال فاستخرج قلبي ، قال فاتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ، وفي لفظ فافرغه في صدره وملأه علماً وحلماً و يقينا واسلاما ثم اطبقه ، ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض ، قال فقال الجارود هو البراق يا ابا حمزه قال نعم ، يقع خطوه عند اقصى طرفه ، قال فحملت عليه » . ولما اراد صلى الله تعالى عليه وسلم العروج الى السماء بعد وصوله الى البيت المقدس وصلاته

بالانبياء عليهم السلام اتي بالمعراج التي[1] تعرج عليه ارواح الاتقياء من بني آدم فلم تر الخلائق احسن منه له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وهو من جنة الفردوس منضد باللؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فارتقى عليه هو وجبريل عليهما الصلاة والسلام من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج عن يمين الصخرة . قال بعض أهل العلم انه لم يختلف أنه عرج من ثم ، وظاهر صنيع الحافظ ابن الجوزى في الوفا ان البراق ترقى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال «ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار يقع خطوه عند اقصى طرفه قال فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى بي السماء الدنيا فاستفتح الحديث بطوله » وهو في الصحيحين وغيرهما وقال بعضهم قد صحت الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى فيه ، وظاهره انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس * وجمع بعضهم بان الراوي اختصر فلم يذكر بيت المقدس — و بعضهم انه لما وصل في العروج الى السماء الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها الى ان وصل الى سدرة المنتهى ، ثم بعد سؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ومراجعته له في التخفيف عن امته حتى انتهى ذلك من الخمسين الى الخمس صلوات وسماع النداء من العلي الاعلى قد امضيت فريضتي وشفعت نبيي وخففت عن عبادي هن خمس صلوات كل يوم وليلة وهن خمسون في الاجر لأن الحسنة بعشر امثالها ، وسمع [2] قوله تعالى ما يبدل القول لدي ولا ينسخ كتابي، وكانت المراجعة ما بين الحق جل جلاله و بين موسى الكليم عليه افضل الصلاة واتم التسليم فانه الذي حث النبي الكريم على مراجعة الرب الرحيم وسؤاله التخفيف عن هذا الخلق الضعيف ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في موسى عليه الصلاة والسلام «ونعم الصاحب كان لكم» اي معشر الامة ثم قال له موسى عليه السلام اهبط بسم الله * ولما دنا المصطفى من العلي الاعلى وحل في مستوى سمع فيه صريف الاقلام وكلمه الجليل جل جلاله فقال له «يا محمد قال لبيك يارب ، قال سل ، قال انك اتخذت ابراهيم خليلا ، واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما ، واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال

(١) كذا ولعله الذي (٢) كذا ولعل الواو زائدة اي ثم بعد سؤاله سمع ج

واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذنك واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل — فقال الله سبحانه وتعالى وقد اتخذتك حبيباً ، قال الراوي وهو مكتوب في التوراة حبيب ، وارسلتك للناس كافة بشيراً ونذيراً وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك ، لا اذكر الا تذكر معي ، وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس وجعلت امتك امة وسطا وجعلت امتك هم الأولون والآخرون ، وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم ، وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثاً واول من يقضى له ، واعطيتك سبعاً من المثاني لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم اعطها نبياً قبلك ، واعطيتك الكوثر ، واعطيتك ثمانية اسهم : الاسلام والهجرة والجهاد والصدقة والصلاة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة » كل هذا الخطاب في حال قربه من رب العالمين — ثم ان الله تعالى خفف عن عباده الفعل من خمسين الى خمس وابقى لهم ثواب الخمسين تفضلا منه تعالى وتكرما على نبيه المصطفى وعلى امته ببركته . وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لما وصل الى سدرة المنتهى غشيته سحابة فيها من كل لون فتأخر جبريل ، ثم عرج بالنبي الكريم حتى وصل لمستوى سمع فيه صريف الاقلام فدنا من الحضرة الآلهية حتى كان كقاب قوسين اوادنى ، اي اواقرب اي بل اقرب من ذلك ثم انجلت عنه السحابة فاخذ جبريل بيده فانصرف سريعاً ، فمر على ابراهيم فلم يقل شيئا ، ثم اتى على موسى ، قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونعم الصاحب كان لكم ، فقال ما صنعت يامحمد ما فرض عليك ربك وعلى امتك ، قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض علي وعلى امتي خمسين صلاة كل يوم وليلة ، قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف عنك وعن امتك فان امتك لا تطيق ذلك فاني خبرت الناس قبلك و بلوت بني اسرائيل وعالجتهم اشد المعالجة على ادنى من هذا فضعفوا وتركوه

فامتك اضعف اجساداً وابدانا وقلوبا وابصاراً واسماعا، فالتفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى جبريل يستشيره ،فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فرجم بها حتى انتهى الى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجداً ، وقال رب خفف عن امتي فانها اضعف الامم قال وضعت عنكم خمساً وهكذا الى ان بقيت الخمس . وهذا في صحيح مسلم من حديث انس رضي الله تعالى عنه ، والذي في المسند والصحيحين وغيرهما عن انس عن مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنهما انه تعالى حط عنه عشراً ثم عاد فحط عنه عشراً ثم عاد فحط عنه عشراً ، وكذلك هو في الصحيحين من حديث انس رضي الله تعالى عنه .

﴿ تنبيهات ﴾ الاول تقدم الكلام، على روءية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لذي العزة والجبروت والانعام ، واختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ذلك ومما ينبغي ان يعلم ان الخلاف المذكور انما هو في وقوعها لا في امكانها وجوازها اذ هي جائزة عقلا ونقلا ، اما العقل ! فواضح واما النقل ! فما كان كليم الرحمن ان يسأل المستحيل هذا مما لا يظنه من عرف منصب النبوة فضلا عن الرسول فضلا عن احد اولي العزم من الرسل ، ثم ان روءية البـاري جل شأنه واقعة للمؤمنين في الاخرة قطعا كما مر واما من ادعاها في الدنيا يقظة لغير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ما في ذلك من الخلاف فهو ضال بل قـال الكواشي في تفسيره فزنديق فلو قال اني ارى الله تعالى عيانا في الدنيا ويكلمني شفاها كفر انتهى ونقل عن المهدوي المقتس انه كفر مدعي الروءية هنا وقد نقل جماعة الاجماع على انها لا تحصل للاولياء في الدنيا

(الثاني) اختلف في المراد من قوله تعالى « فكان قاب قوسين او ادنى» اي حيث الوتر من القوس قاله مجاهد وقال ابو عبيدة قاب قوسين اي دار قوسين او ادنى او اقرب والقاب ما بين القبضة والسيئة[1] من القوس قال الواحدي هذا قول الجمهور من المفسرين ان المراد بالقوس التي يرمى بها وقيل المراد بها الذراع لأنه يقاس بها الشيء ، وسيئة القوس هي الفرضة التي يوضع فيها

(١) السيئة بالكسر موضع الوتر من رأس القوس ا ه من تاج الاسماء في اللغة

الوتر والمراد به جبريل عليه السلام ، قال ابن كثير هذا هو الصحيح في التفسير كما دل عليه كلام الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وقدروى الشعبي عن مسروق قال قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها « ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى » قالت ذاك جبريل *قال المحقق لأن جبريل هو الموصوف بما ذكر من اول السورة الى قوله « ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى » هكذا فسره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الصحيح لعائشة قالت عائشة رضي الله تعالى عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال « ذلك جبريل لم اره في صورته التي خلق عليها الا مرتين » رواه مسلم . واما ما وقع في البخاري من رواية شريك عن انس ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فقد تكلم الناس وقالوا ان شريكا غلط فيه وذكر فيه امورا منكرة ، لكن الدنو والتدلي الذي فى حديث شريك غير هذا ، وجزم ابن كثير بان الدنو والتدلي في حديث شريك غير الذي في الاية

(الثالث) المستوى الذي سمع صلى الله تعالى عليه وسلم فيه صريف الاقلام هو المصعد وقيل المكان المستوي وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء هو صوت حركة الاقلام وجريانها على المكتوب فيه من الاقضية الآلهية والوحي وما ينسخونه من اللوح المحفوظ او ما شاء الله من ذلك ان يكتب ويرفع لما اراده تعالى من اوامره وتدبيره ، وهو تعالى يعلم جنسها وكيفيتها ومن اطلعه الله تعالى على شيء من ذلك من الملائكة والمرسلين .

* فكم حباه ربه وفضله وخصه سبحانه وخوله *

(فكم حباه ربه) سبحانه وتعالى بكرمة (و) كم (فضله) على غيره بمزية من المزايا التي لا تحصى فان كم هذه خبرية بمعنى كثير فهي تفيد كثرة ما حباه ربه من المكرمات والحباء بمعنى الاعطاء (و) كم (خصه) الله (سبحانه) وتعالى بخصوصية (وخوله) بمعنى اعطاه والمعنى انه جل وعلا خص نبيه المصطفى بخصائص كثيرة ومزايا جليلة غير ما ذكرنا * وبعض متأخري الحفاظ اوصلها الى ثلاثمائة ، وقال بعض الحفاظ الحق عدم حصرها ، غير انه لم يتعرض في النظم الا لبعض المهم منها .

❋ فصـــل ❋

في التنبيه على بعض معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهي كثيرة جداً وتعريف المعجزة هي اسم فاعل ماخوذة من العجز المقابل للقدرة ، وقال ابن حمدان المعجزة هي ما خرق العادة من قول او فعل اذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقهـا على جهة التحدي ابتداء بحيث لا يقدر احد عليها ولا على مثلها ولا على ما يقاربهـا وقال الفخر الرازي المعجزة عرفا امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة ، واحترزوا بقيد المقارنة للتحدي عن كرامات الاولياء والعلامات الارهاصية التي تتقدم البعثة النبوية ، وبقيد عدم المعارضة عن السحر والشعبذة ، وقول ابن حمدان وطابقها ليخروج ما اذا قال معجزتي نطق هذا الحجر فينطق بانه كذاب مفتر وكما تفل مسيلمة في بئر فغار ماؤها ، اذا عرفت هذا فقد اشار الى التنبيه على ان معجزات نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرة شهيرة فلا يمكن استقصاء عدها — بقوله

❋ ومعجزات خاتم الانبياء   كثيرة تجل عن احصائي ❋

❋ منها كلام الله معجز الورى   كذا انشقاق البدر من غير امترا ❋

(ومعجزات خاتم الانبياء) يعني محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم (كثيرة تجل) اي تعظم وتكبر (عن احصائي) اي عن عدي لكثرة افرادها وتنوعها من الاقوال والافعال التي ما سبقت لمثله من الانبياء ولم يبلغ احد من الانبياء من كثرة المعجزات ما بلغه نبينا صلى الله تعـالى عليه وسلم وهو دليل على مزيد التشريف والتكريم وشدة الاعتناء والاهتمام بشأنه ، قال بعض العلماء معجزات نبينـا كثيرة لا تحصى وفي كلام بعضهم انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطي ثلاثة آلاف معجزة يعني غير القرآن فان فيه ستين او سبعين الف معجزة تقريباً ولهذا قال (منها) اي من معجزات نبينا بل اعظمها (كلام الله) المنزل (معجز الورى) الخلق كما تقدم موضحا و (كذا) من غرر معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (انشقاق البدر) اي القمر ثابت (من غير امترا) اي من غير شك ولا جدل * وقصة ذلك كما في الصحيحين من حديث انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وقال شيبان عن قتادة فاراهم انشقاق القمر مرتين · قلت قد ثبت انشقاق القمر بنص القرآن العظيم و بالسنة الصحيحة الصريحة وقد بلغت الأحاديث بذلك مبلغ التواتر واجمع على ذلك اهل الحق وهذا الانشقاق الواقع للقمر من خصائص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم التي اختص بها عن سائر النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فلم يشركه في ذلك غيره ولم يقع لأحد سواه وهو من امهات معجزاته التي لا يكاد يعدلها بعد القرآن شيء ولا يعدلها آية من آيات الانبياء عليهم السلام لظهور ذلك في ملكوت السموات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فهو آية عظيمة ولهذا قرنها بمعجزة القرآن واقتصر عليها لأن فيهما كفاية عما سواهما · [تنبيهات] الاول الثابت من قصة انشقاق القمر ما ذكرناه واما ما قيل ان القمر دخل في جيبه صلى الله تعالى عليه وسلم وخرج من كمه فلا اصل له [الثاني] قال شيخ الاسلام آياته صلى الله تعالى عليه وسلم المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير انواع منها ما هو في العالم العلوي كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة ومعراجه الى السماء وانما جعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لأنه اقرب الى الارض من الشمس والنجوم وكأن الانشقاق فيه دون اجزاء الفلك لأنه جسم مستنير فيظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهوراً لا يتمارى فيه ، واذا قبل الانشقاق فقبول محله اولى بذلك ، وفيه حكمتان عظيمتان احداهما كونه من آيات النبوة والثانية ان فيه دلالة على جواز انشقاق الفلك وان ذلك دليل واضح على ما اخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من انشقاق السموات خلافاً للفلاسفة في زعمهم ان الفلك لا يقبل الخرق والالتئام ، ومنها ما هو في الجو كاستسقائه واستصحائه صلى الله تعالى عليه وسلم وطاعة السحاب في حصوله وذهابه ، ومنها تصرفه في الحيوان الانس والجن والبهائم ، ومنها تصرفه في الاشجار والخشب والاحجار ، ومنها تأييده بملائكة السماء ، ومنها كفاية الله تعالى له اعدائه وعصمته من الناس ، ومنها اجابة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومنها اعلامه بالمغيبات الماضية والمستقبلة ، ومنها تأثيره في تكثير الماء والطعام والثمار وغير ذلك [الثالث]

ان نفس صورة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الشريفة الباهرة، وهيئته وطلعته الظاهرة وسمته ودلّه [1] يدل العقلاء على صدقه ، ومن سمع كلامه ورأى آدابه لم يدخله شك في نبوته •

فصل

في ذكر فضيلة نبينا واولي العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين

وافضل العالم من غير امترا ... نبينا المبعوث في ام القرى

وبعده الافضل اهل العزم ... فالرسل ثم الانبيا بالجزم

(وافضل العالم) العلوي والسفلي من ملك وبشر وجني في الدنيا والآخرة (من غير امترا) اي من غير شك ولا ريب قال في القاموس العالم الخلق كله (نبينا) خبر المبتدأ الذي هو افضل العالم محمد (المبعوث) رسولاً لكافة الناس (في ام القرى) مكة المعظمة ، وانما كان افضل خلق الله تعالى لأن الله تعالى ايده بأبهر المعجزات ، وامته ازكى الامم وشريعته اتم الشرائع واشهرها ، وصفاته اكمل الصفات واشرفها ، ومن اعظم ما يدل على تعظيم نبينا وفضله على سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ان الله سبحانه وتعالى اقسم بحياته ، وانما يقع القسم بالمعظم وبالمحبوب قال « لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون » واخرج الترمذي وغيره من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال ما خلق الله وما ذرأ نفساً هي اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعته اقسم بحياة احد غيره • وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « انا سيد ولد آدم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول مشفع » فالنبي المصطفى ، افضل الخلق جميعاً بلا خفا ، (وبعده) اي بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الافضل) من سائر الخلق هم (اهل العزم) اي اهل الثبات والجد من الرسل وهم

---

(١) الدل قريب من الهدي وهما من السكينة والوقار في الهيئة اه تاج الاسماء

على المشهور ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الروح ونوح النجي فيكونون خمسة بنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهؤلاء الذين اجتهدوا في تأسيس الشرائع وتقريرها وصبروا على تحمل المشاق من قومهم ، وقد اختلف العلماء فيمن يلي النبي محمداً صلى الله عليه وسلم في الفضيلة منهم ، والمشهور واختاره الحافظ ابن حجر في شرح البخاري انه ابراهيم خليل الرحمن ثم يكون افضل من موسى وعيسى ونوح عليهم السلام والثلاثة بعد ابراهيم افضل من سائر الانبياء والمرسلين قال الحافظ ابن حجر ولم اقف على نقل ايهم افضل والذي ينقدح في النفس تفضيل موسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام ، قال بعض العلماء لعل تقديم موسى عليه السلام لأنه كليم الله تعالى ثم عيسى لانه كلمة الله تعالى . ثم بعد اولي العزم (فالرسل) المكرمين بالرسالة فهم افضل من الانبياء عليهم السلام غير الرسل وبه يعلم ان الرسالة افضل من النبوة ولو في شخص واحد (ثم) الافضل بعد الرسل الكرام (الانبيا)ء عليهم افضل الصلاة والسلام وهم متفاوتون في الفضيلة فبعضهم افضل من بعض كما قال تعالى « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » كما ان بعض الرسل افضل من بعض كما قال تعالى « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » فهذا واجب الاعتقاد تفصيلا فيمن علم منهم وعلم حكمه تفصيلا ولو بدليل ظني صحيح — واجمالا فيمن علم منهم وعلم حكمه اجمالا ولهذا قال (بالجزم) السديد والقطع المفيد للحكم المذكور من غير شك ولا ترديد حسبما تقدم . وعلم مما ذكر ولا سيما من قوله بالجزم رد زعم من زعم ان الولي قد يبلغ درجة النبي كما يحكى عن الكرامية ، بل زعم بعض الصوفية ان الولاية افضل من النبوة قال لأنها تنبئ عن القرب والكرامة والنبوة عن الانباء والتبليغ الا ان الولي لا يبلغ درجة النبي بخلاف العكس لأن نبوة النبي لا تكون بدون الولاية * وقد شنع شيخ الاسلام على من يزعم ذلك في محلات من كتبه ، ولا يخفى على احد من اهل الملة ان افضل الخلق الرسل فالانبياء فالصحابة فالاولياء وان دخل بعضهم في بعض في الجملة والله تعالى الموفق .

فصــل

فيما يجب للانبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم . قــد تقدم اول الباب شروط من يكرمه الله تعالى بالنبوة وذكر هنــا ما يجب اعتقاده في حقهم :

وان كل واحد منهم سلم من كل ما نقص ومن كفر عصم
كذلك من افك ومن خيــانه لوصفهم بالصدق والامــانة

(و) هو ان يعرف كل مسلم (ان كل واحد منهم) اي من الانبياء الكرام والرسل العظام (سلم) وتنزه (من كل ما) زائدة لاقامة الوزن ومزيد التأكيد عما سلموا منه وتزهوا عنه (نقص) يؤدي الى ازالة الحشمة واسقاط المروءة والحقت بفاعلها الازراء والخسة كسرقة لقمة وتطفيف بحبة لقيام الاجماع على عصمتهم من كل ما يؤدى الى الازراء والدناءة لان الله تعالى يقول « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » وقال « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » ومن المعلوم عموم ذلك وليس في شيء من فعل ما يزري مــا يوجب حب الله تعالى ولاحسن التأسي والاقتداء في ذلك فوجب تنزيههم عنه وعن كل عيب ، وسلامتهم من كل مايوجب الريب ، (و) ان كل واحد منهم (من كفر) بجميع انواعه (عصم) قبل النبوة وبعدها والعصمة المنعة قال ابن حمدان وانهم معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى وليسوا معصومين في غير ذاك من الخطأ والنسيان والسهو والصغائر في الاشهر لكن لا يقرون على ذلك وقال الحافظ العراقي : النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من تعمد الذنب بعد النبوة بالاجماع ، ولا يعتد بخلاف بعض الخوارج ولا بقول من قال من الروافض بجوازها تقية وانما اختلفوا في جواز وقوع الصغيرة سهواً فمنعه الاسفرائيني والقاضي عياض واختاره السبكي وهو الذى ندين الله تعالى به [تنبيــه] لم يكن نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة على دين قومه بل ولد مسلماً مؤمناً كما قال ابن عقيل وغيره وقد صرح فيه بنص الامام (كذاك) كل واحد من الانبياء والمرسلين قد عصم (من افك) اي من كذب (و) معصومون (من خيانة) ولو قلت

(لوصفهم) عليهم الصلاة والسلام (بالصدق) الذي هو ضد الكذب (والامانة) التى هي ضد الخيانة فالصدق واجب في حقهم عقلا وشرعا اذ لو جاز عليهم الكذب الذي هو عدم مطابقة الخبر الواقع لجاز الكذب في خبره تعالى لتصديقه اياهم بالمعجزات المنزلة منزله قوله تعالى صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب والكذب على الله تعالى محال فلزومه كذلك ، وقد اجمعت الامة على ان ما كان طريقه الا بلاغ فالانبياء والرسل معصومون فيه من الاخبار عن شيءٍ منه بخلاف الواقع لا قصداً ولا عمداً ولا سهوا ولا غلطا . وقوله والامانة اي يجب لهم الامانة وهي ضد الخيانة والمراد بها في حق رسل الله وانبيائه عليهم الصلاة والسلام اتصافهم بحفظ ظواهرهم و بواطنهم من التلبس بنهي عنه ولو نهي كراهة عند بعض العلماء اي كونهم لا يتصوران يكونوا الا كذلك ، اذ لو جاز عليهم ان يخونوا الله تعالى بفعل محرم او مكروه على قول لجاز ان يكون ذلك المنهي عنه من حيث انه منهي عنه مأموراً به لأن الله تعالى امرنا باتباعهم في اقوالهم وافعالهم من غير تفصيل وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه فقد قال تعالى « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » والمراد ما لم تقم قرينة على الخصوصية كنكاح ازيد من اربع فتختص بهم دون اممهم ، وقدفهم مما تقدم الواجب في حقهم والمستحيل عليهم مما عصموا منه ، واشار الى الجائز في حقهم بقوله :

﴿ وجائز في حق كل الرسل النوم والنكاح مثل الاكل ﴾

(وجائز) عقلا وشرعا (في حق كل) الانبياء و (الرسل) عليهم الصلاة والسلام وهذا القسم وان فهم من ذكر ما يجب لهم وما يستحيل عليهم فان ما لم يكن واجب الثبوت لهم ولا واجب النفي عنهم فوجوده وعدمه جائز في حقهم لكن نبه بما ذكره لا يضاح قسم الجائز عليهم . صلوات الله وسلامه عليهم (النوم) وهو رحمة من الله تعالى على عباده لتستريح ابدانهم عند نصبهم وهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشياء لكن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه بل قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ابدا مستيقظا متهيأً لادراك ما يلقى اليه من ربه ومثل النوم مما هو جائز في حق الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم

اجمعين — الجلوس والمشي والبكاء والضحك و كل ما هو من الخواص البشرية المباحة على ما هو الحق من جواز وقوع المباح منهم (والنكاح) والتسري بجماع النساء فيجوز عليهم وطء النساء بالملك بشرط كونهن مسلمات او مطلقا على المعتمد ونحو ذلك (مثل الاكل) والشرب للحلال . وكذا يجوز عليهم كل عرض بشري ليس بمحرم ولا مكروه ولا مباح مزر ولا مزمن ولا مما تعافه الانفس ولا مما يؤدي الى النفرة حتى انه لا يجوز عليهم الاحتلام * والحاصل انهم عليهم الصلاة والسلام من البشر وارسلوا الى البشر فظواهرهم خالصة للبشر يجوز عليها من الآفات والتغييرات والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام - ما يجوز على البشر مما لا نقيصة فيه .

﴿ فصل ﴾

في ذكر الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم * اعلم انه لما كان افضل خلق الله نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بقية اولي العزم ثم الرسل ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم بعد الانبياء افضل البشر الصحابة رضي الله تعالى عنهم و يأتي ذكر الخلاف في التفاضل بينهم و بين الملائكة — اعقب ذكر الانبياء بالصحابة حسب اصطلاح اصحابنا ومن وافقهم، بدأ بافضلهم الامام على التحقيق ، وخليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالتصديق، الصديق الاعظم ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقال :

﴿ وليس في الامة بالتحقيق　　في الفضل والمعروف كالصديق ﴾

(وليس في الامة) اي امة الاسلام وهم امة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فأل فيه للعهد الذهني وتقدم انها افضل الامم فيكون الصديق افضل البشر بعد سائر الانبياء (بالتحقيق) الثابت المنصوص (في الفضل) بجميع انواع الفضائل (و) بذل (المعروف) من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم (ك) ابي بكر وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله ولقبه بـ (الصديق) وكان علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى انزل اسم ابي بكر رضي الله تعالى عنه من السماء الصديق فهو ابو بكر

عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب • يجتمع نسبه مع نسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مرة بن كعب ، وام الصديق ام الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بنت عم ابيه ماتت هي وابوه ابو قحافة عثمان مسلمين رضوان الله تعالى عليهم ، وهو اول الناس ايمانا بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم على قول جمع من اهل العلم ، ويروى عن ابي حنيفة الامام رضي الله تعالى عنه انه قال الاورع ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال ، وهذا من احسن ما قيل لجمعه الاقوال ومناقبه رضي الله تعالى عنه لا تحصى * وهو افضل الصحابة وخيرهم باجماع اهل السنة والجماعة على ان افضل الصحابة والناس بعد الانبياء ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ثم سائر العشرة ، ثم باقي اهل بدر ، ثم باقي اهل احد ثم باقي اهل بيعة الرضوان ، ثم باقي الصحابة ، هكذا اجماع اهل الحق • وقد اخرج الامام احمد وغيره عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه قال خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر ، قال الذهبي هذا متواتر عن علي رضي الله تعالى عنه فلعن الله تعالى الرافضة ما اجهلهم . وقد اخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعروة بن الزبير ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه اسلم يوم اسلم وله اربعون الف دينار فانفقها على رسول الله • وفي صحيح البخاري عن محمد بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما قال قلت لابي اي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر قلت ثم قال عمر وخشيت ان يقول عثمان قلت ثم انت قال ما انا الا رجل من المسلمين ، وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال «لو كنت متخذاً خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر ولكن اخوة الاسلام) فهو من الاحاديث المتواترة * والاحاديث في فضائله كثيرة شهيرة يعسر استقصاؤها وقد افردت مناقبه بالتصنيف قال ابن الجوزي وهو من ذريته كان ابو بكر رضي الله تعالى عنه ابيض نحيفا خفيف العارضين وله من الولد عبد الله واسماء وامها قتيلة وعبد الرحمن وعائشة وامهما ام رومان ومحمد وامه اسماء بنت عميس وام كلثوم وامها

حبيبة بنت خارجة ، وتوفي الصديق وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين واربعة اشهر الا عشر ليال وغسلته زوجته اسماء بنت عميس بوصية منه رضي الله تعالى عنها وصلى عليه عمر بن الخطاب وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنان واربعون حديثاً وروى عنه من الصحابة والتابعين خلائق ودفن رضي الله تعالى عنه في الحجرة الشريفة الى جانب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان رضي الله عنه قد اغتسل في يوم بارد فحم خمسة عشر يوماً وقيل سبب موته غير ذلك .

﴿ وبعده الفاروق من غير افترا وبعده عثمان فاترك المرا ﴾

(وبعده) اي بعد ابي بكر في الفضيلة امير المؤمنين عمر بن الخطاب (الفاروق) سماه بهذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسلم لأن الله تعالى فرق به بين الحق والباطل فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح القرشي العدوي وامه حنتمة بنت هشام وهي اخت ابي جهل كنيته ابو حفص كناه بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر لما نهى عن قتل رجال بني هاشم والحفص في اللغة ولد الاسد ، اخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما اسلم عمر نزل جبريل فقال يامحمد لقد استبشر اهل السماء باسلام عمر ، واخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما اسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منا وانزل الله تعالى «يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» * وكان اسلام امير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه في السنة السادسة من البعثة وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة وكان اسلامه بعد تسعة وثلاثين رجلا اواربعين او خمسة واربعين واحدى عشرة امرأة ففرح المسلمون باسلامه وظهر الاسلام بمكة عقب اسلامه ، وقد وردت الاحاديث الكثيرة بفضائله ففي الصحيحين عن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك » وعلى كل حال فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعد الصديق الاعظم افضل هذه الامة (من غير افترا) اي من

غير كذب ، ولما كان الحكم بافضلية ابي بكر ثم عمر رضي الله تعالى عنهما بالنص والاجماع صرح بقوله من غير افترا اشارة لرد قول الخطابية الزاعمين بان عمر رضي الله تعالى عنه افضل الخلفاء ، وهذا الزعم بالنسبة للصديق زور وافتراء نعم بالنسبة الى من بعد الصديق حق لا مرية فيه ، وكذلك فيه اشارة الى قول الراوندية في زعمهم ان افضل الصحابة العباس رضي الله تعالى عنه — والرد على الشيعة في زعمهم ان افضلهم علي رضي الله تعالى عنه . وقد اخرج الحاكم والخطيب عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « ابو بكر وعمر خير الاولين والاخرين وخير اهل السموات وخير اهل الارض الا النبيين والمرسلين » شهد المشاهد كلها وكان شديداً على الكفار والمنافقين ، ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة ولي الخلافة بعهد من خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصديق الاكبر رضي الله تعالى عنه يوم توفي وذلك يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة ، فقام بالامر اتم قيام وكثرت الفتوحات في ايامه وكانت اصابته يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد ، وصح ان الشمس كسفت يوم موته وناحت الجن عليه ، فلما توفي رضي الله تعالى عنه صلى عليه صهيب في المسجد وخرج الناس يمشون وعبد الله امامهم فسلم عبد الله وقال عمر يستأذن فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها ادخلوه فادخل فوضع هناك مع صاحبيه ، روي لامير المؤمنين من الاحاديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا

(تنبيه) اعلم ان خلافة سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه مرتبة ولازمة لحقية خلافة الصديق الاعظم ابي بكر رضي الله تعالى عنه وقد قام الاجماع واشارات الكتاب والسنة على حقية خلافته فما ثبت للاصل الذي هو الصديق من حقية الخلافة يثبت لفرعه الذي هو عمر رضي الله تعالى عنه فلا مطمع لاحد من فرق الضلال في الطعن والنزاع في حقية خلافته وقد علم علما باتا ضروريا ان الصحابة الكرام اجمعوا على تولية الصديق الخلافة ومن شذ لا يقدح في ذلك من غير مرية ، روى البيهقي عن الزعفراني قال سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول اجمع الناس على

خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه وذلك انه اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يجدوا تحت اديم السماء خيراً من ابي بكر فولوه رقابهم ، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما مما بلغ التواتر وعلم من الدين بالضرورة ان امير المؤمنين علي بن ابى طالب رضي الله تعالى عنه بايعه واعتذر اليه عن تأخره لعدم مشورته وان له حقا في الشورى ، حتى ان سيدنا عليا رضي الله تعالى عنه بايع ابا بكر على المنبر لازالة شبهة الخلق وفرح الناس بذلك والنصوص المشيرة الى خلافة الصديق كثيرة ، ومن اعظم فضائل الصديق واتم فراسته على التحقيق واكمل نصحه لهذا الدين القويم استخلافه امير المؤمنين عمر الفاروق لما حصل به من عموم النفع وفتح البلاد وظهور الاسلام الظهور التام وقمع اهل الكفر وعبدة الاصنام ، اخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال لما ثقل ابو بكر اشرف على الناس من كوة فقال ايها الناس اني قد عهدت عهدا افترضون به فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي رضي الله تعالى عنه فقال لا نرضى الا ان يكون عمر قال فانه عمر رضي الله تعالى عنهم اجمعين (و بعده) اي بعد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اي يليه في الافضلية امير المؤمنين ابو عمرو وابو عبد الله ذوالنورين (عثمان) بن عفان القرشي الاموي امه اروى وامها ام حكيم البيضاء عمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولد عثمان رضي الله تعالى عنه في السنة السادسة من الفيل واسلم قديماً على يد الصديق الاعظم وهاجر الهجرتين الى الحبشة ، وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة ماتت عنده في الثانية من الهجرة عند رجوع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من غزوة بدر العظمى ، ولم يشهد عثمان رضي الله تعالى عنه بدراً لتخلفه باذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليمرض رقيـة رضي الله تعالى عنها فجاء البشير بنصر المؤمنين عند دفنها ، فضرب له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسهمه واجره ، ولما ماتت رقية زوجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اختها ام كلثوم وتوفيت عنده ايضاً سنة تسع من الهجرة ، قال العلماء ولا يعرف احد تزوج بنتي نبي غيره ولذلك سمي بذي النورين ، فهو من السابقين الاولين واول المهاجرين واحد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الصحابة الذين جمعوا القرآن

والصديق جمعه ايضاً وانما تميز عثمان بجمعه في المصحف على هذا الترتيب اليوم ، وكان رضي الله تعالى عنه ذا جمال مفرط روي له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مائة حديث وستة واربعون حديثاً ، وروى عنه بعض الصحابة وخلائق من التابعين ، اخرج الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال « ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة » * واما ذكر خلافته رضي الله تعالى عنه فتقدم ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه جعلها شورى بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض فلما فرغ الناس من دفن عمر اجتمع هؤلاء الستة فبايعوه جميعاً فثبتت بيعة عثمان باجماع الصحابة ولهذا قال (فاترك المرا) اي الجدال والشك فان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه من جملة من بايعه وقد غزا معه وكان يقيم الحد بين يديه كما اخبر بذلك عن نفسه ، واستشهد عثمان رضي الله تعالى عنه في داره سنة خمس وثلاثين في اوسط ايام التشريق وصلى عليه الزبير وكان اوصى اليه ودفن بالبقيع وولي الخلافة احدى عشرة سنة واحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً ، واختلف فيمن باشر قتله فقيل لا يعرف وقيل الاسود التجيبي من اهل مصر وقيل جبلة بن الايهم من مصر ايضاً ، وله يومئذ من العمر اثنان وثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون وقيل تسعون ، ومناقبه كثيرة ومآثره غزيرة واياديه شهيرة فرضوان الله تعالى عليه وعلى جميع اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

* وبعد فالفضل حقيقاً فاسمع ... مني نظامي للبطين الانزع *

* مجدل الابطال ماضي العزم ... مفرج الاوجال وافي الحزم *

* وافي الندى مبدي الهدى مردي العدي

مجلي الصدى يا ويل من فيه اعتدى *

(وبعد) ببنائها على الضم اي وبعد عثمان رضي الله تعالى عنه على القول الرجيح والمذهب الصحيح (فالفضل) الشامخ (حقيقاً) اي في حقيقة الامر (فاسمع) فعل

امر مبني على السكون وحرك بالكسر للقافية (مني نظامي) اي منظومي هذا (لـ)
للامام الهمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ا (لبطين الانزع) قال ابن الاثير
في النهايه وفي صفة علي رضي الله تعالى عنه البطين الانزع اي العظيم البطن والمراد
بكونه بطيناً ان باطنه عظيم لتضلعه من العلوم والمعارف والمراد بالانزع المنحسر
شعر رأسه مما فوق الجبين والنزعتان عن جانبي الرأس مما لا شعر عليه وقيل معناه
الانزع من الشرك المملوء البطن من الايمان والعلم (مجدل الابطال) قال في
القاموس جدله صرعه والابطال جمع بطل بفتح الموحدة والطاء المهملة الرجل
الشجاع ولا شك ان علياً رضى الله تعالى عنه قتل من الابطال عدة وقوله (ماضي
العزم) اشارة الى شدة قوته والماضي من مضى في الامر نفذ فيه والعزم الجد
والصبر وقوله (مفرج) اي كاشف (الاوجال) جمع وجل الخوف اشارة الى
ما كان عليه من كشف الغموم وتفريج الهموم والاقدام في المواقف الصعبة والبروز
الى الاقران المستصعبة وقوله (وافي الحزم) اشارة الى وفور عقله والحزم ضبط الرجل
امره والحذر من فواته وفي قوله (وافي) اي كثير (الندي) اي السخاء والكرم
اشارة الى غزارة كرمه (مبدي) اى مظهر (الهدى) اعني العلوم الغامضة (مردي
العدا) اسم فاعل من ارداه اهلكه (مجلي) اي مزيل (الصدى) اي العطش
او الظمأ والمراد به كاشف الكرب ومجلي النوب (يا ويل) هذه يراد بها الدعاء
بالحزن والهلاك ومعنى النداء فيها اي يا حزن و يا هلاك احضر فهذا وقتك (لمن)
اي انسان مكلف (فيه) اي في امير المؤمنين علي بن ابي طالب (اعتدى) بانتقاصه
وانحطاطه عن منزلته الشامخة او غلا فيه غلواً خارجاً عن طوره ونسب اليه ماليس
له من نحو الوهية كغلاة اهل الرفض او نبوة او افضلية على من هو نفسه اعترف بانه
افضل منه * اذا علمت هذا فاعلم ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب واسمه عبد
مناف وقيل اسمه كنيته بن عبد المطلب وهو ابن هاشم فعلي رضي الله تعالى عنه ابن
عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم وقد اسلمت
وهاجرت ، وامير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه احد العشرة المشهود لهم بالجنة
واخو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمواخاة وصهره على سيدة النساء فاطمة

الزهراء عليها السلام واحد السابقين الى الاسلام واحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين واحد الخلفاء الراشدين اسلم رضي الله تعالى عنه قديماً ٬ واعلم ان مناقب امير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه كثيرة وفضائله شهيرة حتى قال سيدنا احمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي رضوان الله تعالى عليه ولي الخلافة ووقعت له المبايعة نهار الغد من قتل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بالمدينة [تنبيــه] علم مما تقدم ان احق الناس بالخلافة بعد الثلاثة المتقدمة اعني ابا بكر وعمر وعثمان وعلي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم باتفاق اهل الحل والعقد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين ٬ ولما قتل علي رضي الله تعالى عنه الخوارج بالنهروان انتدب من بقاياهم ابن ملجم وضرب به على رأســه ثم مات امير المؤمنين رضي الله تعالى عنه ليلة الاحد لتسع عشرة مضت من رمضان سنة اربعين وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم وصلى عليه الحسن ودفن بدار الامارة بالكوفة وكان عمر امير المؤمنين لما مات ثلاثاً وستين سنة وكان امير المؤمنين عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو حسن يعني علياً رضي الله تعالى عنه روي له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثاً ٠ ثم قال في نظمه

※فحبه كحبهم حتما وجب ومن تعدى او قلا فقد كذب※

(فحبه) اي حب امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه (كحبهم) اي الخلفاء الراشدين (حتما) اي خالصاً محكم الامر (وجب) على جميع الامة باتفاق الائمة (ومن) اي اي مكلف (تعدى) في حبه او لم يقل بفضل الخلفاء الراشدين على ترتيب الخلافة (اوقلا) هم او احداً منهم اي ابغضهم او احداً منهم (فقد) الفاء في جواب من (كذب) في كل واحدة من الخصلتين من تعديه في الحب او بغضه لهم او لاحد منهم رضي الله تعالى عنهم اجمعين [تنبيهات] اعلم ان الواجب اعتقاده ان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم الخلفاء الراشدون ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم فهم الذين ولوا الخلافة التي هي النيابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في عموم مصالح المؤمنين وقد بين صلى الله تعالى عليه وسلم

مدةُ الخلافة بعده بانها ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضوضاً فكانت مدةَ خلافتهم فثبت بالنص ان مدة الخلفاء الاربعة خلافة ورحمة وكذا مدة سيدنا الحسن رضي الله تعالى عنه وكانت ستة اشهر واياما [الثاني] ترتيبهم في الافضلية على ترتيبهم في الخلافة وهذا قول عامة اهل السنة من الأثرية والاشعرية والماتريدية وغيرهم [الثالث] الذي اطبق عليه علماء الامة ورؤساء الأئمة ان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم الصديق الاعظم ابو بكر ثم عمر رضي الله تعالى عنهما ثم اختلفوا فالاكثرون ومنهم الامام احمد والامام الشافعي وهو المشهور عن الامام مالك رضي الله تعالى عنهم ان الافضل بعد ابي بكر وعمر عثمان بن عفان ثم علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم ، وجزم الكوفيون ومنهم الثوري بتفضيل علي على عثمان ، وقيل بالوقوف عن التفضيل بينهم ، لكن التفضيل في طرف ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما قطعي على المعتمد ، وقيل ظني كما عند الباقلاني وغيره ٠

﴿ وبعد فالافضل باقي العشره　　فاهل بدر ثم اهل الشجره ﴾

(وبعد) اي بعد الخلفاء الاربعة الراشدين (فالافضل) من سائر الصحابة المكرمين (باقي العشرة) المشهود لهم بالجنة على لسان سيد العالم وخاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، وهم الستة الذين توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنهم راض رضوان الله تعالى عليهم اجمعين * احدهم ابو محمد طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي وامه الصعبة بنت عبد الله الحضرمي اسلمت واسلم طلحة قديمًا على يد ابي بكر الصديق وشهد المشاهد كلها غير بدر ، وثبت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد ووقاه بيده فشلت اصبعه وجرح يومئذ اربعة وعشرين جراحة ، وسماه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد طلحة الخير ، قتل رضي الله تعالى عنه يوم وقعة الجمل يوم الخميس لعشر بقين من جمادى الاخرة سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة وله اربع وستون سنة وروي له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثًا * الثاني ابو عبد الله الزبير بن العوام القرشي الاسدي وامه صفية عمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

اسلمت واسلم هو قديما على يد الصديق رضي الله تعالى عنهم وهو ابن ست عشرة سنة وهاجر الى ارض الحبشة الهجرتين وشهد مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المشاهد كلها وهو اول من سل السيف في سبيل الله تعالى قتله عمير بن جهوز بسفوان من ارض البصرة في وقعة الجمل سنة ست وثلاثين وله اربع وستون سنة حول[1] الى البصرة وقبره بها مشهور روي له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا روى عنه ابناه عبد الله وعروة وغيرهما وهو احد الشجعان المشهورة وحواري رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم * الثالث ابو اسحق سعد بن ابي وقاص القرشي الزهري اسلم قديما على يد الصديق رضي الله تعالى عنهما وهو ابن سبع عشرة سنة وقال كنت ثالثا في الاسلام واول من رمى بسهم في سبيل الله تعالى شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفداه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم احد بابويه اي قال له ارم فداك ابي وامي ، مات رضي الله تعالى عنه بالعقيق فحمل الى المدينة وصلى عليه مروان وهو يومئذ والي المدينة من قبل معاوية ودفن بالبقيع وذلك سنة خمس وخمسين وقيل سبع وخمسين وله بضع وسبعون سنة وقيل اثنتان وثمانون وهو آخر العشرة موتا وكان قد اعتزل الفتنة وكف بصره في آخر عمره رضي الله تعالى عنه ، وروي له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مايتان وسبعون حديثا * الرابع ابو الاعور سعيد بن زيد القرشي العدوي اسلم قديما شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير بدر فانه كان مع طلحة بن عبيد الله يطلبان خبر عير قريش وضرب لهما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسهميهما في الغنيمة والاجر مات بالعقيق قريبا من المدينة فحمل اليها ودفن بها سنة احدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين وله بضع وسبعون سنة روي له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانية واربعون حديثا * الخامس ابو محمد عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري وامه الشفاء بنت عوف بن زهرة اسلمت وهاجرت واسلم هو قديما على يد الصديق رضي الله تعالى عنهما وهاجر الى الحبشة الهجرتين وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى النبي صلى الله تعالى

---

(١) اي حول من سفوان الى البصرة لأجل دفنه ا . ش

عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك ، ولد بعد الفيل بعشر سنين ومات سنة اثنتين وثلاثين ودفن في البقيع وله ثنتان وسبعون سنة وقيل خمس وسبعون ، روي له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسة وستون حديثا * السادس امين الامة ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري اسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات في طاعون عمواس بالأردن سنة ثماني عشرة ودفن هناك وقبره مشهور يزار و يتبرك به ، روي له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسة عشر حديثا * فهؤلاء العشرة المذكورة في حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال « ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنه وسعد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وابو عبيدة بن الجراح في الجنة » رواه الترمذي ، و بعد العشرة اي الذين يلونهم في الافضلية (فاهل) غزوة (بدر) العظمى وهي البطشة الكبرى و يقال لها بدر القتال و يوم الفرقان لأن الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهي التي اعز الله بها الاسلام وقمع بها عبدة الاصنام ، و بدر قرية مشهورة ولم تزل من يومئذ باهل الاسلام معمورة ٠

وكانت وقعة بدر نهار الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة و كان عدة المسلمين ثلاثمائة و بضعة عشر ٠ روي الامام احمد وابن ابي شيبة وابو داود والترمذي وابو عوانة وابن حبان من حديث امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اصحابه وهم ثلاثمائة و بضعة عشر ، ولفظ مسلم تسعة عشر ، ونظر الى المشركين فاذاهم الف وزيادة الحديث ، واستشهد من المسلمين في وقعة بدر اربعة عشر نفسا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضي الله تعالى عنهم اجمعين ، وقتل من الكفار يومئذ سبعون واسر سبعون * اخرج الامام احمد بسند صحيح على شرط مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لن يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية وروى ابو داود وابن

ماجه والطبراني بسند جيد عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلع الله على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » المراد عدم المؤاخذة بما يصدر عنهم وانهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم السالفة وتأهلوا لأن يغفر لهم الذنوب اللاحقة ان وقعت اي كل ما عملتموه بعد هذه الوقعة من اي عمل كان فهو مغفور . وقيل المراد ان ذنوبهم تقع اذا وقعت مغفورة . واتفق العلماء على ان البشارة المذكورة فيما يتعلق باحكام الاخرة لا فيما يتعلق باحكام الدنيا من اقامة الحدود ونحوها والله تعالى اعلم (ثم) بعد اهل بدر فالافضلية لـ (اهل) بيعة الرضوان تحت (الشجرة) المعهودة وتسمى شجرة البيعة وشجرة الرضوان .

﴿ وقيل اهل احد المقدمه والاول أولى للنصوص المحكمه ﴾

وقوله (وقيل اهل) غزوة (احد المقدمة) اي في الزمن والافضلية اشارة الى ان الاصح الافضل اهل بدر فاهل احد فاهل البيعة . (والاول) وهو تقديم اهل البيعة في الافضلية على اهل غزوة احد (اولى) واحق بذلك وذلك (للنصوص المحكمة) من الكتاب والسنة ، وكانت غزوة احد في نصف شوال سنة ثلاث واحد هو جبل احمر بينه و بين المدينة اقل من فرسخ اذا علمت هذا فظاهر كلام متكلمي الا شاعرة ان اهل غزوة احد يلون اهل بدر في الافضلية ، وكان عدة اهل غزوة احد بعد انخزال ابن أُبي سبعمائة وكان المشركون ثلاثة الاف ، وعدد من استشهد يومئذ من المسلمين سبعون رجلا منهم اربعة من المهاجرين وسائرهم من من الانصار ، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يزور شهداء احد فاذا بلغ الشعب يقول « السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » والاحاديث في ذلك كثيرة جداً واما اهل الشجرة وهم اصحاب الحديبية فقد وردت النصوص في فضلهم . والحديبية بينها و بين مكة مرحلة وكانت في ذي القعدة من السنة السادسة ، وكان عدة المسلمين الذين مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهم اربعة عشر مائة واكثر من ذلك ، وكان سبب البيعة ان قريشا لما صدت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين عن المسجد الحرام فبعث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

وقال له اذهب الى قريش واخبرهم انا لم نأت لقتال وانما جئنا عماراً [١] وادعهم الى الاسلام ، ثم بلغه ان عثمان رضي الله تعالى عنه قد قتلته قريش فدعا الناس الى البيعة وقال لانبرح حتى نناجز [٢] القوم ، ثم تبين كذب الخبر بقتل عثمان رضي الله تعالى عنه فقدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو ومن معه ثم كانت الهدنة بين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و بين قريش ، روى الامام احمد ومسلم وابو داود والترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة »

[تنبيـه] ظاهر كلام علمائنـا ان افضل الصحابة بعد العشرة اهل بدر من المهاجرين ثم الانصار على قدر الهجرة اولا فاولا ثم سائر اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولهم رتب ، والمراد بالافضلية من حيث الجملة ولا يلزم تفضيل كل فرد مثلا من المهاجرين على كل فرد من الانصار .

❊ وعائشه في العلم مع خديجه في السبق فافهم نكتة النتيجه ❊

(وعائشة) الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها ام عبدالله ام المؤمنين وحبيبة رسول رب العالمين عقد عليها وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث و بنى بها بالمدينة اول مقدمه في السنة الاولى وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع واوصت ان يصلي عليها ابو هريرة رضي الله تعالى عنه سنة ثمان وخمسين ، فهي رضي الله تعالى عنها وعن ابيها افضل نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم (في العلم) النافع فلها من الفضل في ذلك ما ليس لغيرها من سائر ازواجه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كان الاكابر من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضي عنهم اذا اشكل عليهم امر من الدين استفتوهـا فيجدون علمه عندها * وقد وقع خلاف بين علماء السلف في التفـاضل بينها وبين ام المؤمنين خديجة فقدم البلباني تبعا لابن حمدان [٣] ان عائشة افضل النساء

---

(١) جمع معتمر لأنهم معتمرون يومئذ (٢) المناجزة المقابلة ا ه ش (٣) تقدم النقل عن عقيدة ابن حمدان اختصار البلباني مرارا وهما من مواد هذا الكتاب لكنهما مفقودان اظفرنا الله بهما . ج

وقال الموفق افضل النساء خديجة * قال المحقق وقد اختلف في تفضيل خديجة على عائشة على ثلاثه اقوال ثالثها الوقف ، وسألت شيخنا شيخ الاسلام فقال اختص كل منهما بخاصة والى هذا اشرت بقولي (مع خديجة) بنت خويلد ام المؤمنين واول ازواج رسول رب العالمين تزوجها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة و بقيت معه الى ان اكرمه الله تعالى برسالته فآمنت به وصدقته ونصرته وكانت له وزير صدق وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في الاصح ولم يتزوج صلى الله تعالى عليه وسلم عليها غيرها ، وكل اولاده منها الذكور والاناث الا ابراهيم عليه السلام فانه من سريته مارية فخديجة المذكورة افضل نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في السبق) الى الاسلام وموازرة خير الانام وكانت تسلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتثبته وتبذل دونه مالها فادركت غرة الاسلام واحتملت الاذى في الله ورسوله وكانت نصرتها للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في اعظم اوقات الحاجة فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها ، وعائشة رضي الله تعالى عنها تأثيرها في آخر الاسلام فلها من التفقه في الدين وتبليغه الى الامة وانتفاع بنيها بما ادت اليهم من العلم ما ليس لغيرها مما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها ، وقال المحقق في كتابه بدائع الفوائد الخلاف في كون عائشة رضي الله تعالى عنها افضل من فاطمة عليها السلام او فاطمة افضل اذا حرر محل التفضيل لا يستقيم اي الخلاف ، فان اريد بالفضل كثرة الثواب عند الله تعالى فذلك امر لا يطلع عليه الا بالنص لانه بحسب تفاضل اعمال القلوب لا بمجرد اعمال الجوارح ، وان اريد بالتفضيل التفضيل بالعلم فلا ريب ان عائشة افضل واعلم وانفع للامة وادت من العلم ما لم يؤد غيرها ، وان اريد بالتفضيل شرف الاصل وجلالة النسب فلا ريب ان فاطمة افضل فانها بضعة من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير اخواتها ، وان اريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الامة ، واذا تبينت وجوه التفضيل وموارد الفضل واسبابه صار الكلام بعلم وعدل والى هذا التفضيل اشرنا بقولنا (فافهم) فهم تحقيق (نكتة النتيجة) اي اثر فائدة الخلاف

﴿ فصل ﴾

في ذكر الصحابة الكرام بطريق الاجمال و بيان مزاياهم على غيرهم والتعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل والترضي والتفضيل على سائر الامة وتقبيح من آذاهم او شنأهم [1] والكف عما جرى بينهم بما لعله لم يصح عنهم وما صح فله تأويلات سائغة واذا كان لاحدهم هنات [2] تقع مكفرة مستهلكة في عظيم حسناتهم وجسيم مجاهداتهم ، ثم التابعين لهم باحسان ولهذا قال :

﴿ وليس في الامة كالصحابه في الفضل والمعروف والاصابه ﴾

(وليس في الامة) المحمدية المفضلة على سائر الامم بافضلية نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم وافضلية ما جاء به من الذكر الحكيم والدين القويم والصراط المستقيم فيكون الصحابة افضل خلق الله تعالى بعد انبيائه ورسله (كالصحابة) الكرام الذين فازوا بصحبة خير الانام عليه افضل الصلاة واتم السلام * فمعتمد القول عند ائمة السنة ان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كلهم عدول بالكتاب والسنة واجماع اهل الحق المعتبرين قال تعالى « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » الآيات . فليس في سائر الامة كالصحابة (في الفضل) بشاهد ما في الصحيحين من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه « لا تسبوا اصحابي فو الذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه » والخطاب تعريض لغيرهم والمعنى لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ ثوابه في ذلك نفقة اصحابي مداً ولا نصف مد لأن انفاقهم كان في نصرته صلى الله تعالى عليه وسلم وحمايته وذلك معدوم بعده فتضمن ذلك افضليتهم على غيرهم مطلقا وان فضيلة نفقتهم على نفقة غيرهم باعتبار ذواتهم ، واخرج الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « يبلغ الحاضر الغائب الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم

---

(١) اي ابغضهم (٢) قال في تاج الاسماء الهنات جمع هنة عند من لا يردها الى الاصل ومن ردها قال هنوات . ١٠ ش .

فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه ومن يأخذه الله فيوشك ان لا يفلته» واخرج الترمذي من حديث بريدة رضي الله تعالى عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من احد من اصحابي يموت بارض الا بعثه الله لهم نورا وقائدا يوم القيمة» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم» ذكره في جامع الاصول (و) ليس في الامة كالصحابة الكرام في (المعروف) وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات . ولا يرتاب احد من ذوي الالباب ان الصحـابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق واستولوا على معالي الامور من الفضل والمعروف والصدق فالسعيد من اتبع صراطهم المستقيم (و) ليس في الامة ايضا كالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في (الاصابة) للحكم المشروع والهدي المتبوع فهم احق الامة باصابة الحق والصواب .

* فانهم قد شاهدوا المختارا وعاينوا الاسرار والانوارا *
* وجاهدوا في الله حتى بانا دين الهدى وقد سما الاديانا *
* وقد اتى في محكم التنزيل من فضلهم ما يشفي من غليل *

(فانهم) اي الصحابة الكرام (قد شاهدوا) وصحبوا (المختارا) بالف الاطلاق في المختار من سائر الانام عليه افضل الصلاة واتم السلام (وعاينوا) في صحبتهم للنبي المختار (الاسرار) القرآنية وعلموها من الحضرة النبوية (و) عاينوا (الانوارا) القرآنية والاشعة المصطفوية (وجاهدوا في) سبيل (الله) لاعلاء كلمة الله تعالى وبذلوا نفوسهم النفيسة في مرضاة الله تعالى (حتى بانا) بالف الاطلاق اي ظهر ووضح (دين الهدى) اي دين الاسلام الذي به الهدى (وقد سما) اي علا دين الاسلام ولله الحمد (الاديانا) اي سائر الاديان التي كانت قبله (وقد اتى في محكم التنزيل) من الكتاب العظيم (من فضلهم) اي الصحابة الكرام (ما) اي الذي (يشفي) اي يبرئ (من غليل) العطش كقوله «والسابقون الاولون» الآيات،

وقوله « وسلام على عباده الذين اصطفى » هم اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى غير ذلك من الآيات ٠

﴿ وفي الاحاديث وفي الآثار   وفي كلام القوم والاشعار ﴾
﴿ ما قد ربا من ان يحيط نظمي   عن بعضه فاقنع وخذ عن علم ﴾
﴿ واحذر من الخوض الذي قد يزري   بفضلهم مما جرى لو تدري ﴾
﴿ فانه عن اجتهاد قد صدر   فاسلم اذل الله من لهم هجر ﴾

(و) قد اتى (في الاحاديث) النبوية (وفي الاثار) السلفية (و) قد اتى (في كلام القوم) من المحدثين والفقهاء والصوفية واهل المعارف (والاشعار) المرضية من العرب والمولدين من مدحهم والثناء عليهم (ما) اي شيء (قد ربا) اي زاد وعلا ونما (من ان يحيط نظمي) و يضيق (عن بعضه) فضلا عن غالبه او كله (فاقنع) بما ذكرته لك (وخذ) ذلك واعتمد عليه فانه (عن علم) و يقين(واحذر من الخوض) المفضي الى التوسع (الذي قد يزرى) و ينقص (بفضلهم) المعلوم (مما) اي من الاختلاف والتخاصم والتشاجر الذي (جرى) بينهم (لو) كنت (تدري) غب ذلك الخوض المفضي الى توليد الاحن والحقد على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك من اعظم الذنوب فانهم خير القرون ، وذلك انه جرى بين علي ومعاوية وقبلها و بعدهما من المنازعات والمقاتلات والجواب عن ذلك ما اشير اليه بقوله (فانه) اي التخاصم والنزاع الذي جرى بينهم كان (عن اجتهاد قد صدر) من كل واحد من رؤساء الفريقين و مقصد سائغ لكل فرقة من الطائفتين وان كان المصيب في ذلك للصواب واحداً وهو علي رضوان الله تعالى عليه ومن والاه والمخطئ هو من نازعه غير ان للمخطئ في الاجتهاد اجراً وثواباً خلافاً لأهل الجفا والعناد ، فكل ما صح مما جرى بين الصحابة الكرام ، وجب حمله على وجه ينفي عنهم الذنوب والآثام ، * ولهذا قال علماؤنا كغيرهم من اهل السنة ومنهم ابن حمدان في نهاية المبتدئين : يجب حب كل الصحابة والكف عما جرى بينهم كتابة وقراءة واقراء وسماعاً وتسميعاً و يجب ذكر محاسنهم والترضي عنهم والمحبة لهم وترك التحامل عليهم

واعتقاد العذر لهم وانما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائغ لا يوجب كفراً ولا فسقاً بل ربما يثابون عليه لأنه اجتهاد سائغ ، وقيل المصيب علي ومن قاتله فخطاؤه معفو عنه * وقال بعض المحققين البحث عن احوال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وعما جرى بينهم من الموافقة والمخالفة ليس من العقائد الدينية وليس هو مما ينتفع به في الدين بل ربما اخر باليقين وانما ذكر العلماء منها نتفا في كتبهم صونا للقاصرين عن التأويل عن اعتقاد ظواهر حكايات الرافضة ليتجنبها من لا يصل الى حقيقة علمها و يبينه للعوام لفرط جهلهم بالتأويل مع ان غالب او كل ما يحكيه الرافضة موضوع واكثره باطل مصنوع، فلا جرم السلامة في التسليم وكف اللسان عن هذا المدخل الضيق العظيم ولهذا قال (فاسلم) من الخوض في تلك البحور واحذر من العثار فان من قارن الفتنة افتتن * ثم ان الناظم دعا على طائفة الجفا والفجور ، واهل الزيغ والضلال مما حاد عن الامر المأمور ، فقال (اذل الله) سبحانه وتعالى وقد فعل (من) كل مبتدع من الرافضة ومن وافقهم (لهم) اي للصحابة الكرام او لبعضهم (هجر) وعادى ولم يوال ويحب * وقد روى الديلمي عن انس رضي الله تعالى عنه «اذا اراد الله تعالى برجل من امتي خيراً القى حب اصحابي في قلبه» والذي اجمع عليه اهل السنة والجماعة انه يجب على كل احد تزكية جميع الصحابة باثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم فقد اثنى الله سبحانه وتعالى عليهم في عدة آيات من كتابه العزيز ، على انه لو لم يرد عن الله تعالى ولا عن رسوله فيهم شيء لاوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الدين و بذل المهج والاموال وقتل الاباء والاولاد والمناصحة في الدين وقوة الايمان واليقين — القطع بتعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وانهم افضل جميع الامة بعد نبيهم ، هذا مذهب كافة الامة ، واما من شذ من اهل الزيغ والابتداع ممن ضل واضل فلا التفات اليهم ولهذا قال الامام ابو زرعة من اجل شيوخ مسلم : اذا رأيت الرجل ينتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعلم انه زنديق ، وقال ابن حزم الصحابة كلهم من اهل الجنة قطعا قال تعالى « لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله

الحسنى » وقال تعالى « ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون » فثبت ان جميعهم من اهل الجنة [1] والحاصل انه لا يهجر الصحابة و يعاديهم الا عدو لله تعالى مبعود من رحمة الله تعالى خبيث زنديق، قال العلامة ابن حمدان ان من سب احدا من الصحابة مستحلا كفر وان لم يستحل فسق ، وعنه يكفر مطلقا ، وان فسقهم او طعن في دينهم او كفرهم كفر . ولما انهى الكلام على الصحابة الكرام ذكر التابعين لهم باحسان ثم تابعيهم فقال

﴿ و بعدهم فالتابعون احرى بالفضل ثم تابعوهم طرا ﴾

(و بعدهم) اي بعد الصحابة (فالتابعون) لهم باحسان (احرى) اي احق (بالفضل) والاتقان ، والتقديم على غيرهم من سائر اهل الايمان ، وتعريف التابعي هو كل من صحب الصحابي ، ومطلقه مخصوص بالتابع باحسان ، ولا بد في التابعي من زيادة على ما تعتبر به الصحبة في الصحابي لان الصحبة خصوصية ، ولهم طبقات بالنسبة الى من اجتمع بعشرة او ثلاثة من الصحابة وبالعلم والزهد وغير ذلك وقد اختلف في افضل التابعين قال سيدنا احمد وغيره سعيد بن المسيب وقال قوم اويس القرني والدليل على افضلية التابعين قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران لا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث عمران بن الحصين رضي الله تعالى عنهم ، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تمس النار مسلما رآني او رأى من رآني » رواه الترمذي من حديث جابر ، قال المحقق القى الصحابة الكرام الى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصا صافيا وكان سندهم عن نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن جبريل عن رب العالمين سندا صحيحا عاليا وقالوا هذا عهد نبينا الينا وقد عهدناه اليكم وهذه وصية ربنا وفرضه علينا وهي وصيته وفرضه عليكم فجرى التابعون لهم باحسان على منهاجهم القويم واقتفوا آثار صراطهم المستقيم ولهذا

---

(١) قلت اية براءة صريحة في ذلك وهي قوله تعالى « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم » ا ه ش

قال (ثم) الافضل بعد التابعين(تابعوهم) اي اتباع التابعين لما تقدم من صحيح الاخبار (طرا) اي جميعا لأنهم سلكوا مسلكهم الرشيد «رهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد » ثم جاء الائمة من القرن الرابع المفضل في احدى الروايتين من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (خير الناس قرني) الحديث والقرن اهل زمان واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة والاصح انه لا يضبط بمدة ، فقرنه صلى الله تعالى عليه وسلم هم اصحابه وكانت مدته من المبعث الي اخر من مات من اصحابه وهو ابو الطفيل مائة وعشرين سنة ، وقرن التابعين من نحو مائة الى سبعين سنة ، وقرن اتباع التابعين من ثم الى حدود العشرين ومائتين ، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشيا واطلقت المعتزلة السنتها واظهرت الجهمية مخالبها ورفعت الفلاسفة رؤسها وامتحن ائمة الدين وعلماء المسلمين ليقولوا بخلق القرآن ·

※ فصـــل ※

فى ذكر كرامات الاولياء واثباتها ، وهذا من العقائد السنية التي يجب اعتقادها ولا يجوز نفيها واهمالها ولهذا قالـــ

※ وكل خارق اتى عن صالح من تابع لشرعنا وناصح ※

(وكل خارق) للعادة من الخوارق وهي ستة انواع * الاول المعجزة وتقدم الكلام عليها * الثاني الارهاص وهو كل خارق تقدم النبوة * الثالث الكرامة وهي امر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشر يعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها ذلك العبد الصالح او لم يعلم * الرابع الاستدراج والمكر * الخامس المعونة كما يظهر بسبب بعض عوام المسلمين وضعفاء اهل الدين تخليصا لهم من المحن والمكاره * السادس الاهانة والتحقير كما فعل مسيلمة من مسحه بيده على رأس غلام فانقرع ، ومن الخوارق الفاسدة السحر والشعبذة ونحوهما · والحاصل ان الكرامة لا بد ان تكون امرا خارقا للعادة (اتى) ذلك الخارق (عن) امرئ (صالح) وهو الولي العارف بالله تعالي وصفاته حسب ما يمكن المواظب للطاعات المجتنب عن

المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات من ذكر وانثى ولا بد ان يكون صدور ذلك الخارق في زماننا وبعده وقبله منذ بعث نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (من) انسان تابع لشرعنا)معشر المسلمين لان سائر الشرائع سواه قد نسخت (وناصح) لله تعالى ولرسوله والكتابه ولشريعة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم التي اتى بها عن الله تعالى وناصح لائمة المسلمين وخاصتهم وعامتهم ، واذا صدرت عمن ذكر

﴿ فانها من الكرامات التي　　بها نقول فاقف للادلة ﴾
﴿ ومن نفاها من ذوي الضلال　　فقد اتى في ذاك بالمحال ﴾
﴿ لانها شهيرة ولم تزل　　في كل عصر يا شقا اهل الزلل ﴾

(فانها) تكون (من الكرامات التي بها نقول) معشر اهل السنة من السلف والخلف ، قال ابن حمدان وكرامات الاولياء حق ، وانكر الامام احمد على من انكرها وضلله ، قال وتوجد في زمن النبوة واشراط الساعة وغيرهما (فقف) في اعتقادك الصالح اي اتبع (للادلة) الشرعية والمشاهدات الحسية فان كرامات الاولياء ثابتة بالعيان والبرهان (ومن) اي أي انسان (نفاها)اي كرامات الاولياء فلم يقل بجوازها فضلا عن وقوعها (من ذوي)اي اصحاب (الضلال)والزيغ عن نهج اهل السنة والاعتزال وكذا من نحا نحوهم (فقد اتى في ذاك) النفي (بالمحال) المنابذ للبرهان والعيان وثبوتها في السنن المتواترة ومحكم القرآن (لانها) اي كرامات الاولياء كثيرة (شهيرة) للعيان ثابتة بالبرهان (ولم تزل) تظهر على يد الاولياء الصالحين (في كل عصر) من الاعصار الماضية والى الان والعصر الدهر (يا شقا اهل الزلل) قال علماؤنا ان كرامة الولي وظهور الخارق على يده من كونه [1] من آحاد الامة معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من امته لأنه يظهر بتلك الكرامة انه ولي ولن يكون وليا الا وان يكون محقا في ديانته .

﴿ تنبيهان ﴾ الاول يجوز في الكرامات ان تقع بسائر وجوه خوارق العادات على اختلاف انواعها ولو كقلب العصا حية وكوجود ولد من غير اب لا بمثل ما اختص

(١) اى (من حيث كونه) ج

به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مثل القرآن العظيم الذي هو اعظم المعجزات (الثاني) الولاية موهبة من الله تعالى غير مكتسبة ·

فصل في المفاضلة بين البشر والملائكة

وهي مسئلة عظيمة قد كثر فيها الاختلاف ولكثرة الخلاف فيها وتباين اقوال الائمة قلنا :

وعندنا تفضيل اعيان البشر ... على ملاك ربنا كما اشتهر

قال ومن قال سوى هذا افترى ... وقد تعدى في المقال واجترى

(وعندنا) معشر اهل السنة خصوصا اهل الاثر وسلف الامة فانهم يقولون و يعتقدون (تفضيل اعيان البشر) محركة الانسان والمراد باعيانهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء فالانبياء افضل من الاولياء وهما افضل من الملائكة ،وقيل كل صالح افضل من الملائكة · قال الامام ابو الوفا ابن عقيل الصحيح تفضيل الانبياء والصالحين على الملائكة والملائكة افضل من الفسقة ، وقال تارة الانبياء افضل من الملائكة ، وجبريل وميكائيل واسرافيل افضل من الاولياء · وقال سيدنا الامام احمد بنو آدم افضل من الملائكة ولذا قلنا (على ملاك ربنا) تبارك وتعالى (كما اشتهر) ذلك من نصوص امامنا والملاك هو الملك وجمعه ملائكة (قال) امامنا احمد رضي الله تعالى عنه (ومن) اي اي انسان (قال) بلسانه واعتقد بجنانه (سوى هذا) اي غير القول بتفضيل بني آدم على الملائكة (افترى) اي اتى بكلام خطأ يشعر بالافتراء (وقد تعدى) اي تجاوز الحد (في المقال واجترى) اي افتات على الشارع بالاعتقاد الذي اعتقده ،ولفظ النص يخطئ من فضل الملائكة وقال المحقق سئل شيخنا شيخ الاسلام روح الله روحه عن صالحي بني آدم والملائكة ايهما افضل ،فاجاب بان صالحي البشر افضل باعتبار كمال النهاية والملائكة افضل باعتبار البداية فان الملائكة الآن في الرفيق الاعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب ان هذه الاحوال الآن اكمل من احوال البشر واما يوم القيمة بعد دخول الجنة فيصير حال صالحي البشر اكمل

من حال الملائكة وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق ادلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه ·

❊ تنبيهات ❊ الاول قد علمت ان هنا ثلاث صور (الاولى) التفضيل بين الانبياء والملائكة وفي هذه ثلاثة اقوال ، احدها الانبياء افضل وعليه جمهور اهل الحق من اهل السنة وهو الصواب ، الثاني الملائكة افضل ، الثالث الوقف عن القول بالتفضيل لاحد النوعين ، ومحل الخلاف على هذا القول في غير نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اما هو فافضل الخلق بلا خلاف (الصورة الثانية) التفاضل بين خواص الملائكة واولياء البشر وهم من عدا الانبياء · وهذه الصورة زعم بعضهم نفى [1] الخلاف بان خواص الملائكة افضل وهذا مردود ومدخول فقد قدمنا معتمد القول عند علمائنا ومن وافقهم [الصورة الثالثة] التفضيل بين اولياء البشر وغير الخواص من الملائكة وفي هذا قولان ، احدهما تفضيل جميع الملائكة على اولياء البشر وجزم به ابن السبكي والثاني تفضيل اولياء البشر على الملائكة وجزم به الصفار من الحنفية وهو المختار عندهم · وقال قوم من اهل السنة ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة والاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة ❊ التنبيه الثاني ❊ في بعض ادلة مذهب اهل الحق من تفضيل صالحي البشر على الملائكة خلافاً للمعتزلة والفلاسفة ومن نحا نحوهم ، منها قوله تعالى « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » فالمسجود له افضل من الساجد فان قيل لم لا يجوز ان يكون السجود لله تعالى وآدم كالقبلة ، فالجواب انه لو لم يكن السجود دالا على منصب المسجود له على الساجد لما قال ابليس «أرايتك هذا الذي كرمت علي » اذ لم يوجد ما يصرف هذا الكلام اليه سوى هذا السجود فدل ذلك السجود على ترجيح منصب المسجود له على الساجد ، ومنها ان آدم عليه السلام كان اعلم والاعلم افضل لقوله تعالى « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقد قال تعالى « وعلم آدم الاسماء كلها » الى قوله « قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا » ، ومنها أن طاعة البشر اشق والاشق افضل

---

(١) كذا ولعله (تنفي) فيكون المعنى على زعم بعضهم ان الانبياء افضل من خواص الملائكة وهؤلاء افضل من اولياء البشر · ج

فان البشر مجبولون على الشهوة والحرص والغضب والهوى ونحوهـا ٠ وهذه من اكبر الموانع وهي مفقودة في الملك [التنبيه الثالث] اختلف في تكليف الملائكة عليهم السلام وعدمه ٠ قال العلامة ابن مفلح في الفروع قال ابن حامد : الجن كالانس في التكليف والعبـادات ومذاهب العلماء اخراج الملائكة من التكليف والوعد والوعيد ، وفي كلام ابي المعالي ان كشف العورة خاليا هي مسئلة سترها عن الملائكة والجن ، وكلام صاحب المحرر وظاهر كلامهم يجب عن الجني لانهم مكلفون اجانب وكذا عن الملائكة مع عدم تكليفهم لان الآدمي مكلف ، ولعـل مراده اخراجهم عن التكليف بما كلفنا به لا مطلقا والا فهم مكلفون قطعا ٠ قلت والكتاب والسنة ظاهرهما تكليف الملائكة اذ فيه « لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون » والاحاديث طافحة بمعنى ذلك ٠

—﴿ الباب السادس ﴾—

(في ذكر الامامة ومتعلقاتها)

قال علماؤنا كغيرهم نصب الامام الاعظم فرض كفاية لان الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعوا على ان نصبه واجب بعد انقراض زمن النبوة بل جعلوه من اهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلهذا قلنا

﴿ ولا غنى لامة الاسلام   في كل عصر كان عن امام ﴾

﴿ يذب عنها كل ذي جحود   ويعتني بالغزو والحدود ﴾

﴿ وفعل معروف وترك منكر   ونصر مظلوم وقمع كفر ﴾

﴿ واخذ مال الفيء والخراج   ونحوه والصرف في منهاج ﴾

﴿ ونصبه بالنص والاجماع   وقهره فحل عن الخداع ﴾

(ولا غنى) ولا مندوحة ولا بد (لامة) دين (الاسلام) وهي بالضم الجماعة ارسل اليهم رسول (في كل عصر) من الاعصار (كان) اي وجد (عن امام)

متعلق بقوله لا غنى بل هو فرض لازم ووجوبه عند اهـل السنة واكثر المعتزلة بالسمع يعني التواتر والاجماع ، وزعم جمهور المعتزلة ان وجوبه بالعقل ، ووجه وجوبه شرعا لمسيس الحاجة اليه فانه صلى الله تعالى عليه وسلم امر باقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش للجهاد وحماية البيضة (١) ولذا قال (يذب) بفتح المثناة التحتية اي يدفع (عنها) اي عن ملة الاسلام (كل) ملك جبـار وملحد مغوار وظلوم كفار (ذي) اي صاحب (جحود) اي انكار . والمراد به هنـا الجاحد للدين واضرابه (و يعتني) ذلك الامام المنصوب (بالغزو) اي غزو الكفار وقهر اهل البغي والفجار فيقاتل من عاند الاسلام بعـد الدعوة حتى يسلم او يدخل في الذمة (و) يعتني ايضا باقامة (الحدود) جمع حد وهو لغة المنع وحدود الله تعالى محارمه فيقيم الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق العباد من الاتلاف والاستهلاك ، والحدود العقوبات المقدرة سميت بذلك لأنها تمنع من الوقوع في مثل الذنب الذي رتبت تلك العقوبة عليه (و) يعتني ايضا بالامر بـ (فعل معروف) وقد تكرر ذكره في الاحاديث النبوية والنصوص السماوية وهو من الصفات الغالبة اي امر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه (وترك منكر) معطوف على ما قبله اي و يعتني ايضا بالنهي عن كل منكر وهو ضد المعروف فكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر (و) يعتني بـ (نصر مظلوم) من ظالمه بتخليصه من نحو سجنه ورد ظلامته عليه من ظالمه واخذ حقه ممن هو عليه ونحو ذلك (وقمع) اهل (كفر) اي قهرهم وذلهم (واخذ مال الفيء) المال الحاصل من الجهات المذكورة في كتب الفقه سمي فيأً لانه راجع منهـا الى اهل الاسلام كأنه في الاصل لهم ثم رجع اليهم (والخراج) وزكاة تغلبي وعشر مال تجارة حربي ونصفه من ذمي (ونحوه) اي نحو ما ذكر كالمال الذي تركه الكفار فزعا (و) يعتني ايضا بـ (الصرف) لذلك المال المذكور (في منهاج) اي طريق وجهة مصرفة المعينة له شرعا وكل ما ذكر وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب فاقامة الامام فرض كفاية واما مخالفة الخوارج ونحوهم في الوجوب فلا اعتداد بها لان مخالفتهم كسائر المبتدعة غير قادح في الاجماع

(١) البيضة الجماعة و بيضة كل شيء حوزته وبيضة كل شيء وسطه اهـ تاج الاسماء

ولا يخل بما يفيده من القطع بالحكم (و) يثبت (نصبه) اي الامام (بالنص) من الامام على استخلاف واحد من اهلها بان يعهد الامام بالامامة الى انسان ينص عليه بعده ولا يحتاج في ذلك الى موافقة اهل الحل والعقد كما عهد الصديق بالخلافة الى عمر الفاروق رضي الله عنهما (و) يثبت نصبه ايضا بـ (الاجماع)من اهل الحل والعقد من المسلمين كامامة الصديق الاعظم رضي الله تعالى عنه فاذا بايعه اهل الحل والعقد من العلماء ووجوه الناس الذين هم بصفة الشهود من العدالة وغيرها ثبتت امامته ٠ وكذا بجعل الامر شورى في عدد محصور ليتفق اهل البيعة على احدهم فاتفقوا على واحد منهم صار اماما كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حيث جعل امر الامامة بين ستة انفار حتى وقع اتفاقهم على عثمان رضي الله تعالى عنه وعنهم اجمعين (و) يثبت نصبه ايضا بـ (قهره) الناس بسيفه حتى يذعنوا له و يدعوه اماما فتثبت له الامامة قال الامام احمد رضي الله تعالى عنه ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي امير المؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله يبيت ولا يراه اماماً برا كان او فاجراً انتهى ٠ لأن عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما فقتله واستولى على البلاد واهلها حتى بايعوه طوعا وكرها ودعوه اماماً ، ولما في الخروج عليه من شق عصا المسلمين واراقة دمائهم وذهاب اموالهم ولهذا قال (فحل) امر ارشاد اي ابعد (عن الخداع) متعلق بحل يعني اترك مخادعة اهل البدع وتزويق مايظهرون من جواز الخروج على الامام وعن طاعته وزعمهم عدم وجوب نصبه فانهم ضالون ومن وافقهم صار منهم * ثم اخذ في ذكر شروط الامام المنصوب وما يعتبر ان يكون فيه متصفا به على سبيل الوجوب فقال

* وشرطه الاسلام والحريه	عدالة سمع مع الدريه *
* وان يكون من قريش عالما	مكلفا ذا خبرة وحاكما *
* وكن مطيعا امره فيما امر	ما لم يكن بمنكر فيحتذر *

(وشرطه الاسلام) لان غير المسلم لا يكون له على المسلمين سبيل (والحرية) لأن الرقيق بجميع انواعه عليه الولاية فلا يكون واليا على غيره فضلا عن عامة المسلمين

وخاصتهم وشرطه ايضا (عدالة) لاشتراط ذلك في ولاية القضاء وهي دون الامامة العظمى نعم ان قهر الناس غير عدل فهو امام كما تقدم و يعتبر فيه ايضا (سمع) اي ان يكون سميعا بصيرا ناطقا لأن غير المتصف بهذه الصفات لا يصلح لسياسة الخلق (مع الدريه) بفتح الدال وكسر الراء وتشديد التحتيه من الدراية وهي العلم والخبرة واريد به اعتبار كونه عالما بالاحكام المتعلقة بالسياسة والحروب ذا بصيرة قد علم باحوال الناس ومكرهم وخبر احوالهم لاحتياج الامام الى جميع ذلك بخلاف الغفل (١) فلا يصلح للامامة العظمى (و) يعتبر ايضا (ان يكون) الامام (من قريش) وهو من كان من نسل فهر بكسر الفاء وسكون الهاء فقهر جماع قريش وسموا قريشا لانهم كانوا يقرشون عن خلة الناس بفتح الخاء اي حاجتهم وفقرهم ومعناه ينقبون عنها ليغنوهم ويسدوا خلتهم وقيل غير ذلك وانما اشترط كونه من قريش لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « الأئمة من قريش » رواه الامام احمد وابو يعلي في مسنديهما والطبراني من حديث ابي برزة رضي الله تعالى عنه و يعتبر ان يكون (عالما) بالاحكام الشرعية لاحتياجه الى مراعاتها في امره ونهيه وان يكون (مكلفا) اي بالغا عاقلا لان غير البالغ العاقل يحتاج لمن يلي امره فلا يكون واليا على امر المسلمين وان يكون (ذا خبرة) بتدبير الامور المذكورة في البلاد والعباد (و) ان يكون (حاكما) اي قادراً على ايصال الحق الى مستحقه وكف ظلم المعتدي وقادراً على اقامة الحدود وقمع اهل الضلال لاتأخذه رأفة في اقامة الحدود والذب عن الامة فان عقدت لاكثر من واحد فهي للاول فان فسق الامام بعد العدالة المقارنة للعدل لم ينعزل على الاصح الاشهر ولا تشترط عصمته في حال من الاحوال ولا كونه افضل الامة ولا كونه هاشميا او اظهار معجزة على يده يعلم بها صدقه خلافا للرافضة وهذا من خرافاتهم (و) اذا عقدت له الامامة فصار اماما للمسلمين فـ (كن مطيعا) انت وسائر رعيته (امره فيما) اي في الشيء الذي (امر) به ان كان طاعة ، والحاصل ان طاعته تجب في الطاعة وتسن في المسنون وتكره في المكروه فاذا امر بمعروف وجب امتثال امره (مالم يكن) امره (بمنكر) ضد المعروف (فيحتذر) لايطاع في ذلك فلا تجب طاعته في المعصية بل تحرم اذ لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق .

(١) الغفل كقفل الرجل الذي لم يجرب الامور ا . ش

فصل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولما كان صلاح العباد في المعاش والمعاد لا يتم ولا يصلح ولا يستقيم لهم حال الا بذلك قال

﴿ واعلم بأن الامر والنهي معـا فرضا كفاية على من قد وعى ﴾

(واعلم) ايها المتبحر في علم اصول الدين (بأن الامر) اي بالمعروف (والنهي) عن المنكر (معا) اي كل واحد منهما منفرداً وكلاهما (فرضا كفاية) على جماعة المسلمين يخاطب به الجميع و يسقط بمن يقوم به بخلاف فرض العين فانه يجب على كل واحد ولا يسقط عنه بفعل غيره (على من) اي انسان (قد وعا) ه اي قد حفظ حكمه وعلمه وذلك لأن اصلاح المعاش والمعاد انما هو بطاعة الله تعـالى ورسوله وامتثال أوامره والانتهاء عن زواجره ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر و به صارت هذه الامة خير امة اخرجت للناس قال تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » وقال تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » وقال عن بني اسرائيل « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » وفي الحديث الثابت عن امير المؤمنين ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ايها الناس انـكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها « يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب منه » وفي لفظ من عنده ا ه رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

﴿ وان يكن ذا واحداً تعينا عليه لكن شرطه ان يسلما ﴾
﴿ فاصبر وزل باليد واللسان لمنكر واحذر من النقصان ﴾

(وان يكن ذا) اي الذي علم بالمنكر وتحققه وشاهده وهو عارف بما ينكر (واحداً)

او كانوا عدداً لايحصل المقصود الا بهم جميعاً (تعينا) اى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصارا فرض عين (عليه) او عليهم للزومه ؛ لكن شرطه) اي شرط افتراضه على الجماعة او الواحد سواء كانا فرض كفاية او عين (ان يأمنا) بالف الاطلاق على نفسه واهله وماله ولم يخف سوطاً ولا عصا ولا اذى ولا فتنة تزيد على المنكر وقيل ان زادت وجب الكف وان تساويا سقط الانكار قال احمد يأمر بالرفق والخضوع فان اسمعوه مايكره لايغضب ولهذا قال (فاصبر) على الاذى ممن تأمره وتنهاه ولا تغضب لنفسك بل لله تعالى (وزل) المنكر وغيره (باليد) وهو اعلى درجات الانكار ، وازالة المنكر كاراقة الخمر وكسر اواني الذهب والفضة والحيلولة بين الضارب والمضروب او نحوه ورد المغصوب الى مالكه (واللسان) حيث لم تستطع تغييره باليد بان تعظه وتذكره بالله وأليم عقابه وتوبخه وتعنفه مع لين او اغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال (لمنكر) متعلق بزل (واحذر) من النزول عن اعلى المراتب حيث قدرت على ان تغير المنكر بيدك الى اوسطها وهو الانكار باللسان الا مع العجز عن ذلك ، ثم انه لا يسوغ لك العدول عن التغيير للمنكر باللسان وانت تقدر عليه الى الانكار بالقلب ، فان لم تستطع تغيير المنكر لا بيدك ولا بلسانك فاعدل الى الانكار بقلبك وهو اضعف الايمان فلذا احذر (من النقصان) واشار بذلك الى حديث ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان » رواه مسلم والترمذي وفي هذا الباب عدة احاديث وقد دلت كلها على وجوب انكار المنكر بحسب القدرة عليه ، وان انكاره بالقلب لا بد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الايمان من قلبه . ولاعتبار كون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عدلاً بما يأمر عدلاً بما ينهى اشار بقوله :

❋ ومن نهى عن ماله قد ارتكب   فقد اتى من مابه يُقضى العجب ❋

❋ فلو بدا بنفسه فذادها   عن غيها لكان قد افادها ❋

(ومن) اي اي انسان (نهى) الخلق (عن ما) اي الشيء الذي (له) اي

لذلك الشيء الذي نهى الناس عنه (فذا ارتكب) وفعله وخالف قوله عمله من فعل المحظور وترك المأمور (فقد) والله (اتى) من قاله وحاله (من ما) اي من العمل الذي (به) اي منه (يقضى) ببنائه لما لم يسم فاعله (العجب) نائب فاعل اي يقضي العقلاء واهل العلم والحزم من مخالفة قوله لعمله العجب اي يحكمون بالعجب وهو انكار ما يرد عليك و يخفى سببه ، والمراد انه يعظم عليهم ان ينهى عن القبيح و يأتيه و يأمر بالحسن ولا يأتيه وقد ورد التحذير عن مثل ذلك كما في حديث اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه — اي امعاؤه ومعنى تندلق تخرج — فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان مالك الم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه » — رواه البخاري ومسلم وقال بعض السلف اذا اردت ان يقبل منك الامر والنهي فاذا امرت بشيء فكن اول الفاعلين له المؤتمرين به واذا نهيت عن شيء فكن اول المنتهين عنه . ولهذا قال (فلو بدا) الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قبل امره لغيره (بنفسه) متعلق ببدا (فذادها) اى منعها وردها (عن غيها) متعلق بذادها اي عن ضلالها (لكان) ببدايته بارشاد نفسه وردها عما هي فيه (قد افادها) النجاة والسلامة .

[تنبيهات] الاول ما قدمنا من اعتبار كون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مستقيم الحال هو عين الكمال والمؤثر امره ونهيه في القلوب ، واما الوجوب فلا يسقط عن المكلف وان كان بغير تلك الاوصاف ، بل من غير اهل العدالة والعفاف فعلي مرتكب الذنب النهي عن مثل ما ارتكب لأن تركه للمنكر ونهيه عنه فرضان متميزان ليس لمن يترك احدهما ان يترك الآخر [الثاني] متعلق الانكار الرؤية للمنكر وتحققه فلو كان مستوراً فلم يره ولكن علم به فالمذهب يجب عليه الانكار لتحققه والمنصوص عن الامام في اكثر الروايات انه لا يتعرض له ولا يفتش على ما استراب . وقد روي عنه انه يكسر المغطى اذا تحققه وهذا المعتمد * واما تسوّر الجدران[1]

(١) اي تسلقها والتطلع عليها .

على من علم اجتماعهم على منكر فقد انكره الائمة وهو داخل في التجسس المنهي عنه ،
نعم قال القاضي ابو يعلى ان كان في المنكر الذى غلب على ظنه الاستسرار به باخبار
ثقة عنه انتهاك حرمة يفوت استدراكها كالزنا والقتل جاز التجسس وان كان دون
ذلك لم يجز التجسس عليه ولا الكشف عنه انتهى ، وحكمة عدم وجوب التفتيش
مع وجود النصوص على التجسس ان المعاصي اذا اخفيت انما تضر من يعملها واذا
اعلنت ضرت العامة * فان خاف على نفسه السيف او السوط او الحبس او القيد او
النفي او اخذ المال او نحو ذلك من الاذى او خاف مثل ذلك على اهله او جيرانه
سقط وجوب الانكار ، واما مجرد خوف السب او سماع الكلام السيء فلا يسقط
الانكار ، وان احتمل الاذى وقوي عليه فهو افضل [الثالث] اذا علم انه لا يقبل
منه فهل يسقط وجوب الامر والنهي حكى القاضي ابو يعلى عن الامام روايتين
وصحح القول بوجوبه ، قال ابن رجب وهو قول اكثر العلماء وقد قيل لبعض
السلف في هذا فقال تكون(١) معذرة ، وقال ابن حمدان ويجوز الانكار فيما لا
يرجى زواله وان خاف اذى ، وقيل لا ، وقيل يجب [الرابع] الذي يجب انكاره
من المنكر هو ما كان مجمعاً عليه فاما المختلف فيه فمن علمائنا من قال لا يجب انكاره
على من فعله مجتهداً فيه اومقلداً لمجتهد تقليداً سائغاً [الخامس] وجوب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر بالشرع لا بالعقل خلافاً للمعتزلة ودليله الكتاب والسنة والاجماع ،
اما الكتاب والسنة فقد ذكرنا ما يحصل به المقصود ، واما الاجماع فلأن المسلمين
كانوا في الصدر الاول ومن بعدهم يتواصون بذلك و يوبخون تاركه مع القدرة
فعلى الناس اعانة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ونصره على ذلك ، وما يختص
علمه بالعلماء يختص انكاره بهم وبمن يأمرونه به من الولاة والعوام ، ومن التزم مذهباً
انكر عليه مخالفته بلا دليل ظاهر ولا تقليد سائغ او عذر ظاهر .

الخاتمة نسأل الله حسن الخاتمة

في فوائد جليلة لا يسع من خاض في مثل هذه العلوم الجهل بها ، وهي في الادلة
وما يتعلق بها ، وهي قسمان مفردات ومركبات ولذا قال :

(١) اي هذه الحالة ا . ش

﴿ مدارك العلوم في العيان   محصورة في الحدوالبرهان ﴾

(مدارك العلوم) المدارك جمع مدرك وادرك الشيء احاط به والمراد المدرك بالعقول جمع عقل وهو لغة المنع واصطلاحاً هو ما يحصل به الميز بين المعلومات ، وعن الامام الشافعي انه قال العقل آلة التمييز والادراك وهو غريزة قاله الامام احمد ، ليس مكتسباً بل خلقه الله تعالى يفارق به الانسان البهيمة و يستعد به لقبول العلم وتدبير الصنائع الفكرية فكأنه نور يقذف في القلب كالعلم الضروري والصبر ونحوه حجاب له وقال البربهاري من اصحابنا ليس العقل بجوهر ولا عرض ولا اكتساب وانما هو فضل من الله تعالى * قال شيخ الاسلام هذا يقتضي انه القوة المدركة لا الادراك ، ومحل العقل القلب عندنا وعند الشافعية والاطباء وله اتصال بالدماغ . وروي عن الامام احمد ان محله الدماغ وهوقول ابي حنيفة ، وقيل في الدماغ ان قلنا انه جوهر والا ففي القلب ، والصحيح ان العقل يختلف كالمدرك به وقال ابن عقيل والاشاعرة والمعتزلة لا يختلف لانه حجة عامة يرجع اليه الناس عند اختلافهم ولو تفاوتت العقول لما كان كذلك وقال غير واحد العقل عقلان غريزي وتجربي مكتسب فالغريزي لا يختلف والكسبي يختلف ، وحمل الطرفين الخلاف على ذلك وقوله (في العيان) اي المشاهدة (محصورة) في شيئين (في الحد والبرهان) هو الحجة والدليل والبرهان عند اهل الميزان قياس مؤلف من مقدمات يقينية لانتاج يقينيات واليقين اعتقاد ان الشيء كذا مع اعتقاد انه لا يكون الا كذا مع مطابقته للواقع وامتناع تغييره

﴿ وقال قوم عند اصحاب النظر   حس واخبار صحيح والنظر ﴾

(وقال قوم) بل مدارك العلم (عند اصحاب النظر) اي الفكر والتدقيق وهم النظار من المتكلمة والمنطقيين وعلماء الاصول ثلاثة ، احدها (حس) اي ما يدرك باحد الحواس الخمس وهي جمع حاسة بمعنى القوة الحاسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، فخلق الله تعالى كلاً من تلك الحواس لادراك اشياء مخصوصة فلا يدرك بواحدة ما يدرك بالاخرى ، والمدرك بشيء منها يقال له محسوس (و)

الثاني (اخبار صحيح) مطابق للواقع (و) الثالث (النظر) اي الفكر ، والحاصل ان اسباب العلم ثلاثة الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل .

الحـد وهو اصل كل علم ... وصف محيط كاشف فافتهم
وشرطه طرد وعكس وهو إن ... انبا عن الذوات فالتام استبن
وان يكن بالجنس ثم الخاصة ... فذاك رسم فافهم المحاصة

اذا عرفت ما ذكرناه لك وطلبت تعريف الحـد المذكور ف (الحد) وسمي التعريف حداً لمنعه الداخل فيه من الخروج عنه والخارج عنه من الدخول فيه وقوله (وهو) اي الحد (اصل كل علم) جملة معترضة بين المبتدأ الذي هو الحـد وخبره الذي هو وصف الى آخره ، وانما كان اصلاً للعلوم لأن من لا يحيط به علماً لا نفع له بما عنده وفي الاصطلاح الحد (وصف محيط) بموصوفه اي بمعنى المحدود (كاشف) بالرفع عطف[1] على محيط اي مميز للمحدود عن غيره (فافتهم) والفهم ادراك معنى الكلام (وشرطه) اي شرط كون الحد صحيحاً والشرط ما يعتبر للحكم[2] (طرد) خبر المبتدأ الذي هو شرطه وهو المانع الذي كلما وجد الحد وجد المحدود (وعكس) وهو الجامع الذي كلما وجد المحدود وجد الحد ، فهذا عكس الاطراد و يلزم من ذلك انه كلما انتفى الحد انتفى المحدود ، واعلم ان الحد من حيث هو تام ورسمي ولفظي ولذا قال (وهو) اي الحد (ان انبا) اي دل (عن الذوات) اي ذاتيات المحدود الكلية المركبة كما اذا قيل ما الانسان ؟ فيقال حيوان ناطق (فالتام) وهو الاصل وله حد واحد لأن ذات الشيء لا يكون له حدان مثاله حيوان ناطق فانه حد للانسان (استبن) اي اطلب البيان عن حقيقة الحـد فان هذا هو الحد التام الحقيقي المنبيء عن ذاتيات المحدود ، وان كان بفصل قريب فقط من غير ذكر جنس فحد حقيقي ناقص كما اذا قيل ما الانسان فقلت ناطق ، وكذا

---

(١) كذا ولعله عطف بيان . ج (٢) وهو ما يلزم من انتفائه انتفاء الحكم فلا يوجد المشروط مع عدم شرطه ولا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط اه من الاصل

ان كان بفصل وجنس بعيد كجسم ناطق بالنسبة الي الانسان (وان يكن) الحد مركباً (بالجنس) القريب (ثم الخاصة) مثال ذلك حيوان ضاحك بالنسبة الى الانسان (فذاك رسم) تام فان الضاحك عرض فبالفعل مفارق لا بالقوة وسمي خاصة لاختصاصه بحقيقة واحدة بالقوة والفعل بالنسبة الى الانسان لان الضحك بالقوة لازم لماهية الانسان مختص بها و بالفعل مفارق لما مختص بها ، وان كان الحد بها فقط كقولك الانسان ضاحك سمي رسماً ناقصاً وكذا ان كانت مع جنس بعيد كقولك الانسان جسم ضاحك (فافهم الخاصة) اى المقاسمة

✻ وكل معلوم بحس وحجى فنكره جهل قبيح في الهجا ✻

✻ فان يقم بنفسه فجوهر او لا فذاك عرض مفتقر ✻

✻ والجسم ما الف من جزئين فصاعداً فاترك حديث المين ✻

(وكل معلوم بحس) من الحواس الخمسة الظاهرة (و) كذا ما يدرك بـ (حجى) كالى هو العقل (فنكره) اي انكاره بعدم الوثوق به (جهل قبيح في الهجا) اى في الشكل والمثل اى قبيح في العادة المستمرة ومردود عند ذوي الهجا الجيدين في التبحر عن حقائق الاشياء ، قال ابن حمدان كل مؤد الى حقيقة ثابتة تعلم عقلاً او حساً فانكاره سفسطة انتهى والسوفسطائية انكروا كلاً من الحسيات والبديهيات فقالوا نحن شاكون وشاكون في انا شاكون ، وهؤلاء ثلاث فرق عنادية وعندية ولا ادرية ٠

[تنبيه] اعلم ان العلم منه ما هو ضروري ومنه ما هو كسبي ، فالضروري ما يلزم نفس المخلوق لزوماً لا يجد الي الانفكاك عنه سبيلاً كالتصديق بان الكل اعظم من الجزء وان الواحد نصف الاثنين ، وان العلم البديهي اخص من الضروري لأن البديهي هو ما يثبته مجرد العقل من غير احتياج الى شيء آخر ، ويمكن الاحتياج في الضروريات الى شيء آخر غير العقل كوجدان او تجربة او غيرهما ، واما الكسبي فهو مقابل للضروري وهو النظري والاستدلالي وهو ما يتضمنه النظر الصحيح * ثم ان الادراك لماهية الشيء بلا حكم عليها بنفي او اثبات تصور ، وتصور



ماهية الشيء مع الحكم عليها بايجاب او سلب تصديق * ثم ان كل شيء لا يخلو اما ان يقوم بنفسه اولا (فان يقم) ذلك الشيء (بنفسه) اي بذاته ومعنى قيامه بذاته عند المتكلمين ان يتحيز بنفسه غير تابع تحيزه لتحيز شيء آخر فلا يخلو القائم بنفسه من احد امرين ، اما ان يكون مركباً من جزئين فصاعداً وهو الجسم كما يأتي او غير مركب ، فان قام بنفسه وكان غير مركب (فجوهر) والجوهر هو العين الذي لا يقبل الانقسام وهو الجزء الذي لا يتجزأ (او لا) يقوم بنفسه بل بغيره (فذاك) الذي لا يقوم بنفسه بل لا بد ان يكون قائماً بغيره تابعاً له في التحيز او مختصاً به اختصاص النعت بالمنعوت فهو (عرض مفتقر) الى محل يقوم به (والجسم ما) اي شيء او الذي (الف) اي ركب (من جزئين فصاعدا) اي اكثر (فاترك حديث) اي كلام (المين) اي الكذب واراد بهذا الرد على من زعم انه لا يتركب من اقل من ثلاثة اجزاء لتحقق الابعاد الثلاثة اعني الطول والعرض والعمق .

* ومستحيل الذات غير ممكن وضده ما جاز فاسمع زكني *

* والضد والخلاف والنقيض والمثل والغيران مستفيض *

(ومستحيل الذات غير ممكن) اي المستحيل لذاته غير ممكن ولا مقدور (وضده ما) اي الذي (جاز) وجوده وعدمه وتقدم الكلام عليه (فاسمع زكني) اي علمي وفهمي (والضد) يعني مع ضده فالضدان هما ما امتنع اجتماعهما في محل واحد في زمن واحد كالسواد والبياض والحركة والسكون اذ الشيء الواحد لا يكون اسود ابيض في زمن واحد ولا يكون ساكناً متحركاً في زمن واحد ويمكن ارتفاع الضدين مع بقاء المحل لا اسود ولا ابيض (والخلاف) اي الخلافان يجتمعان ويرتفعان كالحركة والبياض في الجسم الواحد (والنقيض) ان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالوجود والعدم المضافين الى معين واحد (والمثل) ان ماقام احدهما مقام الآخر وسد مسده وعمل عمله والجواهر متماثلة وقيل هما اللذان يشتركان في الصفة اللازمة فهما لا يجتمعان ويرتفعان لتساوي الحقيقة كبياض وبياض (والغيران) هما المختلفان وكل علم ذلك معلوم عند اهل هذا الفن وعند المناطقة (مستفيض) .

❊وكل هــذا علمه محقق　　فلم نطـل به ولم ننمق❊
❊والحمد لله على التوفيق　　لمنهج الحق على التحقيق❊
❊مسلما لمقتضى الحــديث　　والنص في القديم والحديث❊

(وكل هذا) المذكور (علمه) مشهور عند ارباب الفن (محقق فلم نطل به) اي بذكره (ولم ننمق) من التنميق وهو التحسين ثم حمدنا الله تعالى عوداً على بدء فقلنا (والحمد لله على التوفيق) وهذا حمد في مقابلة نعمة التأهيل لهذا الفضل الجزيل قال المحقق : التوفيق هو ارادة الله تعالى من نفسه ان يفعل بعبده مايصلح به العبد بان يجعله قادراً على فعل مايرضيه مريداً له محباً له مؤثراً له على غيره و يبغض اليه ما يسخطه و يكرهه وهذا مجرد فعله تعالى والعبد محل له وقوله (لمنهج الحق على التحقيق) متعلق بالتوفيق ، والمنهج الطريق الواضح والحق هو الحكم المطـابق للواقع والتحقيق ايقاع الاشياء في محالها وردها الى حقائقها وقوله (مسلما) حال من معمول التوفيق اي الحمد لله على توفيقي لمنهج الحق حال كوني مسلما (لمقتضى الحديث) اي لما يقتضيه الحديث الصحيح النبوي (والنص) الصريح القرآني وقــدم الحديث لمراعاة القافية سواء ادركنا معناه بعقولنا او لم ندركه وهذا هو الحق الواجب على كل مسلم وقوله (في القديم والحديث) يحتمل معنيين كلاهما مراد احدهما راجــع الى الناظم وهو ان هذا عقيدتي واعتمادي التسليم والانقيــاد على مقتضي النصوص القرآنية والاحاديث النبوية ، وهــذا في اول زمان ادراك فهمي ولم ينفك عن هذا عقد لبي ، فقديم زمني وحديثه على ذلك — الثاني ان مبنى علمي وحقيقة حجتي انما هو النص القرآني والخبر النبوى وما اجمع عليه السلف سواء في ذلك الاحكام المتعلقة بالعبادات ونحوها من المعاملات او الاخبار عن البرزخ والمعاد ونحوه مما يتعلق بالحادث والحوادث او كان مما يتعلق بالقديم الديان ، من الذات والصفات والقرآن ، حسبما برهنا على ذلك في شرحنا هذا .

❊لا اعتني بغير قول السلف　　موافقــا ائمتي وسلفي❊
❊ولست في قولي بذا مقلدا　　الا النبي المصطفى مبدي الهدى❊

(لا اعتني بغير قول السلف) اي لا اعول حال كوني (موافقا ائمتي) من اهل الاثر (وسلفي) في ذلك من كل همام معتبر (ولست في قولي بذا) اي بما اشرت اليه (مقلداً) لهم في اعتقادي بل نظرت كما نظروا فليس لي في كل سيرتي مقلداً ومعتمداً (الا النبي المصطفى) من سائر العالم (مبدي) اي مظهر (الهدى) بالدلائل الواضحة ومرشد العالم ٠

﴿صلى عليه الله ما قطر نزل   وما تعانى ذكره من الازل﴾

﴿وما انجلى بهديه الديجور   وراقت الاوقات والدهور﴾

(صلى عليه الله ما قطر نزل) اي مدة دوام نزول الامطار والقطر هو الماء والنزول وكفه من العلو (وما تعانى) المعتنون (ذكره من الازل) في الاعصار الخالية (وما انجلى) اي تفرق وزال وانكشف (بهديه) الناصع ونور شرعه المشرق اللامع (الديجور) اي الظلام اي مدة دوام انجلاء ظلام الشرك وسواد الافك وغبار البدع بمنار هديه ونور شرعه (و) ما بهديه صلى الله تعالى عليه وسلم (راقت) اي صفت (الاوقات) جمع وقت وهو المقدار من الدهر (و) ما راقت (الدهور) جمع دهر وهو الزمان الطويل ٠

﴿وآله وصحبه اهل الوفا   معادن التقوى وينبوع الوفا﴾

﴿وتابع وتابع للتابع   خير الورى حقا بنص الشارع﴾

(و) صلى الله على (آله) اي اتباعه على دينه (وصحبه) وفي قوله (اهل الوفا) اشارة الى انهم فعلوا ما امروا ووفوا بما عاهدوا الله ورسوله عليه وقوله (معادن التقوى) يصح جره على التبعية لما قبله ونصبه بفعل محذوف تقديره امدح ونحوه ورفعه خبر لمبتدا محذوف تقديره هم (و ينبوع الصفا) معطوف على معادن والينبوع بفتح التحتية عين الماء والصفاء ضد الكدر (و) على (تابع) لهم باحسان (وتابع للتابع) على نهج الاستقامة والاتقان وهؤلاء القرون الثلاثة (خير الورى) اى من هذه الامة حتى ذلك (حقاً بنص الشارع) يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ٠

* ورحمة الله مع الرضوان والبر والتكريم والاحسان *
* تهدى مع التبجيل والانعام مني لمثوى عصمة الاسلام *
* ائمة الدين هداة الامه اهل التقى من سائر الائمه *

ولهذا المعنى قال (ورحمة الله) تعالى (مع الرضوان) من الله تعالى (والبر) الاحسان (والتكريم) لهم من فضله العميم (والاحسان) اليهم من الله تعالى لانهم احسنوا عملا (تهدى) بضم المثناة الفوقية على صيغة ما لم يسم فاعله اى هذه الأمور التي هي الرحمة والراضوان والبر والتكريم والاحسان (مع التبجيل) اى التعظيم (والانعام) من الملك المنعم (مني) اى بان اسأل الله تبارك وتعالى ان يفعل جميع ذلك بمنه وكرمه (لمثوى) اى منزل ومقام (عصمة) اهل (الاسلام) والعصمة المنعة وعلى كل حال انما عصمة هذا الدين بعد الصحابة والتابعين كان بهؤلاء الائمة المجتهدين ومن ثم قال (ائمة) اهل هذا (الدين) المتين (هداة الامة) اي الدالين الامة على نهج الرسول ولست اخص بهذا الوصف والدعاء احدا دون احد بل اسأل الله تعالى ذلك لهم جميعا لأنهم هم (اهل التقى من سائر) اي جميع (الائمة) المقتدى باقوالهم وافعالهم من كل امام همام كالائمة المتبوعة الآتي ذكرهم وغيرهم فانهم وان تباينت اقوالهم واختلفت اراؤهم من جهة الفروع الفقهية فالجميع سلفية اثرية .. ثم بعد ان عمم خص الائمة الاربعة فقال

* لا سيما احمد والنعمان ومالك محمد الصنوان *
* من لازم لكل ارباب العمل تقليد حبر منهم فاسمع تخل *
* ومن نحا لسبلهم من الورى مادارت الافلاك اونجم سرى *

(لا سيما) هذه الكلمة مبنية على دخول ما بعدها فيما قبلها بالاولى فكل ما نسب لمن قبلها من الثناء والدعاء فمن بعدها كذلك واولى بذلك ويجوز في الاسم الذي بعدها الجر والرفع مطلقا وكذا النصب اذا كان نكرة ـ الامام (احمد) بن محمد بن حنبل وتقدمت ترجمته * (و) الامام الاعظم والحبر المعظم ابي حنيفة (النعمان) بن ثابت

الكوفي امام اهل العراق وفقيههم بالاتفاق من ابناء فارس وهو من التابعين فانه رأى انس بن مالك وابا الطفيل رضي الله تعالى عنهما ، وروى عن حماد والزهري وقتادة وخلق — وعنه ابنه حماد وابو يوسف ومحمد بن الحسن ووكيع وعبد الرزاق قال الامام الشافعي الناس في الفقه عيال على ابي حنيفة ، وكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعاً ، ولد رضي الله تعالى عنه سنة ثمانين ومات سنة مائة وخمسين *(و)الامام ابي عبد الله (مالك) بالجر والتنوين وهو الامام الكبير ابو عبد الله مالك بن انس الاصبحي المدني شيخ الائمة وامام دار الهجرة روى عن جماعة من التابعين — وعنه الامام الشافعي وخلق قال الامام الشافعي اذا جاء الاثر فمالك النجم مات في المدينة سنة تسع وسبعين ومائة وهو ابن تسعين سنة رضي الله تعالى عنه ودفن في البقيع * والامام ابي عبد الله (محمد) معطوف على ما قبله سقط حرف العطف لاقامة الوزن ابن ادريس المطلبي الشافعي رضي الله تعالى عنه وقوله (الصنوان) اى القرابة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو امام الائمة وقدوة الامة ولد بغزة هاشم سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة المشرفة وهو ابن سنتين وكان رضي الله تعالى عنه جم المفاخر منقطع النظير اجتمعت فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره ، قال احمد كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن توفي رضي الله تعالى عنه في شهر رجب سنة اربع ومائتين ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى وقبره مشهور يزار ويتبرك به ثم اشار الى انه يجب على كل احد من هذه الملة ممن له عمل وتقوى ان يقلد واحدا من هؤلاء الاربعة على الاصح الاقوى فقال (من) اى الذين هم فهي مبتدأ خبره فرض (لازم) لا انفكاك عنه (لكل) واحد مكلف من (ارباب) اى اصحاب (العمل) الصالح ممن ليس فيه اهلية الاجتهاد المطلق (تقليد حبر منهم) اي من الائمة الاربعة المعلومة مذاهبهم والحبر بفتح الحاء وكسرها وسكون الموحدة العالم المتقن وقوله (فاسمع تخل) اى فاسمع نظامي وما اشرت اليه وقوله تخل اى تظن وتعلم (و) رحمة الله تعالى مع البر والاحسان والعفو والغفران تهدي لـ (من) اي انسان (نحا) قصد متبعا (لسبلهم) ككتب جمع سبيل وهو الطريق الواضح كما انه خص الائمة الاربعة بعد عموم الائمة دعاء لمن تبعهم او تبع واحدا

منهم (من) سائر (الورى) الخلق (ما دارت) اي مدة دوران (الافلاك) جمع فلك جدار النجوم –(او نجم سرى) اى مدة دوام سرى النجوم والنجم الكوكب ، ولما كان نظم هذه العقيدة بسؤال بعض اصحابنا قال

❊ هدية مني لارباب السلف   مجانبا للخوض من اهل الخلف ❊

❊ خذها هديت واقتفي نظامي   تفز بما املت والسلام ❊

(هدية) مهداة (مني) بمعونة الله تعالى (لارباب)جمع رب بمعنى صاحب طريقة (السلف) وعقيدة اهل الاثر حال كوني (مجانبا) في اصل نظمي لها وتضميني اياها اقوال السلف وعقائد اهل الاثر (للخوض) في التأويل كما هو (من) دأب (اهل) مذهب (الخلف خذها) اي هذه العقيدة (هديت) على صيغة مالم يسم فاعله اى هداك الله تعالى (واقتفي) اي اتبع (نظامي) في هذه العقيدة السلفية فانك ان فعلت (تفز) اى تظفر (بما) بالذي (املت) ـه من نيل الفلاح (و) تظفر ايضا بـ (السلام) اى الامان من التخليط الجدلي * قال المصنف رحمه الله تعالى وهذا آخر ما قصدت ايراده على منظومتي وانا اتوسل اليه بلسان الافتقار ، واتذلل لديه بجنان الذل والاحتقار ، واتضرع بجوارح العجز والانكسار ، واتشفع بجاه النبي المختار ، وآله الاطهار ، واصحابه الاخيار ، واصهاره الابرار ، وبجميع الانبياء والمرسلين ، وبالملائكة المقربين وبالعلماء العاملين ، ان يجعل هذا الشرح خالصا لوجهه الكريم ، وسببا للفوز لديه في جنات النعيم ، وان ينظر الي والى من كتبه وقرأه واقرأه بعين العناية ، وان يحفظني واهل بيتي واخواني من كل ضلالة وغواية ، وان ينفع به من كتبه وقراه ، وفهمه ووعاه ، انه جواد كريم ، رؤف رحيم ، وكان الفراغ من شرحه ضحوة الاربعا لست بقين من ذى القعدة من شهور سنة الف ومائة وخمسة وسبعين ١١٧٥

وكان الفراغ من اختصار هذا الشرح يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الثاني من شهور سنة سبع واربعين ومائتين والف ١٢٤٧ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

يقول الفقير محمد جميل الشطي المفتي والامام الحنبلي بدمشق ابن العالم الفاضل الشيخ عمر افندي ابن الاستاذ العلامة الشيخ محمد افندي ابن صاحب هذا المختصر قدس الله روحه : لقد تم بعون الله تعالى طبع هذا الكتاب النفيس نظم وتأليف الامام الكبير والمحقق الشهير العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي النابلسي المتوفي سنة ١١٨٨ اختصار جدنا الاكبر العلامة المتفنن الورع الشيخ حسن الشطي الحنبلي الدمشقي رحمهما الله تعالى وجزاهما عن الاسلام خيراً كثيراً . وقد قابلناه وصححناه على مسودة المختصر التي هي بخطه الشريف ، غير انه ظهر لنا من المقابلة والمراجعة انه رحمه الله لم يعد النظر على مواضع يسيرة منها بين كلمات وحروف فضلا عن انها كتبت بخط لا تسهل قراءته ولذا استعنا على ضبط ما ذكر بمراجعة الاصل اي شرح السفاريني المخطوط والمطبوع الموجودين عندنا ، وعلقنا عليه ماتيسر بعد تعليق العم الكبير رحمه الله ، هذا مع تقطيع ابحاثه وجمله بالاشارات الخاصة مما نرجو ان نكون به قد احسنا صنعاً واتممنا فائدة ان شاء الله وقد قام معنا بالوقوف على طبعه وحسن مقابلته ومراجعته الرفيقان الموفقان الشيخ عبد الغني الدقر الدوماني والشيخ مصطفى الجذبة الضميري الحنبليان وغيرهما من بني العم بارك الله فيهم وفتح عليهم آمين . فلاح بدر تمامه وفاح مسك ختامه في اواخر شهر ربيع الانور عام خمسين وثلاثمائة والف من هجرة النبي الامين ، الذي انزل عليه (وما ٧٤ ارسلناك ٣٦٢ الا ٣٢ رحمة ٦٤٨ للعالمين ٢٦١ = ١٣٥٠) والحمد لله على فضله وانعامه وتوفيقه والهامه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه واتباعه وحزبه آمين .

﴿ وقد قلنا في ذلك ﴾

(هذا كتاب في العقائد قد ظهر	فيه تجلى الحق من اهل الاثر)
(استاذ سفارين جاد بوضعه	والقدوة الشطي رعاه واختصر)
(فجزاهما مولاهما خير الجزا	ولسعي كل منهما ربي شكر)
(يامن طرحتم في العلوم مطولا	قد جاء كم ارخت اهدى مختصر)

فهرس لهذا المختصر

صحيفة

« تابع الفهرس »

صحيفة

مطبوعات ناشر هذا الكتاب

الكتاب	المؤلف
رسالة في البسملة الشريفة	للشيخ حسن الشطي
رسالة في التقليد والتلفيق	
رسالة في فسخ النكاح	
مختصر عقيدة السفاريني (هذا)	
مقدمة توفيق المواد النظامية للاحكام الشرعية	لولده الشيخ محمد الشطي
الفتح المبين في الفرائض	
اقوال الامام داود الظاهري	
القواعد الحنبلية في التصرفات العقارية	
جدول في المساحة	
الرسائل الفاتحية	باسم ولده مراد افندي
ديوان شعر	للشيخ عبد السلام الشطي
منظومة في عقيدة السلف	للكلوذاني المتوفى سنة ٥١٠
اقوال شيخ الاسلام ابن تيمية	لابن ابن القيم " " ٧٦٢
المنظومة الفارضية (مع تعليقات للناشر)	للفارضي الشاعر " " ٩٨١
رسالتان في كراهة واباحة الدخان	للشيخ مرعي والاستاذ النابلسي
مختصر طبقات الحنابلة (مجلد)	تأليف الناشر
قطعة منظومات — متن في الفرائض	
الوسيط بين افراط الحشوية وتفريط الوهابية	
رسالة في قضاة الحنابلة	
قانون الصلح — قانون الاستملاك	تعريب الناشر
قانون الانتقال — قانون التصرف	

تطلب من ناشرها ومن المكاتب الشهيرة بدمشق وغيرها